



فنُّ الهوى

ترجمه و قدم له
د. شروت عكاشة

رأى على الأصل اللاتينى
د. مجدى وهبة



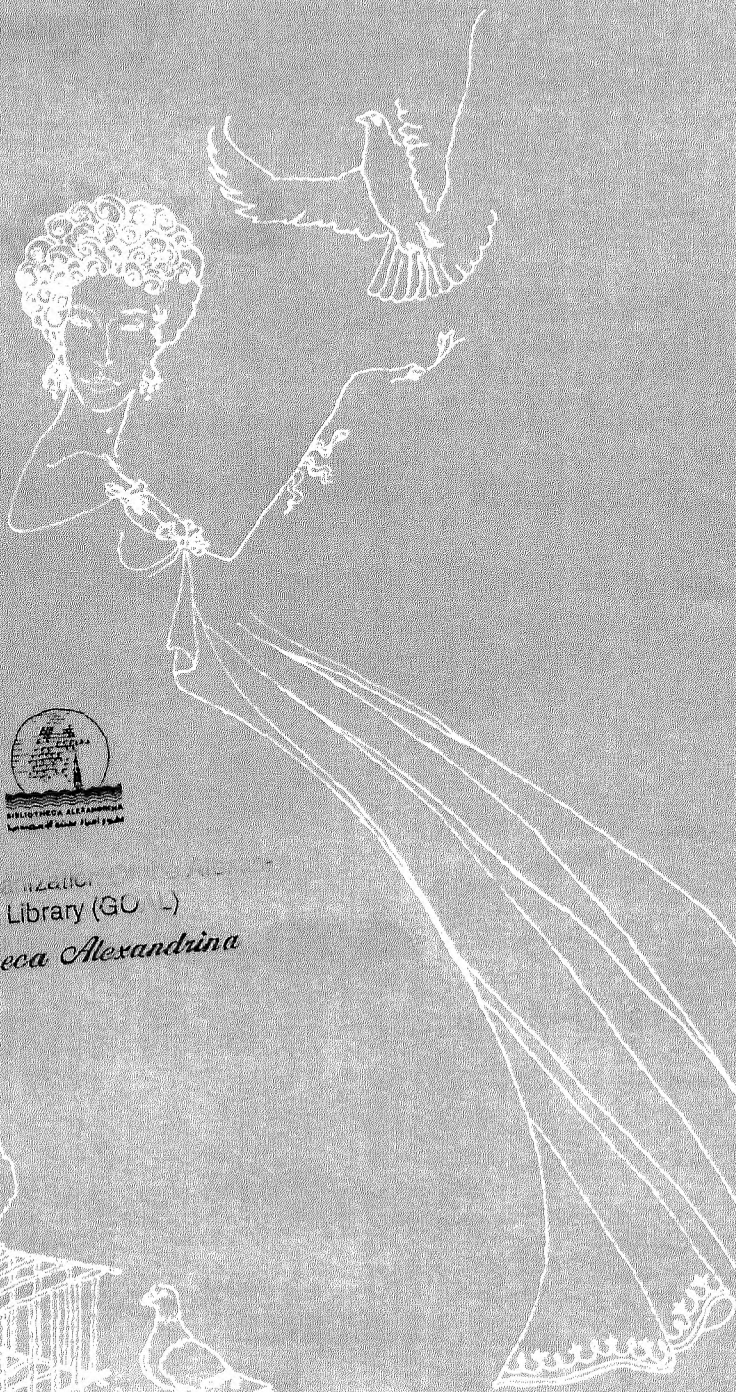
Bibliotheca Alexandrina

0120234

أوقيد



NC



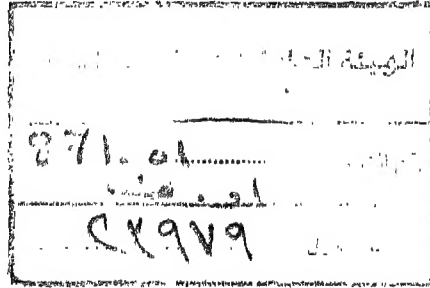
Central Organization
Bibliotheca Alexandrina (GOV -)
Bibliotheca Alexandrina

أوقيد

فن الهوى

الإخراج الفنى
الفنان عبد السلام الشريف

أوقييد



فن الهوى

ترجمه وقدم له
د. ثروت عكاشة

رابع على الأصل اللاتين
د. مجدى وهبة

الطبعة الثالثة

الهيئة المصرية العامة للكتاب



صورة الغلاف

بورتريه فتاه رومانية
من بومبي . القرن الأول الميلادى
متحف نابولى القومى

مقدمة

لا يكاد القارئ يطالع كتاب « فن الهوى » Ars Amatoria لمؤلفه بوليوس أوفيدوس ناسو . حتى يستهويه ما جاشت به عواطف هذا الشاعر وما انطلق به لسانه في عبارات أنيقة وصياغة دقيقة للأساطير القديمة التي ضمّنها مزيجاً من ثقافة عصره وأحاسيس قومه ، وحتى يدرك السرّ الذي جعل هذا الكتاب الدقيق الحجم والموضوع يترك أثراً واضحاً في مختلف فنون العصور التالية حتى عصر النهضة^(١) .

ولكى نقدر الشاعر قدره الحق ، ونعرف لشعره منزلته فلتتوقف عند سيرته لحظة لنلمّ بجوانب شخصيته وسلوكه وندرك طرفاً من أسلوب العصر ونهجه حتى نعرف ما كان للبيئة التي عايشها الشاعر من أثر في فنه ومدى استجابته لها ، فقلما يفلت الفنان من أثر البيئة التي ينبت فيها .

ولد أوفيد لأب موسر في مدينة سولونه على بعد تسعين كيلومتراً شرقى روما ، وكان مولده سنة ٤٣ قبل الميلاد وتوفي سنة ١٨ ميلادية بمنفاه في بلدة « توميس »^(٢) على البحر الأسود ، أى أنه عاش اثنين وستين عاماً واكبت العصر المتأغرق^(٣) ونهل من ثقافته وتأثر بتقاليده خلال عهد الامبراطور قيصر أوغسطس ، وكان أوفيد آخر الشعراء الأوغسطين ، وزامل منهم هوراس وپروپيرتيوس وفرجيل أشهر شعراء ذلك العصر وأحد أصدقائه المقربين .

كان أبوه قد أعدّه ليشغل إحدى الوظائف السياسية أو الإدارية في الدولة ، فانتقل إلى روما مع أخ له حيث اختلفا إلى المدارس هناك ، يتلقيان العلم على أيدي الأساتذة المشهورين . وإذ أحس أوفيد في قرارة نفسه أنه لم يولد إلا ليكون شاعراً وأن الشعر يتدفق من بين شفثيه تدفق الماء من ينبوع ، فقد اهتم بأن يلقي رجال الأدب في روما وأن يتردّد عليهم ويتصل بهم ، ولم يلبث أن صار مرموقاً بين خلّان على حظ من الدعابة والمرح ، يغشى معهم مجالس الأدب والفن ، ويرتاد في صحبتهم منتديات اللهو والمتعة .

(١) انظر مقدمة كتاب مسخ الكائنات « ميتامورفوزيس » لأوفيد . ترجمة د. ثروت عكاشة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٢ . الطبعة الثانية ١٩٧٩ . الطبعة الثالثة ١٩٩١ .

(٢) كونستانزا برومانيا الحالية .

(٣) ويشمل القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد .

وتولى أوفايد القضاء حيناً ثم توفي والده مورثاً إياه ثروة استطاع بفضلها أن يتحرر من رتبة الوظيفة التي طالما ضاق بها وأن ينطلق في الميدان الذي يهواه والذي أتاح له أن يخلف للإنسانية مجموعة من الأعمال الشعرية اتسمت بالأصالة والجزالة ، واحتفظت بروبقها على مرّ العصور .

- ٢ -

وكان عهد الامبراطور أوغسطس عهد تفاؤل وتفتح وانطلاق ، وعهد تنفيذ المشروعات المعمارية الكبرى ، وتنمية للفنون والآداب ، لا على يد الامبراطور فحسب ، بل كذلك على أيدي طبقة من رعاة الأدب الذين أثروا في ظل الاستقرار الاقتصادي والسياسي ، فاتجهوا نحو الاعتراف من ينابيع الحضارة اليونانية القديمة ، وغدت « الثقافة الرفيعة »^(١) زاد ذلك المجتمع الذي أطرح الطابع العسكري والانغمار في السياسة ليلتفت إلى إثراء الروح والتأمل في شتى نواحي المعرفة ، والاستمتاع بحضارة تحقق سعادة عاجلة في هذه الدنيا . وانصرفت ميول الطبقة الحاكمة إلى حلبة الألعاب التي يشهد فيها الامبراطور عروضاً تتسم بالإسراف والغلو ، أو الوليمة يقيمها ثرى على مدى أيام تجمع كل ما يبهج النفس ويسرّ العين ، أو الملحمة الشعرية يعيد فيها الشعراء الرومان إلى الأذهان مجد ملاحم الإغريق من خلال موضوعات منتزعة من حضارتهم الفريدة كما فعل فرجيل في « إنبادته » ، فشهد المجتمع الروماني في خلال هذا العهد كثرة من الخطباء من أمثال شيشرون ، والشعراء من أمثال فرجيل وهوراس وأوفايد ، ورعاة الفنون من أمثال المستشار ميسيناس ، والقادة الشبان الملهمين من أمثال مارككولوس ، غير أن الاستبداد ما لبث أن تسرب إلى النظام السياسي ، وتتابع أباطرة مؤثرون مستهترون ، وتزايد الفقراء واللاجئون من أسرى الحرب والأرقاء والشعوب البربرية المهزومة ، ومن صغار الفلاحين النازحين من القرى المجاورة بحثاً عن أرزاقهم في روما بغير أمل ، فوقع المجتمع الروماني في تناقض بين العدالة والاستبداد وبين الديمقراطية والطغيان ، وأمست « الثقافة الرفيعة » بمثابة لحن شجي يرقص له مجتمع الملذات وهو على حافة بركان مدمر . وقد كشف الشاعر هوراس عن هذه الصورة في قصيدة مشهورة له يقول فيها :

« وقبل أن نفرغ من حديثنا

قد يفلت الزمن هارباً ،

ذلك الماكر الغادر

فابقض على يومك^(٢)

ولا تتق مثقال ذرة في غدك ،

. Cultus (١)

. Carpe Diem (٢)

وكانت قد ظهرت في عهد أوغسطس حركة جياشة تهدف إلى تغيير مسار الحضارة وإحياء مثل الماضي وأخلاقياته وتحويل الشعب الروماني إلى مزارعين جادين بسطاء وجنود بواسل وساسة مثاليين . واتجهت هذه الحركة إلى الحياة الخاصة للأفراد محاولة إعادة معايير الأجداد الغابرة وعقائدهم ، والرجوع إلى نماذج العصور الماضية في الفن واللغة والأدب . وكان الامبراطور أوغسطس على رأس هذه الحركة يغذيها ويباركها ، غير أن أوفيد لم ينشط لتأييد هذا الاتجاه الذي تبناه الامبراطور بل اندفع مؤيداً حركة الانطلاق والتفتح .

وقد دفع أوفيد ثمن ذلك حين أخرج على الناس كتابه « فن الهوى » ، فقد وجد فيه الامبراطور مبرراً لنفيه إلى مدينة توميس المهجورة على شاطئ البحر الأسود بعيداً عن أهله وأصدقائه ومتنديات الفكر والأدب ، إذ زعم أن هذا الكتاب دعوة لإباحية ، ومن ثم أمر بحرق كل نسخه .

ولا شك أن القارئ سيجد للوهلة الأولى أن الكتاب حافل بالمجون والخلاعة ، وأن مؤلفه يتناول الحب كطرفة من طُرف الحياة ومتعة من متعتها ، وأن ذلك الحب الذي ينشده المؤلف ليس ذلك القدر المحتوم الذي يجري في التراجمات الإغريقية ، ولا ذلك الهوى المشبوب في رومانتيكات القرن التاسع عشر الذي يستشهد العاشق في سبيله إن لم يصل به إلى حافة الخبل والجنون ، ولا ذلك الحب الصوفي الذي يدلّه فيه المرء ويؤله حتى يفصل عن العالم المادي ويرقى إلى عالم الروحانية المتبّلة لا ينال جسده فيه متعة ، وإنما الحب الحسي الغارق في اللهو وملذات الجسد . وسيرى القارئ أن أوفيد لا يتحرج من أن يعلن أنه لا يكتب عن إلهام من أبولو إله الشعر ولا من ربّات الفنون ، بل بوحى فينوس إلهة الهوى والمتعة . فلقد اختارته هذه الربة الخليعة وصياً على ابنها إيروس [كيوييد] وأستاذاً خاصاً به ، وأنه قد رحّب بقبول هذه المهمة لينتقم من كيوييد الذي يختار العشاق ويربط بينهم بالسهام التي يسدّها إلى صدورهم ، فقد سبق لكيوييد أن مزّق قلب أوفيد بأحد سهامه فأرداه عاشقاً مدّها ، وها هي ذى الفرصة تواتيه لينقذ العشاق من طريق التدلّ والعذاب الروحي منتقلاً بهم إلى طريق المتع الجسدية التي تتطلب خبرة وتجربة واعية .

— ٣ —

يروى أوفيد في « فن الهوى » قصصاً وحكايات يلوّنها بتعليقاته وتفسيراته ، مصوراً مواقف نمطية ، شارحاً للمتلقّي كيف يتصرف إزاءها ، متنبئاً بما قد يكون لدى المرأة من ردود فعل لتصرفات الرجل ، موازناً بين الفرص والمخاطر وبين المزايا والمثالب ، موصياً المحب الذكي باتباع بعض الحيل والمناورات كما يحذره من غيرها ، ضارباً أمثلة بحكايات من الأساطير يسردها في براعة وإبداع ، « ففن الهوى » يعد أكثر مؤلفات أوفيد وضوحاً في هذا المجال . وإذا كان المؤلف يسبغ على نفسه مقومات الأستاذية ، يظل طوال الوقت خلال مؤلفه صافي الذهن يحول دون أن تطمس سحب العاطفة عقله ، فالعاشق المثالي ، كما يراه أوفيد ، ليس بالصبي الحالم الخيالي ولا بالذي يسمح لنفسه أن تفقد ذاتيتها في غياهب العاطفة .

ويتنظم « فن الهوى » ثلاثة كتب ، يشرح المؤلف في أولها كيف يجد طالب الهوى ساعياً ليستولى على قلب خليلته ، وفي الثاني يعلمه كيف يحتفظ بحبها إلى أطول أمد ممكن ، وفي الكتاب الثالث يتوجه إلى المرأة بنصائحه فيعلمها كيف توقع الرجل في حبائلها وكيف تحتفظ به تحت أقدامها أطول مدة .

يبدأ أوفيد عرضه ملخصاً برناجه : فالكتاب الأول يعلم مريده كيف يسعى ليحظى بقلب معشوقته في ميادين الصيد المواتية مبصراً إياه بأن حبه المنشود لن يهبط عليه من السماء دون جهد ، وعليه أن يعرف كيف يتجول منقياً في أنحاء روما التي يمكن أن تمدّه بنساء من مختلف الأنواع .

ولقد وجد في المسرح [الملعب] مكاناً مثالياً يسعى فيه إلى ضالته مستشهداً في ذلك بحكاية رومولوس مؤسس روما الذي كان قد خطط لاختطاف النساء « السابينات » بينا يشهدن مسرحه البدائي ، وحين يصل أوفيد في عرضه إلى هذا الموقف ينطلق سارداً أحداث الأسطورة مُبدعاً في قصتها على صورة تستدر الرثاء وتثير السخرية بينا يعزف على آله في سر تام ، ويلمسات رشيقة يطلق أحياناً مرحة جليلة . وفي أكثر من موضع من كتابه « فن الهوى » يؤيد أوفيد آراءه بسرد مزيد من القصص وكأنه في ذلك يهيم لمؤلفيه التاليين وهما « مسخ الكائنات »^(١) و « تقويم الأعياد الرومانية »^(٢) .

وينتقل أوفيد في الكتاب الثاني إلى معالجة موضوع إخضاع المحبوبة للاحتفاظ بها ما أمكن ذلك . ولعله في هذا المجال قد قدم الفكرة التي جاهر بها بعده مارسيل بروسست وبلخصها بقوله « إن النساء لا يغيثن إلا أن يستسلمن ، وإنه لا معدى عن الهجوم بشجاعة حيث النصر أكيد » . غير أننا نراه في الكتاب الثاني أقل إثارة من الكتاب الأول ، وإن كان أرق منه وأشد اتساماً بالذاتية . ففيه يوصي الشاعر مريده بالألمح على المتعة العابرة حرصه على أن تمتد الصلة الغرامية زمناً طويلاً . إنه ينصحه بالعناية عند اختيار الشريكة ويحذره من الانزلاق في تهور إلى حب فتاة يلقاها عرضاً في وليمة ، فما أكثر ما يزيّف التبيذ والنور الخافت الحكم على صفات المرأة وسماها .

وإذا أنعمنا النظر فيما أسدى من نصائح في كتابه الثاني نجدها في جوهرها تحث على الاتزان والتواضع والمثابرة ، ولكنه يخفى وراء هذا الستار غرضه الذي يعلنه بعد ذلك صراحة إذ يقول إن « الحب حرب » ، مغلفاً قصده برقة تبدو طبيعية تلقائية بينا هي تضرر دهاء وسخرية لاذعة .

وفي الكتاب الثالث يكفّ أوفيد عن توجيه أترابه من الرجال ملتفتاً إلى النساء يسدى إليهن النصيح باقتطاف ورود الشباب في أوانها مثلما فعل رونسار في القرن السادس عشر في « سونيتاته من أجل هيلين » وتغنى فيها بضرورة اقتطاف زهرة الشباب في حينها . وهو في هذا الكتاب يناقض أسلوبه في الكتابين السابقين دافعاً الرجال بالعبث مؤيداً حجته بأساطير تكشف غدر الرجال وتمجد وفاء النساء في براعة

(١) Metamorphoses .

(٢) Fasti .

مذهلة . ولا يخفى ما فى هذا من خبث . . . إذ أن النهاية ستظل كما أرادها تحقيقاً لأهدافه الواقعية التى ينشدها من وراء مؤلفه ، فلا يهّم مَنْ البادىء باستخدام الحيلة ، وما مِنْ أذى ينال أحد الطرفين فى لعبة الحب طالما أجاد اللاعبان أداءها ، فكلاهما سيعتبر بنصيبه من المتعة المتبادلة .

« وفن الهوى » قصيدة شعرية تعليمية على الوزن السداسى لم تجاف نسق الشعر فى عصرها حيث كانت القصائد التعليمية الإرشادية هى بدعة العصر ، وكان للشاعر أن يضمّن النصح شعره التعليمى فى أى موضوع يشاء . فإميلیوس ماسر — صديق أوفيد — قد نظم شعراً سداسى التفعيلات فى سموم الأفاعى والعقاقير الطبية ، بينما نجد الشعراء الآخرين يضمّنون شعرهم نصائح فى آداب اللياقة وفى أنماط الألعاب والرياضات البدنية المختلفة أو الاحتفاء بالزائرين فى المنازل أو تنظيم ولائم العشاء . ولقد جرى أوفيد فى « فن الهوى » معاصريه من الشعراء فتناول فيه الحب على أنه نوع من أنواع الرياضة أو اللعب والتسلية الاجتماعية^(٣) .

والحب وإن كان لا يسهل إخضاعه للجدل العقلانى إلا أن شعر الغزل الجنىسى فى روما كان يُناقش منذ البداية على أنه قضية من القضايا التى تُلقن ، حتى أن مجموعة من السداسيات التى لا يربط بينها رابط قد نظمت لتمثل كل الوجوه والنواحي الرئيسية للعاطفة فى أمثل صورها وأكثرها إمتاعاً للنفس . وبهذا المنحى يبرز أوفيد معاصريه من الشعراء الذاتيين مثل تيبولوس وپروپرتيوس اللذين كانا لا يعكسان غير أحاسيسهما الشخصية ، وهكذا كان أوفيد فى صراحته المحيرة وتهكمه اللاذع أبرع منهما وأكثر فطنة فى إخفاء ذاتيته . ولعل هذا واحداً من الأسرار التى كتبت لهذه القصيدة الخفيفة التى تجمع بين الاستهتار والعريضة والحكمة أن تعيش إلى يومنا هذا دون أن تفقد نضارتها رغم مضي السنين .

— ٤ —

ويتميز أسلوب أوفيد فى هذا الكتاب بخصائص عامة ، أهمها وضوح الرؤية والموضوعية ، والذكاء ، وخفة الظل ، والسخرية ، والثقافة الواسعة ، وحبه للدعابة وكراهيته للحرب والقسوة ، وافتتانه بالحياة والمتعة ، وهيامه بالمرأة مدرّكاً ما فيها من مفاتن ناعياً نواقصها . كما يتميز بقدرته على الانتقال من موضوع إلى آخر فى لطف ومهارة بحيث لا يكاد يلحظه القارئ .

ومن قبيل خفة ظله افتتاحية كتابه الأول حين يصف كيوييد « بالصبي الغضّ ربّ الهوى » ، ويدّعى أن فينوس أم كيوييد قد اصطفتة وصياً على ابنها ، ذلك الصبي الإله الذى طالما جرح قلبه بسهامه فيما مضى ، وأنه قد آن الأوان ليثار لنفسه منه .

(٣) ألف أوفيد بعد نفيه قصيدة سلوان الحب Remedia Amoris يستحث الناس فيها على اطراح الهوى والانصراف إلى ما هو مفيد كالزراعة والرماية والصيد والأسفار .

ثم ينتقل ليشبه الحب بالحرب ، وأن مركبته لا تعدو حدود هذا الميدان الممتع ، ويظلّ يردّد هذه الدعابات خلال كتابه الأول ، ويعود إلى تردادها في كتابيه الثانى والثالث ، فيقول فى تصديره لكتابه الثانى :

« بأهازيج النصر اشدُّ يافى ،
ثم اصدح مهلاً أنى مضيت .
فها هى ذى من كنت أطاردها تقع فريسة فى الشراك .
وليتوج ياكليل الغار جيبى من سعد فى عشقه ،
وليرفعنى فوق مرتبة هسيود شاعر أسكرا ،
وهوميروس الضرير حكيم مايونيا العجوز » .

وبين الحين والحين يردّد مثل هذه الدعابات حتى يصل إلى كتابه الثالث فيصدّره بقوله :

« أى پتسيليا يامليكة الأمازونات ،
إن أكن قد سلحت الإغريق لغزوكن ،
فقد جمعت لكن فى جعبتى أسلحة فتاة ،
لتكون معركتك مع الرجال متكافئة
فتلحق محارباتك الهزيمة بمن تشملهم فينوس الحانية برعايتها ... » .
ولا تكاد تمر صفحات من الكتاب حتى يعود إلى مداعباته فى رقة بالغة ، وإتقان مبدع .

وبما ينصف أوفيد فيما انتهجه فى « فن الهوى » بدؤه الكتاب الأول بما يوحى أنه سوف يترك جانباً الحرائر المحصنات ، وأنه سيقصر نصائحه على الإيقاع باللاهيات فيقول :

« وأنتن أيتها الحرائر المحصنات
اللاتى تعتمرن شعوركن بعصابة الحفر الرهيفة
وتسخرن أقدامكن وراء التورات المرسلّة .
فلا تدنؤن منى ودعنى أغنى للهوى المأمون
وأشد أسرار الهوى المباح ، لا حرج عليه ،
وأناى بشعرى عن مشبوه المآخذ » .

ويمضى أوفيد ، مرة أخرى ، فى مداعبة الأزواج حين يطلب من المرأة اللاهية أن تلقى فى روع حبيبها الخوف والغيرة من زوجها ، ثم يستطرد فى نصائحه للزوجة فيقول :

« أوشكت أن أغفل سرد الأساليب
التي تخدعين بها زوجاً ماكراً أو حارساً يقظاً .
فلا بأس أن تخشى العروس زوجها وأن يحرسها هو أدق حراسة ،
ولكن لا يسوغ للزوج أن يتجسس عليك » .

ولا ينسى أوفيد أن ينصح العاشق باجتذاب زوج فاتته ، فلن يجديه شيء مثل هذه الصداقة . ولكم استخدم المسرح الفرنسي طوال القرون الثلاثة الماضية هذا الموقف ، كما استخدمه مسرح عصر عودة الملكية في إنجلترا المتأثر بالمسرح الفرنسي في أواخر القرن السابع عشر .

وهو يستخدم أحياناً عبارات جادة معروفة لبعض معاصريه من الشعراء في مواقع عابثة . من ذلك عبارة فرجيل المشهورة : « هذا هو العناء بعينه ، وهذا هو العمل الجاد » ، فقد ختم مجموعة من الأبيات الساخرة عن تقديم الهدايا للمعشوقة بقوله :

« بلا هدايا مُسَبِّقة اظفر بحب معشوقتك .
هذا هو العناء بعينه وهذا هو العمل الجاد » .

ويستحيل علينا أن نتابع سخریات أوفيد وخفة ظله ، وإلا لنقلنا أكثر الكتاب إلى المقدمة .
ويبدى أوفيد في هذا الكتاب تمسكه بقيم تنطوى على المروعة ، فنراه يدين أولئك الذين يدنسون أسرار فينوس ويتباهون بمغامراتهم الغرامية الناجحة ، وأولئك الذين يغتصبون الفتيات لا شيء سوى تلطيخهن بالعار ، ويشجب المفترين على السيدات بغير حق :

« كان الإحساس بالحياء عميقاً في نفوس البسطاء
بيننا نختال اليوم بمغامراتنا الليلية .
ونتكالب على دفع أبهظ الأثمان
في سبيل علاقة نزهو بها

.....

وكم يهون ذلك إلى جانب ما يخلقه قومٌ من إفاك على نساء ،
ولو كان هذا الإفك حقاً لأخفوه في إصرار ... » .

ويعكس الكتاب ما في نفس أوفيد من أنه رجل سلام يكره الحرب والعنف رغم تملقه الامبراطور في أبيات معدودة تشيد بالحروب ، ولعلها أضعف ما جاء فيه من شعر وتصوير ، وهو ما يؤكد أنه لا يؤمن بما يقول .

غير أن المرء حين يصل إلى نهاية الكتاب لا يلبث أن يحس بأن هذا الكتاب رغم كل مجونه وطرافته ومزاحه ليس وصية لهو أو رسالة هوى أو قصيدة وصال ، بل إنه أبعد من كل ذلك . إنه لوحة بالغة الدقة والروعة فائقة الذكاء والحنكة تعرض لهذا المجون الذي كان شائعاً في أوصال الطبقة المتميزة من أهل روما . ولا يكاد المرء يتردد لحظة في أن يكشف غضب الامبراطور على هذا المنحى الماكر الذي نحاه أوفيد ليفضح هذا العصر في عباءة أستاذ معلم للغرام ، وخاصة وهناك لحظات أفلتت من أوفيد وكشفت قصده واعترف فيها بإدانتته لهذا المجتمع وأخلاقياته حين يقول :

« هذى حيلٌ من غزلِ العصر ، يسسطها سخياً جوّ الملعب
« والفُورَمُ » أيضاً يَمْنَحُكَ الفرصةَ كاملةً
رغمَ رمالِ الأرضِ المبتلةِ حُزناً ، سُخْطاً
حيثُ تُراقِ دماءُ لتسرّي عن الجَمْعِ »

وهل يمكن أن يجد المرء إدانة أكثر مرارة من هذه اللوحة في مجتمع يتسلى بإراقة دماء العبيد
« المجالدين » بينما السادة ينصبون الشباك ليوقع كل منهم بامرأة صاحبه وزميله ؟
وفي مكان آخر يكشف أوفيد عن ندرة الوفاء والصراحة والصدق ولا يتردد في إدانة هذا المسلك
فيقول :

« فالخداع تحت ستار الصداقة نهج آمن مطروق ،
وإن كان نهجاً آمناً » .

كما يقول :

« فإله الخمر يجلو ما يحبىء مُعَاقِرُهَا ويحلّ لسانَ الثمل ،
فيثرثر في صراحة ما أندرها في هذا العصر » .

ويرتفع أوفيد إلى قمة الروعة حين يسخر من هذا المجتمع الزاخر بالكذب والنفاق ومن أخلاقياته
ومن آلهته فيقول :

« اختر أى إله شئت تُشْهده على قسمك
فجوبيتر في عليائه يضحك ملء شذقيه على قَسَمِ العشاق الكاذب ،
ثم ما يلبث أن يأمر رياح أبولوس بأن تَذَرُوهُ أدراجها
ولكم أقسم لچونو بنهر ستيكس زيفاً
فما أحراه الآن أن يناصر من هم على شاكلته
حقاً ، إنه من الخير أن يكون ثمة آلهة فلنؤمن إذن بوجودهم » .

وينسب بعض الشراح إلى أوفيد قول شكسبير على لسان چولييت : « يقول الناس إن چوبيتر يسخر
من وعود العشاق الكاذبة » [روميو وچولييت بيت ١٣٦ - ١٣٧ فصل ٢ مشهد - ١] مما يشهد بقوة الأثر
الذى تركه هذا الشاعر في الأجيال التالية .

ومن الصعب أن يتصور القارئ الذكى أن أوفيد يوجه نصيحاً حين يقول :
« تجمل بالصبر إن لوحت فتاتك لمنافس ،
وغض الطرف عن رسالة كتبها له .
دعها على رسلها تغدو وتروح ،

فمن الأزواج من يكون هذا نهجه مع زوجته الشرعية ،
حين تَغشى أيها الكرى الحاني فتَهُونُ على الأزواج غفلتهم .

وما يملك المرء إلا أن يسلم بجانب هذا الوضوح بأن أوفيد يرسم لوحة لعصره تحت ستار لا يكاد يُخفى شيئاً ، ويوجه الاتهام صريحاً إلى رجال ذلك العصر الذين يتركون لزوجاتهم الحبل على الغارب ، ويأتى النعاس فيغشى عيونهم متيحاً للزوجات فرصاً أوسع للخيانة والفسوق . ثم إنه يعقب هذا الاتهام الصريح بمقارنة بينه وبين هؤلاء الأزواج الذين نضبت من قلوبهم النخوة فيقول :
« أترانى أضبرُ على غريمٍ يلوحُ لعشيقتي بين عينيَّ
دون أن أطلق العنانَ لفورة غضبي ؟ » .

ويأتى هذا الحديث الصريح وسط نصائحه الغريبة بأن يكون العاشق حصيفاً فيترك لسواه أن يلج باب عشيقته وأن يتستر على خياناتها إن شاء أن يبلغ كمال الحصافة حتى يأتى يوم فتُصارحه عشيقته بخياناتها دون أن يحمرَّ وجهها خجلاً . ترى أى نصائح تلك التى يمكن أن يستفيد منها هنا عاشق حصيف ؟ إن الأمر أكثر وضوحاً من أن نحاول له تفسيراً . إنه اتهام للعصر بمزاولة نوع من العُهر الرخيص . على أننا لا نملك مع ذلك إلا أن نشير إلى تلك الخاتمة الرائعة التى أنهى بها أوفيد نصائحه فى التستر على الخيانة حين جمع آلهة الأوليمپ يشهدون فينوس تحون زوجها فولكانوس فى رفقة مارس ويسخرون من الزوج المخدوع . ثم إن هناك عدداً من النصائح التى تظهر جدية أوفيد رغم هذا الإطار الملجن الذى اختار الحديث من خلاله ، فهو ينصح الرجل قائلاً :

« كن على ثقة بأنك لن تحتفظ بعشيقتك ،
إن لم تضيف هبة العقل إلى ميزات جسدك .

.....

إذن فلتكن لنفسك روح مشرقة صنو لجمالك ،
فهي وحدها تبقى إلى جوارك حتى ساعتك الأخيرة فوق المحرقة .
واصقل فكرك بالفنون والآداب ولا تهون من شأنها ،
واغترف من اللغتين سحر القول .

ولا شك فى أن هذه النصائح الجادة تتطلب جهداً ووقتاً لا يترك للمرء الانغماس فى اللهو المألج الذى يظهر على سطح الكتاب دون أن يخفى مع ذلك غرضه الحقيقى الدفين ، وهو إدانة تلك الأرستقراطية التى يترفع فوقها الامبراطور مدعياً حمايته للفضيلة وهو لا يفعل فى الحقيقة إلا التستر عليها .

أعتقد أن من حقنا بعد ذلك ألا نصدق صحة الاتهام الذى وجهه الامبراطور أوغسطس لأوفيد حين زعمه داعية إباحيا فى كتابه « فن الهوى » ، وأن نميل إلى الأخذ بما رواه بعض المؤرخين من أن أوفيد كانت له علاقة جسورة مع الأميرة جوليا حفيدة الامبراطور التى انغمست فى العديد من صلات العشق مما انتهى

بافتضاح أمرها ، وأن هذه المغامرة الطائشة كانت السرّ الحقيقي وراء نفى الامبراطور لأوفيد ، فاتخذته من بين الكثرة الكثيرة من عشاقها كبشاً للفداء ، زاعماً أن محتويات الكتاب كان لها حظ كبير في إفساد أخلاق حفيدته التي انتهت الأمر بنفيها هي الأخرى . حقا لقد صمت أوفيد عن الخوض في هذه المسألة ، ولم يذكر حين سئل عن سرّ غضب الامبراطور عليه إلا أنه قد أفشى سرا لم يكن من حقه أن يذيعه . ولكن هذا يوحى إلى المرء بأن كتاب « فن الهوى » الذى ألفه أوفيد قبل ذلك بوضع سنين كان رسالة خاصة من أوفيد إلى قيصر أوغسطس يدين فيها المجتمع الانحلالى الذى رفض الامبراطور أن يترك أوفيد لينعم فيه بدفع إحدى أميرات القصر . ولا شك أن الامبراطور قد فهم ما رمى إليه أوفيد من فضح خفايا هذا المجتمع الأرستقراطى الزائف ، ولم يكن نتاج ذلك إلا مزيداً من الغضب على هذا الشاعر العملاق .

— ٥ —

أما حرصه على سرد الأساطير ، وصياغته لها وربطه للواقع بالأسطورة فهو في الحق سمة هذا الكتاب وميزته الكبرى ، تتنظمه من أوله حتى منتهاه ، تأسر القارئ وتطوف به على أجنحة رقيقة محلقة ، تدفع نفسه سر الإبداع الشعري لهذا الفنان القدير . هذا إلى ما كان لأوفيد من معرفة عميقة بكل خفايا حياة عصره ، حتى وصل إلى دقائق أسرار الزينة لدى الرجل والمرأة على السواء مما يجعل من شعره لوحة متكاملة نطالعه فنطالع فيها عصره بأكمله .

إن خبرة أوفيد بما في طبع البشر لاسيما الإناث ، وإلمامه بالحياة الاجتماعية في روما ، فضلاً عن معرفته بعالم الحيوان بما يدور فيه من صيد وفلاحة وملاحة ، مما منحه قدرة معجزة على إطلاق التشبيهات البسيطة اللافتة ، إلى جانب انتفاعه بالقصص الماثور الذى لم يجد مندوحة من تضمينه كتابه حرصاً منه على ألا يفوته من ذلك التراث الرائع شيء ، هذا كله يتألف مع عناصر أخرى كالدهابة والسخرية وسرعة البديهة ، ليضفى على قصيدته « فن الهوى » في النهاية جاذبية لا تُبارى ، جعلتها جديرة بأن تكون أحد الأعمال الفنية المنبثقة من مجتمع روما المتألق المستهتر خلال عهد الامبراطور أوغسطس ، فلا عجب إذن أن تكون قد أثارت غضب الامبراطور .

ومن العسير علينا تصديق أوفيد حين يدعى أنه لم يقصد النيل من القيم الأخلاقية في روما ، فلا شك أنه كان يعلم تمام العلم أن ثمة فوارق واضحة في مجتمعه كانت تميز بين الحرائر المحصنات^(١) والعداري^(٢) واللاهيات^(٣) . وكان أوفيد يدعى أن « عظاته » موجهة إلى الفريق الأخير من النساء دون غيره ، بيد أن ما يصرّ على أن يسوقه من حجج ليؤيد بها زعمه يشي بغير ما ادّعى .

(١) Matronae المعنى الحرفي هو ربة الأسرة .

(٢) Virgines .

(٣) Libertinae .



ديلاكروا: أوفيد في منفاء بمدينة توميس المهجورة على شاطئ البحر الأسود. الناشونال جاليري، بلندن

ويقيناً إن من يرى أوفيد شاعراً يؤمن بأن إشباع الحواس هو الخير الأسمى ، مخطيء في نظرته إليه ، فأوفيد يأنف من أن تكون العشيقة بغياً (الكتاب الثاني ٦٨٥ وما بعده) ، ويصرّ على أن تكون امرأة مثقفة^(١) أو فتاة عالمة^(٢) . ويتجلى من خلال كتابه أن تثقيف العقل من الأهداف التي كانت تصبو إليها السيدات اللاهيات ، يبدل في سبيلها جهوداً مضنية ، وإن كانت قلة من بينهن يصلن إلى ما يتقن إليه . وأية ذلك أن أوفيد كان يطالب المرأة بأن تحذق الفنون واللغات ، وأن تطالع باليونانية أشعار كاليماخوس وفيليتاس وأناكريون وميناندر وسافو ، هذا إلى جانب الأشعار اللاتينية المعاصرة . ومعنى أوفيد في مطالبة المرأة بأن تتألق ، وأن تجيد السير والضحك والرقص والغناء والعزف والإلقاء ، إذ كان هو نفسه يعزّز بما عُرف عنه من رهاقة الحسّ ، فلقد بلغ من الذوق السليم الذروة ، لذا لم يكن إرضاءه بالأمر اليسير ، أو

Culta (١)

Docta Puella (٢)

لعل هذا كان على الأقل مما يهدف إلى إلقائه في روع قارئيه . لقد كانت الثقافة بالنسبة لأوفيد هي شعار العصر الذي يحياه ، وكان أوفيد إلى ذلك يعد نفسه ذا حظٍ إذ عاصر تلك الفترة .

- ٦ -

ليس بغريب إذن أن يكون أوفيد قد انتزع إعجاب الكثرة من علماء العصور الوسطى وتقديرهم ، لاهتمامهم بالتراث اليوناني واللاتيني ، فكان القديس إزيدور الإشبيلي (٧٥٠ — ٦٣٦ م تقريباً) [صاحب كتاب « مشاهير الرجال » والذي يعد من أهم المراجع في دراسة تاريخ القرون الوسطى] يحدّر من مطالعة شعر أوفيد لما فيه من مجون ، ولكنه مع ذلك لم يستطع مقاومة تيار الولع به في عصره ، بل لقد ذكره هو نفسه في كتبه أكثر من عشرين مرة مقتبساً من شعره . واتخذ القديس العلامة فوجيتيوس^(١) (٤٦٨ — ٥٣٣ م) من كتابي « مسخ الكائنات » و « فن الهوى » أساساً للقصص الرمزية الأخلاقية التي دونها في كتابه « الأساطير » . أما العلماء الذين أحاطوا بالامبراطور شارلمان فكانوا يتدربون على كتابة أشعار لاتينية تحاكي شعر أوفيد . بل لقد أصبح أوفيد لهم مثلاً يحتذى في نظم الشعر وفي اختيار موضوعات الشعر نفسها ، مما أسفر عن ظهور ما يسمى « بالعصر الأوفيدى »^(٢) .

وكان الشعراء الجوّالون « التروبادور » في جنوب فرنسا و « المينيزنجر » في ألمانيا يتغنّون بموضوعات يغلب على الظن أنها كانت مقتبسة من قصائد أوفيد ، كما عدّه الطلبة الجوّالة « الجوليارد » الذين نظموا الأناشيد البورانية^(٣) الشهيرة أستاذهم وأحبّ الشعراء إلى نفوسهم .

ولقد أشار فنسان دي بوفيه^(٤) (١١٩٠ — ١٢٦٤ تقريباً) إلى أوفيد أكثر مما أشار إلى أى شاعر آخر في تاريخ الأدب كله واقتبس كثيراً من شعره ، غير أنه لم يكن دقيقاً في اقتباسه مما يدل على أنه كان يعتمد على ذاكرته في هذا الاقتباس في موسوعته المشهورة « المرأة الكبرى »^(٥) التي ضمت أغلب معارف عصره في أجزاء ثلاثة . كذلك عدّه دانتي نموذجاً للبلاغة والأسلوب الرصين ، وحفظ الشاعر الانجليزي تشوسر الكثير من أبيات « فن الهوى » و « مسخ الكائنات » كما ترجم منها أجزاء إلى اللغة الإنجليزية الوسطى [أى الإنجليزية الشائعة في العصور الوسطى] .

أما أثر أوفيد في نزعة « الحب الرفيع » في شعر العصور الوسطى في أوربا — الذي كان يشبه الهوى العذري لدى العرب — فيتجلّى واضحاً ، كما يبدو أن أصول المغازلة التي كان شعراء العصور الوسطى يوصون بها ، كانت شديدة القرب من تلك الأصول التي ذكرها أوفيد ساخرأ منها في كتابه « فن الهوى » .

. Speculum Maius (٥)

. Carmina Burana (٣)
. Vincent De Beauvais (٤)

. Fulgentius (١)
. Actas Ovidiana (٢)

وصحيح أن نساء أوفيد ينتمين إلى نهج من الإباحية في مسلكهن الأخلاقي ، وأن نساء الحب الرفيع ينتمين إلى مجتمع أرستقراطي مغلق يُدْمَغ أي انحراف عن جادة العفة ، إلا أن سبيل إغرائهن مع التزام السرية التامة في المغازلة كانت أمراً شائعاً في أوساط شعراء الحب الرفيع ومشابهة لأساليب أوفيد ، الأمر الذي جعل بعض شُرَّاح الحب الرفيع في العصور الوسطى يعدّون هذا التقليد في الشعر استمراراً للتقليد الأوفيدى . وكما قال العلامة الانجليزى ك.س. لويس^(١) في كتابه [قصة الحب الرمزية]^(٢) « إن شعر العصور الوسطى كان على نهج أوفيد وقد أسىء فهمه »^(٣) ، إذ أخذوا دعاباته على محمل الجد .

وتفسير ذلك من الوجهة التاريخية في رأى الأستاذ لويس ، يرجع إلى أن نظرة المجتمعات المسيحية في أوروبا بعد سقوط الحضارات الوثنية الرومانية والبربرية الجرمانية ، لم تغير كثيراً من مفهوم الناس للحب ، فكان الزواج لا يزال رهن اعتبارات لا صلة لها بالعواطف تسيطر عليها عوامل المصلحة ، والتحالف بين الأسر ، والتيارات السياسية ، في حين انحصرت عاطفة الحب في نوعين : أولهما ديني تصوّف ينتظم الضراعات للعدراء مريم ، وثانيهما ماسمى في لغة الشعراء الجرمان في العصور الوسطى « بخدمة السيدة »^(٤) أى الخدمة العاطفية العذرية لزوجة السيد الإقطاعى الذى يُعدّ حامياً عسكرياً للمنطقة التى بها قصره ، يعيش الشعراء الفاطنون بها في حماه ، وكذلك الشعراء الجوّالون من أمثال التروبادور في بروفانس والتروفير في شمال فرنسا . وهكذا فمن الطبيعي أن يتصف هذا الحب اليائس بكل خصائص المبالغة العاطفية التى تميّز الحنين إلى المستحيل والبعيد عن متناول اليد ، وإن كان الوصال يقع أحياناً . ولقد أجمع المؤرخون للقرون الوسطى على أن الحب الرفيع إنما هو نقل للسخرية والهزل في « فن الهوى » إلى مجال الجدّة .

وفى سنة ١١٦٠ ترجم الشاعر الفرنسى كريتيان دى تروا^(٥) « فن الهوى » إلى اللغة الفرنسية القديمة ، وإن كان النص قد اندثر الآن ، ولا نشك في أن تلك الترجمة أسفرت عن أزمة ضمير في نفوس الشعراء المسيحيين آنذاك ، مما دفعهم إلى محاولة تبريرها تبريراً يتفق والجو المسيحى السائد .

وفى أواخر القرن الثانى عشر دَوّن الشاعر الفرنسى أندرياس كاپيلانوس^(٦) كتاباً باللاتينية اسمه « كتب ثلاثة عن الحب »^(٧) وضع فيه بطريقة منهجية كل القواعد والنصائح التى أوردها أوفيد في كتابه ، ولكن بقصد تطبيقها على مواقف الحب الرفيع ، ورغم ذلك فقد ثار الرأى العام المتزمت ، واعتبر هذا التحوير امتداداً للإباحية التى وردت في « فن الهوى » .

(٣) Ovid Misunderstood

(٢) The Allegory of Love

(١) C.S. Lewis

(٥) Chretien de Troyes

(٤) بالألمانية Frauendienst . بالفرنسية Amour Courtois . بالإنجليزية Courtly Love

(٦) Andréas Capellanus وهذا هو الاسم اللاتينى الذى عرف به أندريه راعى الكنيسة André Le Chapelain كما كان يسميه معاصروه ولا نعرف له اسماً آخر .

(٧) De Amore Libri —Tres

وتتابعت بعد ذلك محاولات لنقل معاني الكتاب بأسلوب غير مباشر إلى قراء القرون الوسطى ويصوبة لا تجرح العرف الأخلاقي ، من أهمها الملحمة الشعرية الرمزية المسماة « قصة الورد »^(١) التي كتبها ولم يتمها جيوم دي لوريس^(٢) في النصف الأول من القرن الثالث عشر على شكل حلم يراه الشاعر ، ينشد فيه عشق وردة جميلة في بستان منيع ، تُساعده تارة على إدراكها وتمنعه من ذلك تارة أخرى صفات مجردة مجسدة ، مثل القول الرقيق أو الحسد أو التضرع أو العقّة أو ما إلى ذلك . وفي أواخر ذلك القرن كتب الشاعر جان دي مون^(٣) تكملة طويلة لهذه الملحمة ولكن بروح مختلفة هي روح السخرية ومهاجمة النساء وازدراثن . وتنبع أهمية هذه الملحمة من أنها ترجمة رمزية للمعاني التي وردت في « فن الهوى » بحيث ترضى ذوق قارئ أرستقراطي حسّاس يجذبه الولع بأوفيد من ناحية ويشده حب التستر وإخفاء الفضائح من ناحية أخرى .

ومع ذلك كله لم تنحصر موجة انتشار كتاب أوفيد ، فاصطر رجال الكنيسة أن يرتضوا ما جاء فيه بعد أن أولوه ، فكتب أحد القسس كتاباً باللغة الفرنسية القديمة لما جاء على لسان أوفيد فيه تأويل رمزي^(٤) (١٣٠٠ م) ، رمز فيه بالخبيب إلى الفضيلة والتقوى ، وبالمحب إلى الناسك المتعبد على غرار شعر التصوف لابن الفارض في الأدب العربي ، و « المتنوى » لجلال الدين الرومي في الأدب الفارسي .

— ٧ —

بهذه العجالة أردت أن أبين أهمية كتاب « فن الهوى » في التراث الأدبي العالمي ، وأن أقدم للقارئ محاولة يسيرة لتفسيره من وجهة نظر أراها . وعلى حين كانت الرغبة التي استأثرت بوجداني طوال صياغتي لهذه الترجمة هي أن أقدم نصاً يتميز إلى جانب — نقله لفكر المؤلف — بالبساطة والوضوح اللذين يجتذبان القارئ ويشيعان في نفسه الإحساس بالمتعة التي يجدها قارئ النص الأصلي في لغته اللاتينية ، فقد واجهتني خلال هذه المهمة عقبتان : كانت أولاهما هي ازدحام النص بأسلوب الالتفات ، وهو الانتقال المفاجيء من صيغة الخطاب إلى صيغة المتكلم أو الغائب أو عكس ذلك ، وهو أسلوب لا يشيع في العربية بقدر ما يشيع في الشعر الملحمي اللاتيني . وقد حاولت قدر جهدي أن أقلل هذه الانتقالات حيث يصعب فهمها أو تكون مصدراً لبلبلة القارئ . وكانت ثانيتهما إفراط المؤلف في الاستشهاد بأسماء الآلهة وأبطال الأساطير اليونانية والرومانية التي كانت معروفة أيامها للقارئ العادي في حين أنها لا تعطى نفس إيجاءاتها ودلالاتها للقارئ العربي المعاصر الذي لم تتح له قراءة معمقة في الكلاسيكيات والأساطير القديمة . ومع أني

. Jean De Meung (٣)

. Ovid Moralisé (٤)

. Le Roman de la rose (١)

Guillaume de . Lorris (٢)

قد أضفت في نهاية كل فصل تعقيبات تناولت عدداً كبيراً من أساء الآلهة والأبطال وشيائهم إلا أنني سمحت لنفسى أن أقحم هنا وهناك عبارة مفسرة قصيرة وراء بعد الأسماء أو الأماكن أو الأحداث حتى لا أقطع على القارئ متعته حين يجد نفسه مضطراً لتقليب الصفحات والبحث بين التعقيبات عن تفسيرات لما يقرؤه . ولعل أكون بذلك قد أعنت القارئ غير المتخصص على مواصلة المطالعة المريحة ، دون أن أكون قد أثقلت القارئ المتخصص بوقفات هو في غير حاجة إلى التريث عندها .

وإني لأستميح قارئى عذراً في الأبيات القليلة التي جاوزت فيها النص اللفظي دون خروج عن المعنى أو ابتعاد عن الروح النابضة في خفايا الكلمات ، فحوّرت حيناً وقنّعت بعض العبارات بقناع من الحياء حيناً آخر ، ليتفق والذوق العربي . وكان هذا وذاك على قدر ما وسعني الجهد الذي حاولت به ألا أخرج على النص أو أجانبه .

وقد رأيت أن أطرح جزءاً يسيراً من الكتاب الثاني من البيت ٦٨٠ إلى البيت ٦٩٣ ، ومن البيت ٧٠٦ إلى البيت ٧٠٩ ، ومن البيت ٧٢٦ إلى البيت ٧٣٢ ، وجزءاً آخر من الكتاب الثالث من البيت ٧٧٤ إلى البيت ٨٠٧ ، لأن فيها ما يחדس الحياء .

كذلك زوّدت الكتاب بجملّة من أمّهات اللوحات المصورة — خلت من بعضها الطبعتان السابقتان — من إبداع أساطين الفنانين العالمين ، متأثرين بما كتبه أوفيد وغيره من أساطير الأقدمين ، موقنا أن تعزيز الصورة الأدبية بصورة مرئية مما يدعّم إحساس القارئ بالنص الذي يطالعه . وإلى أمناء المتاحف التي استقيت هذه اللوحات منها أزجى شكرى .

واعتمدت في ترجمتي هذه على الترجمة الإنجليزية الحرفية التي أرفقها ج. هـ. موزلى عند تحقيقه لقصائد « فن الهوى » مع مجموعة أخرى من قصائد أوفيد القصيرة في سلسلة مكتبة لوب الكلاسيكية طبعة ١٩٦٢ . كما استعنت بالترجمة التي قام بها ج. لويس ماى طبعة « بّست سِلر ليبرارى » ١٩٥٩ ، والترجمة الشعرية الرقيقة التي نظمها ب. ب. مور طبعة « فوليو سوسايات » ١٩٦٧ ، والترجمة الفرنسية التي أداها إيمان ده جرّول في القرن التاسع عشر ، العدد الثاني من سلسلة أنتيكوا طبعة بوكاسيه . وقام الأستاذ الدكتور مجدى وهبة مشكوراً بمقابلة ترجمتي العربية على النص اللاتيني الوارد بالكتاب نفسه ، والذي يعتمد على مخطوطتين إحداهما مخطوطة ترجع إلى القرن التاسع الميلادى ، بمكتبة بودلى في أوكسفورد ، وذلك بالنسبة للكتاب الأول فحسب . أما الثانية الموجودة بباريس فترجع إلى القرن العاشر الميلادى وتشمل الكتب الثلاثة .

وحين فكرت في طبع الكتاب طبعة ثانية رأيت ألا التزم بالصياغة الأولى فأحوّرها بعض التحوير ولا أساير النص بحرفيته كما فعلت أولاً ، بل أنفذ إلى روحه فهذا أجدى للقارئ العربى الذى سيجد أنه ليس

ثمة خروج عن روح النص لا بقليل أو كثير . وكما فعلت مع الطبعة الثانية فعلت مزيداً في الطبعة الثالثة وبعد أن راجعها الأستاذ الدكتور مجدى وهبه استأنست بالأستاذ الدكتور أحمد عتمان الذى له هو الآخر ضلوعته فى اللغة اللاتينية ، حرصاً منى على أن أكون كما قلتُ قبلُ مسيراً للنص بشاعريته . وكم أسعدنى أنه رآنى على الجادة لم أنحرف قيد أنملة ، فله منى جزيل الشكر .

ثروت عكاشه

رودس فى ١٧ يولييه ١٩٩٠





اجتماع آلهة الأوليمب. القرن ١٦. متحف اللوفر، باريس

الكتاب الأول



الكتاب الأول

أيا مَنْ لا يعي من فن الهوى شيئاً ،
عُدَّ إلى قصيدى وتأملهُ ملياً .
فلسوف تُصبحُ في فن الهوى عبقرية .
فكما يشقُّ الرِّبَانُ الحاذقُ العُبابَ بسفيته آمناً ،
وكما يطوى قائدُ المركبة الماهر بمركبته الأرض طياً ،
كذا يُدَلِّلُ المحبُ الفطنُ الهوى لقياده .
وكما مَلَكُ أوتوميدونُ عنان خيل مركبته في السُّباق .
ومَهَرُ تيفيس في توجيه دفة سفينة الأرجو في عُرضِ الخِصَمِ^(١) ،
كنتُ أنا مَنْ اصطفته فينوس وصياً على الفتى الغض [كيوييد] ربَّ الهوى ،
ونصبتى لهذا الفن أستاذاً .
وإذا كان تيفيس للسُّفين رُبَّاناً ، فأنا رُبَّانُ الهوى .
وإذا كان أوتوميدون للمركبات قائداً ، فأنا قائدُ قافلة الهوى .
ألا ما أشقُّ ترويض ذِيَاكَ الصَّبى ، الذى لا يفتأ يُشاكسنى مع أنه لا يزال غُرّاً .
ثم ما أسرع ما يُلقى إلى زمامه ، فأقوِّمُه وأوجِّهُه إلى حيث شئت .
لكن القنطور خيرون الطفل [أخيل] جفيد آياكوس عزف الفيثارة فأجاد ،
حتى غمرَ النغمُ وجدانه الجامح بالسكينة .
ويُروى أن البطلَ أخيل مثيرَ الذعر في قلب الخصم والصيدى معاً ،
كان يهابُ معلِّمه القنطور العجوز ،
ويُسِّطُ طواعيةً لعصا خيرون كَفِّيه اللتين صرعتا هكتور الجبار .

وكما كان خيرون لأخيل أستاذا فأنا أستاذ ربّ الهوى .
وكلاهما - أخيل وربّ الهوى - صبي شديد المراس ،
ولا غرو فكلّ منهما ابن إلهة .

٢٠ وكما يُطأطأ الثورُ عُنقه تحت وطأة النّير ،
وكما يلقمُ الجوّادُ الأبّ العنان في فمه يلوّكه على مضض ،
كذا ، سارّوض ربّ الهوى ،
وإن أصاب صدرى بسهام قوسه ،
أو لّوح بشعلته من فوق رأسى مهّدا ،
فأنا قد يرّ على الثّار لجرّحى مهّما أثختنى الطعنات .
وما أنا بزاعم أن فى هذا هبة منك يا فويوس [أبوللو] .
أو أن مناغة الطير في جو السماء هي التي أوحى به الّى ،
وما تجلّت لى كليو وأخواتها [ربّات الفن] أيام كنت أرعى أغنامى في واديك يا أسكرا^(٣)
تجربى هي مصدرُ إلهامى ،
فأنصتوا لشاعرٍ عركته الحياة ، ينبضُ قصيدُهُ صدقا .
ناشدتُك يا فينوس ، يا أمّ ربّ الهوى ، العون على ما أنا مُقدّم عليه .
وأنتنّ أيتها الحرائر المُحصّئات ،
اللاقي نعتمرُ شعورُكن بعصاية الحفّر الرهيفة ،
وتستخفي أقدامُكن وراء التّنورات المُرسّلة^(٣) ،
لا تَدُنُون منى .
ودعّنى أغنى للهوى المأمون ،
وأنشدُ أسرارَ الهوى المباح ، بلا حرج ،
وأناى بشعرى عن مشبوه المآخذ .

* * * * *

أى مريدى ،
يا من تفدّ إلينا أول مرة ، لتخوض صراعا جديدا تجهل عُقباه .
ابدأ باختيار من يستهويك جاهّا ،
ثم اسعَ الى الظفّر بها ،
واجهد في أن تُرّخى في عُمر الحب طويلا .

ذى شِرْعَتى ،
 وذا ميدانى لا تجاوزُ مركبتى حدوده ،
 ٤٠ وذا مرمى الذى تنساق إليه عجلتى المنطلقة .

* * * * *

مادام العُنان لا يزال فى يدك رخياً ،
 تجول فى الطرقات بلا قيد ،
 بحثاً عمن تهمس لها : « أَنْتِ وَحْدَكِ من تُشبع وَلَهى »
 فلا ترقب أن تهبط عليك فجأة من خلل النسبات ،
 بل طُف بعينيك حيثُ تقعان على كاعبٍ تُشبع أمانيك .
 فالصياد الماهرُ يعرف أين كِنَاسُ الوعل ،
 وفى أى الوديان ينصبُّ شراكه ليظفرَ بالخنزير البرى ،
 فهو خبير بالغيضات وبالأجمات .
 ومن يحذق استخدام الشص يعرف مسرى الأسماك ومكمنها فى جوف الماء .
 وأنت يا من تهفو إلى نشوة عارمة موصولة لا تحبو ،
 ادرس أين تطوفُ باقات الفتيات ، وأى مكان يرتدن .
 ولتهدأ بالا .
 فلن أكلّفك ، بينا تسعى كى تبلغ مُنَاك ، شططا .
 لن أذعوكَ لتنشرَ ضدَّ الريح شراعك ،
 ولن أشقَّ عليك برحلة طويلة وعرّة .
 كم عانى بيرسيوس كى يعود بأندروميذا
 من موطن الهند ذوى البشرة الدكناء^(٤) ،
 وكم لاقى باريس الطروادى العاشق حين اختطف محبوته [هيلينا] من بلاد الإغريق ،
 على حين أنت فى روما لا تحمل عناء ،
 فروما عامرة بالغيد الجميلات ، حتى قيل :
 « كُلُّ جمالِ الدنيا يفيض فى روما » .
 أنبئت عن كثافة غلال جارجارا^(٥) ، ،
 وقيض عناقيد ميثمنا؟^(٦)
 أو تعرف غزارة السمك فى البحار ،



رافائيل . حفل الآلهة في الهارناسوس . القاتيكو

والطيور فوق أفنان الأشجار ،
ونجوم السماء التي لا تُحصى ؟
هكذا تزخر مدينتك روما بالغانيات الحسنات ؛
وليسكن روعك ، فما زالت فينوس تنزل مدينة ابنها أيناس^(٧) .
أتأسرك السن المبكرة التي في سبيلها إلى الاكتمال ؟
إذن فأليك عذراء غضة الإهاب .
أم يجذبك الجمال الناضج في أوج تفتحها ؟
إليك منهن لمُتعتك ألفا .
حاول ما شئت أن تؤثر إحداهن على الأخرى ،
ولسوف يذهبن جهداً سدى .
أو تراك تؤثر من هي أكبر سناً وأرجح عقلاً وأشد رزانة ؟





▲ فرنسيسكو ماتزولي: كيويد بعد قومه ونشعل سبه. متحف تاريخ الفنون بفيينا.

▼ القنطور خيرون يلم أخيل عزف القيثارة. تصوير جداري من بازيليك هرقلايوم. متحف نابلي.



جوليو رومانو: رقصة أبولو مع ربات الفن. جاليريا بيني فلورنسا

صدّقي : إن صفوفهن لا يبلغها الحصر .
 فلتتهاد هَوْنَا تحت رواق بومبيوس^(٨) ، تحتضنك ظلاله ،
 حين تطلّ الشمس من برج أسد هرقل الأشعث مُلهبةً وجه الأرض ،
 أو في حنايا ذلك الرّواق الشامخ الذي شيّده أوكثافيا^(٩)
 يزهو بكسوته المرمية ، ويضمّ هباتها إلى هبات ابنها .
 ولا يفوتنك أن تلمّ بأروقة ليقيا^(١٠) التي تُشيد نقوشها باسم مُنشئها .
 ولا تغضّ الطرف عن ذلك المكان الذي جرّوت فيه بنات بيلوس على اغتيال أبناء عمومتهن ،
 أو ذاك الركن الذي تربّص فيه أبوهن [داناوس] الجبار وسيّفه في كفه مُشرّع^(١١) .
 وعش أعياد أدونيس^(١٢) الذي عاشت فينوس حياتها تبكيه .
 واسع في تلك المدينة التي يُجدّ فيها يهود سوريا^(١٣) سبتهم المقدّس .
 ولا يغينّ عنك المعبد الممفيسي للبقرة الراقلة في ثوب الكتان .
 فكم من فتاة توحى إليها البقرة ، بفعل ما فعلته البقرة مع چوبيتر^(١٤) .
 واعجبي ، حتى حرّمات العدالة كانت مسارح للهوى !

وما أكثر ما أضرم الهوى شعلته في قاعاتها الغاصة الصاخبة .
 ٨٠ ففي كنف معبد فينوس المرمي ، حيث يتناثر رذاذ مياه الخورية الآبية^(١٥) .
 ما أكثر ما ينصبّ كيويّد شراكه للمحامى اللودعي ،
 فإذا الموكل بالدفاع عن غيره ، يمسى عاجزا عن الدفاع عن نفسه .
 هنالك يكتشف الخطيبُ المقوّه قصور بلاغته ،
 ويغدو مطالباً بالدفاع في قضية جديدة ، هي قضيته هو ،
 بينا فينوس من معبدها القريب تسخر ممن كان منذ قليل محاميا ،
 فإذا هو قد بات طرفا في الدعوى .



أى مريدى
 أوصيك بالمسارح تمارس فيها القنص ، فما أسخاها إشباعاً لرغباتك .
 هناك ستجدّ ضالتك المنشودة عشقا وعزّلا :
 إن شئت تذوّقتها مرّة ، وإن شئت تذوّقتها دهرآ .
 هل رأيت أرتال النمل غادية رائحة وهي تحملُ غذاءها إلى مساكنها ؟
 هل تابعت أسراب النحل ترفرف فوق الأزهار وحول شجيرات الزعر ،



پرسپوس یثقد اندرومیدا . تصویر جداری رومان . متحف نابلی .

- خلال الخمائل التي تُؤثرها في أطيب الوديان شذى ؟
هكذا تخطر أسرابُ الحسناواتِ إلى حَلْبَةِ الألعابِ الحافلة .
ووسط تلك الحشود كثيرا ما طاش حكمي في اختيار إحداهن ،
يمضين جماعاتٍ يتشوّفن إلى الرجال ، كما يطمعن في أن يتشوّف الرجال إليهن .
١٠٠ حذار أيتها العَفّة أن تُطلّي ، فسوف يكون في هذه الساحة حتفك .
كنتَ يارومولوس أول من بثّ الفوضى في هذا الموقع .
حين أمست مَنْ اختطفن من عشيرة « سابين »^(١٦) ، مُتعة للأعزّاب من رجالك ،
وحين كان المسرح المرمي لا تزال تُعوّزُه الخيامُ الرائعة ،
ولم تكن رَدّهاته تتوهج بعدُ بطلاء الزعفران الذهبيّ الوردى ،
بل كانت كل ما تزدان به ورقات أشجار الپالاتينوس^(١٧) ، التي تتناثر عليه عَرَضاً ،
وكانت المنصّة عاريةً من أية زينة .
كما كان القوم يجلسون على درجات معشوشبة ،
تراكم على رؤوسهم بشعرها الأشعث أوراق الأشجار المتساقطة .
ويتلفت كل منهم بمنّة وبسرة ،
لعله تقرّ عيناه برؤية من يتشهاها من النسوة ،
ويمتلى بلهفته إليها قلبه .
في ذلك اليوم المشهود [يوم اختطف الرومان السابينات] .
هَبَ الراقصُ يضرب أرض المسرح بقدميه مرات ثلاث ،
وحين بدأ عازفُ الناي يرسلُ أنغامه الساذجة
دوى تصفيقُ القوم يُجلجلُ جَلجلة نايية .
وأوما الملك إلى أتباعه التلهفين إلى اختطاف « السابينات » بالبدء ،
فما أسرع ما وثبوا وكأنهم وحوش كاسرة ، وقد تحشّرت حناجرهم بشبق عارم .
وأخذت أيديهم تهوى على مفاتن أجساد العذراوات لهفةً نهمةً :
كُنَّ يماماتٍ مذعوراتٍ ينشدن الإفلاتَ من بين مخالب صقور جارحة ،
أو حِلانٌ رُضع يلمحن الذئب المفترس الجائع ،
فزعّات يهولن هرباً بفرائص مرتعدة ، وفي أعقابهن البرابرة المختطفون .
١٢٠ ومن فرط الخوف علاهن شحوب . وانطمس لون البَشرة .
وإذا هنّ جميعاً يتولّاهنّ خوفٌ واحد ، وإن كان لكلّ منهن مع الرعب مسلكها :
فمنهن من أخذن يشدّدن جدائلهن ،
ومنهن من جمدن دِهلات لا يتحرّكن ،

وواحدة تنتحب صامته ،
 وثانية تصرخ عبثاً « يا أماه » ،
 وثالثة تحبس دمعها وتُنْهِنه ،
 ورابعة تخالفهن مُستسلمة ، وأخرى تُولَّى هاربة .
 والموكب يمضي بعرائسه الأسيرات ، يزددن فتنة رغم الدُّعر .
 وحين تحاول إحداهن أن تتأبى على أسرها ، يَضُمُّها إلى صدره الوهّان ،
 يرفعها بذراعيه إلى أعلى ويناجيها :
 « لمَ تطمسين سحر عينك بالدمع ،
 وأنا لن أتجاوزَ ما فعل أبوك بأمك » .
 أى رومولوس
 لك تهنئتي ،

كنت فريدا تعلم وحدك كيف تسوقُ الأسلاب ، يستملحُها كل محارب .
 ومن أجل الأسلاب ، أحببتُ أنا أيضاً أن أنخرط في سلكِ الجندية .
 إذ انتقلت تلك التقاليد إلينا ،
 فغدت مسارحنا محفوفة بما يقع للجميلات من مخاطر .
 فلا تفوتنك الحُلبة حيث الجيادُ العريقة تتبارى ،
 وحيث تجذُّ وسطَ الزحامِ مكمناً تتطَّلَعُ منه إلى الحسنات .
 ولا حاجة بك إلى إيماءة رأس أو إشارة كفّ ،
 فأنت في غنى عن التلميح والمكاتيب .
 قرّ إلى جوارِ فاتنتك ، فلا حَرَجَ عليك .

١٤٠ واقترَب لصقها قدرَ طاقتك ،

واشكر زحمة الجالسين فوق الدرجات ،

إذ أغلقوا السُّبلَ أمامها

فلم تجذُّ مفرّاً من الاستسلام لدفع جوارك .

بادر بتلمُّس موضوع يجذبها لمحاورتك .

وابداً بما هو محطُّ الاهتمام .

سلها في شغف مفرط :

« سيدتي ، أتى رهطٌ من الجياد نشهدُ ؟ »

واستحسن قولتها مهما كانت .

وحذار حذار ،



مدرسة فرا أنجيليكو: باريس يحتفل هيلينا. الناشر جاليري بلندن.

أن تنسى التصفيق بحماس لتمثال فينوس صاحبة الجلالة .
لحظة يُشرق في الموكب^(١٨) محمولا فوق أعناق المتبارين .
وحين تلمح ذرة غبار تهبط على ثوبها فوق الفخذ ،
فإننا ملك في رفيق ادفعها .

وإن لم تهبط تلك الذرة ،
فتوهم واحدة هبطت . . . وادفعها أيضا .
مباح لك كل ما تتدّرع به لشدة انتباهها .
فإذا الثوب على الأرض تدلى وشابه قذى ،
فحبّ وارفعه بيدك الحاذقتين ،
فقد تُجزيك لقاء ما أسديت ،

بما لم تنله غيرك من مُتعة النظر إلى ساقها .
وتطلع حولك لتطمئن إلى أن أحداً من الجالسين خلفك
لا يلمس منكبها الناعم بساقه غزلاً ،
فأهون اللفات قد تُغري عقولهن التزقة .
وتُجذّب كثيرًا يدك الأريئة حين تُسوي حشيتها ،
أو حين تميل بمروحة تدفع عنها لَفَح القَيْظ ،
أو أن تُرسى لقدميها متكاً . ١٦٠

هذى حيل من غزل العصر ، يسطها سخياً جو الملعب .
و « الفورم » أيضاً يمنحك الفرصة كاملة ،
رغم رمال الأرض المبتلة حُزناً ، سُخْطاً
حيث تراق دماء لسرى عن الجمع .
ما أكثر ما يقتحم كيويده الساحة ،
يطلق سهماً يُردى أحد النظارة ،
يصرعه وهو يتحسّس كف فتاته ويثرثر معها ،
يسألها عن البرنامج ، وعن أى فريق فاز ؟
بينما هو لم يدفع ما راهن به إلا من لحظة ،
وإذا السهم يعاجله ، فيرسل أنات إثر الطعنة ،
وينقلب لساعته فصلاً بين فصول العرض .

تسبانو، پرموس پتق، آنووميدا، الشاونال جاليري بلندن.



من عهد غير بعيد قدّم القيصرُ عَرْضاً .
يحكى معركة سالاميس البحرية بين الفرس واليونان^(١٩)
وفدت جموعُ الفتية والفتيات من مشارق الأرض ومغاربها ،
وكان الخلقُ جميعاً قد حُشروا في روما حشراً ،
واعجبا
أيفتقر امرؤ في مثل هذا الجمع الغفير إلى خليل !
كم من لمسة حب غزت قلوبَ نفرٍ من أهل روما بسهام العاشقين الغرباء !

* * * * *

قيصرُ يتأهبُ كي يطوى تحت لوائه ما بقي من العالم خارجَ سطوته .
وأنت أيها المشرق النائي ، لسوف تجثو إليوم « طرواده » تحت أقدامنا .
أبشر يا كراسوس أنت وولدك في لحديكما .
لتدفعنَّ الجزية أيها البارثي .
وأنت أيتها البيارق التي دنسها البرابرة ،
١٨٠ آن لك أن تُنضي عنك الخزي ، وترفر في ثانية في الأجواء^(٢٠) .
فالأخذ بالثار لنا قائد لا يُبارى
يتأهبُ رغم حادثة سنه^(٢١) ليشنَّ حرباً يهابها الفتيان .
كفوا يا من تنخلع قلوبكم خشيةً
عن إحصاء أعياد ميلاد آلهتكم .
أنسيتم أن الإقدام ثمرة مبكرة لا يؤتاها سوى القياصرة ؟
هل فاتكم أن قدرة الأرباب تنمو بخطى تسبق سنى أعمارها ،
فلا تبالي في انطلاقتها بالعقبات الكأداء .
فهزقل رضيعاً خنق بقبضتيه الشعبانين ،
وبات جديراً بأن يُعزى لأبيه جويتر .
وأنت يا باكخوس ، كنتَ مازلت صبيّاً
عندما أُرهب صولجانك الهند ، فغزوتها .
أى قيصر الفتى
ببركات جدك وبوحي من شجاعته ستحذق توجيه جنديك .
وبرعاية جدك وبوحي من شجاعته سوف يكلل النصرُ جبينك .

ومادام لك هذا الاسم الجليل ، فالنصر حليفك .
 أنت اليوم أمير الشباب^(٢٢) ، وغداً أمير الشيوخ .
 اذكر أخوة لك^(٢٣) سامهم العدو سوءاً ،
 ودُّد عن حقوق جدك ،
 بعد أن اغتصب العدو رُكناً من عرشه ، مستهيناً بخالد مشيئته .
 لقد قلَّدك جدك السلاح ، وسلاحك مشروع ،

٢٠٠ فباسم الحق والواجب يرتفع لواؤك ، بينا سلاح خصمك السهام الغادرة .
 قضية البارثيين خاسرة لا يساندُها حق ، فلتذقهم ويل الهزيمة في الحرب .
 أى أبانا مارس
 أى أبانا قيصر^(٢٤)
 ناشدْتُكما وهو يُنْفِرُ إلى القتال ، أن تُسبِغَا عليه البركة ،
 كي يضيف كنز الشرق إلى مُلك لآتيوم ،
 فأحدكما إله ، والثاني صاعدٌ إلى الألوهية .
 هاكم نبوءة فاشهدوا :
 النصر نصيبك ،
 ونصيبى ... شذوى أغنية النصر ،
 ودَيْنُك عندي أن ألْهَجَ جَهْراً بشنائك .
 كالطود الراسخ تمضى ترددُ كلماتي ، تُذكى بها حماسَ الجند .
 ناشدْتُك ، ألا تَقْصُرَ هِمَّتُك عن مقالي .
 وأعاهدك أن أُشيدَ بإقدام الرومان ، وأنذدَ بفرار البارثيين ،
 وبسهامهم تُفَلَّتْ منهم دُعرا من فوق صهوات جيادهم المتقهقرة .
 إذا كان الفرار أيها البارثي هو سبيلك الوحيد للنصر ،
 فماذا تُراك للهزيمة أبقيت ؟
 إن حربك أيها البارثي تحملُ الشؤمَ إليك .
 ولينبلجن لك يومٌ يا قيصر ،
 تتألق فيه بوسامتك في حُلَّتِكَ الذهبية .
 متصدراً مركبتك ، تجرُّها جيادٌ أربعة ناصعةُ البياض كالجليد ،
 بينا يُساقُ إليك سادتهم مكبلين بالأغلال ، وقد قطعت عليهم سبل النجاة ،
 فلا يفرون كما هو دأبهم .
 لَيَفِدَنَّ الشبابُ المرحُ فتيةً وفتيات ،

تُخَفِّق قُلُوبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَشْرِفُونَ مُوَكَّبَ النَصْرِ .
فَإِنْ سَأَلْتِكَ عِذْرَاءَ مَنْ بَيْنَهُنَّ عَنْ أَسْمَاءِ الْمُلُوكِ ،

٢٢٠ أَوْ رَمُوزِ الْأَقَالِيمِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ الْمَحْمُولَةِ عَلَى الْأَكْتِافِ ،
بَادِرٍ وَأُسْهِبٍ فِي الْوَصْفِ ، وَلَا تُقْصِرْ إِيَّاجِبَتِكَ عَلَى مَا تُسْأَلُ عَنْهُ .
وَإِذَا غَابَ عَنْكَ مَا تَحِيبُ بِهِ فَلَا تَتَهَيَّبْ ،
وَأَسْرِعْ بِالتَّلْفِيقِ ، وَكَأَنَّكَ بِكُلِّ أَمْرٍ عَلِيمٌ :
« انْظُرِي

هَذَا التَّمَثَالَ الَّذِي اكْتَنَفَتْ جِبْهَتَهُ الْقَصَبَاتُ هُوَ الْفَرَاتُ ،
وَذَاكَ الَّذِي تَسْدُلُ خِصْلَاتُهُ الزَّرْقَاءُ الدَّاكِنَةُ هُوَ دَجْلَةُ .
وَلَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ إِنْ قُلْتَ عَنْ قَوْمٍ لِنَهُمُ الْأَرَمَنِ .
وَإِلَيْكَ بِلَادُ فَارَسَ الَّتِي شَادَهَا پَرَسِيسَ حَفِيدُ چَوِیْتَرِ وَدَانَايَ^(٢٥) ،
وَتِلْكَ مَدِينَةُ فِي الْوُدَيَانَ الْأَخْيْنِيَّةِ .
وَهَذَا وَذَاكَ مِنَ الْقَادَةِ وَالزَّعْمَاءِ ؛
مَنْ تَبَيَّنَتْهُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَسَمِّهِ بِاسْمِهِ ،
وَمَنْ جَهِلْتَهُ فَاخْلَعْ عَلَيْهِ اسْمًا يَنَاسِبُهُ

* * * * *

وَمَا أَكْثَرَ مَا تَتَّيْحُ الْوَلَائِثُ مِنْ فُرُصٍ ،
تَرَشَّفُونَ فِيهَا إِلَى جَوَارِ النَّبِذِ نَشْوَةً أُخْرَى .
وَرَبُّ الْهَوَى الْمُتَأَلِّقُ الْبَشَرَةَ ،
بِذِرَاعِيهِ الْغَضَّتَيْنِ يَلْفَ مَعَانِقًا
قَرْنَى بَاكَخُوسِ الثَّمَلِ الْمُسْتَرْخَى .
وَعِنْدَمَا يَغْمُرُ النَّبِذَ أَجْنَحَةً كِيُوبِيدَ الْعِطْشَى ،
يُذْعَنُ أُسِيرًا وَيَنُوءُ بِحِمْلِهِ عَاجِزًا لَا يَبْرَحُ^(٢٦) ،
ثُمَّ مَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْفَضَّ جَنَاحِيهِ يَنْضُو عَنْهَا الْبَلَلُ ،
فَتَتَطَايَرُ قَطَرَاتُ تَقَعُ عَلَى الصَّدُورِ
وَتَنْفُذُ إِلَى الْقُلُوبِ وَكَأَنَّهَا سَهَامُهُ .
النَّبِذُ يَهَبُ الشَّجَاعَةَ ، وَيُؤَجِّجُ فِي الرِّجَالِ لَوَاعِجَ الْعَاطِفَةِ الْمَشْبُوبَةِ .
يَتَحَرَّاهُمُ غَرِيقًا فِي بَحْرِ مَنْ خَمَرٍ ، وَتُشْرِقُ الْوُجُوهُ ضَاحِكَةً .

حتى المكدود منا ، تُشرق روحه . . وينبض قلبه فرحا ،
٢٤٠ انحسر الحزن عنه وانبسط جبينه .

فإله الخمر يجلو ما يُجَيءُ معاقُها ويحلُّ لسانَ الثملِ ،
فيثُرُ في صراحةٍ ، ما أندرها في هذا العصر .
لحظتها تستلبُ الأنثى لُبَّ الذَّكرِ ،
فينوس في كأس الخمر نارٌ تتوهج في نار .
وحذار أن يَسْتَهْوِكَ خداعُ المصباح الخافت ساعةً تُثْمَلُ ،
فالخَمْرُ والعَتَمَةُ يَغْشِيَانِ الأعينَ ، فيطيشُ صوابُ الرائي .
وباريس لم يقض لفينوس بالتفاحة الذهبية [جائزة الجمال] ،
قائلاً : « إن جمالك لا يتألقُ فوق جمالِ جونو ومينرفا »
إلا في أوج الظهيرة .

احذر فالليل يسترُ العيوبَ ،
والظلمةُ قد تعيرُ الشمطاء صيباً .
وكما تحتكمُ إلى ضوءِ النهار حين تنتقى الجواهر ، أو تختارُ الصوف الأرجواني ،
لُدَّ به بالمثل حَكماً ، لتجتليَ سماتُ الوجه واستدارة الجسد .

* * * * *

ما أغنانى عن أن أخصيَ لك منتدياتِ الصَّيدِ وهى كالرمالِ عُدّاً .
ماذا أحكى عن بايأى^(٢٧) وعن ساحلها ،
وعن الينابيع التى تطلق أبخرةَ الكبريت الدافئ .
هل بلغك نبأ التعس العائد من عند النبع ،
يحمل جُرحاً في القلب ويصرخ : واقلباه . .
واخيبةً أُملى ، تلك مياةٌ لا تُشفي كما زعموا ؟
انظر ،

على مرمى البصر من روما أجمةٌ تضم معبدَ ديانا^(٢٨) ،
مملكةٌ يحكمها بالكفِّ الأثم .
من يُجهزُ بالسيف على سَلَفِهِ .
لاذت الربةُ ديانا بالعدرية ، ونفرت من كيوييد وسهجه .
٢٦٠ ومضت تُلحقُ الطعنات بالعشاق .
ولن تتوقف .

* * * * *

رویت: اختطاف السائبیناں پانڈراف رومولوس . الناحیونال جالیری بلندن .





دافيد : السابينات يفصلن المتحاربين الرومان والسابين حقنا للدماء . متحف اللوفر .

خَطَّتْ ثَالِيَا رَبَّةَ الْفَنِّ
 — مُنْطَلِقَةً عَلَى عَجَلَتَيْنِ تَكْبُرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى — (٢٩)
 خَرِيطَةً لِلْحُبِّ مَازَالَتْ حَتَّى الْيَوْمِ
 تَكْشِفُ كُلَّ مَكَانٍ يُمْكِنُ أَنْ تَنْشُرَ فِيهِ شِبَاكَكَ .
 وَالْآنَ اسْتَمْعُوا يَا صَحَابَ ، أَيُّا كُنْتُمْ وَأَيُّ تَكُونُونَ ،
 أَصْغُوا لِي بِعُقُولٍ تَسْتَوْعِبُ .
 لِأَجُودَنَّ بِحَدَقِي كُلِّهِ ، وَلَأَكْشِفَنَّ حَيْلًا لَا تُفْلِتُ مِنْهَا مَنْ تَسْتَهْوِي الْقَلْبَ .
 بَادِئِ ذِي بَدْءٍ ، لَتَقَرَّ الطَّمَأْنِينَةُ بَيْنَ جَوَانِحِكُمْ .
 فَالْمَرْأَةُ مَهْمَا تَتَابَى صَيْدٌ يُقْتَنَصُ .
 انْصَبْ شَرَكَكَ تَظْفَرُ .
 فَلَقَدْ يَسْكُنُ تَغْرِيدُ الطَّيْرِ فِي الرَّبِيعِ ،
 وَيَنْقَطِعُ صَرِيرُ الْجُنْدِ فِي الصَّيْفِ ،
 وَيَعْدُو كَلْبُ الصَّيْدِ فَرَارًا مِنَ الْأَرْنَبِ الْبَرِّ ،
 قَبْلَمَا تَنْجَحُ الْمَرْأَةُ فِي صَدِّ عَاشِقٍ يَحِيدُ الْغَزَلَ .
 حَتَّى مِنْ تَحَاُلِهَا تَتَمَنَّعُ ، يُمْكِنُ أَنْ تَرْضَخَ .
 وَكَيْمَا أَنَّ الْحُبَّ الْمُخْتَلَسَ لِلرَّجُلِ لَذَّةٌ ، فَكَذَلِكَ هُوَ لِلْمَرْأَةِ لَذَّةٌ .
 يُخَفِّقُ الرَّجُلُ عَنْ إِخْفَاءِ مَشَاعِرِهِ ، بَيْنَا تَفْضُلُهُ الْمَرْأَةُ فِي إِخْفَاءِ رَغْبَتِهَا .
 آه ، لَوْ أَمْكَنَّا أَنْ نَتَهَاسَكَ ، وَنَكْبَحَ أَنْفُسَنَا ،
 فَلَا نَبْدَأُ بِالْإِقْدَامِ ، وَلَا نَسْعَى لِلْمَرْأَةِ نَتَوَسَّلَ ،
 إِذَنْ ، لَا نَقْلُبُ الْحَالُ وَتَوَسَّلَتِ الْمَرْأَةُ .
 لَوْ أَنَا نَتَأَمَّلُ دُرُوسَ الْكَوْنِ ، لَسَمِعْنَا فِي الْمَرْجِ النَّاعِمِ
 خَوَارَ الْبَقَرَةِ يَدْعُو الثَّوْرَ ،
 ٢٨٠ وَصَهِيلَ الْفَرَسِ تَنَادَى الْجَوَادُ ذَا الْخَوَافِرِ الصُّلْدَةِ .
 الشَّهْوَةُ فِينَا أَوْضَعُفَ ، إِنْ قِيسَتْ بِسُعَارِ الْمَرْأَةِ ،
 وَالشَّعْلَةُ فِينَا اتَّقَدَّتْ لَا تَعْدُو حَدُودًا مَرْسُومَةً .
 وَمَا أَنَا بِحَاجَةٍ أَنْ أَحَدِّثُكُمْ عَنْ « بَيْبِلِس »
 الَّتِي التَّهَبَّتْ مَشَاعِرَهَا بِعَشْقٍ مُحَرَّمٍ لِأَخِيهَا (٣٠) ،
 ثُمَّ كَفَّرَتْ عَنْ خَطِيئَتِهَا بِشَقِّ نَفْسِهَا غَيْرِ هَيَابَةٍ .
 وَعَنْ « مَوْزَا » الَّتِي تَوَلَّهَتْ بِأَبِيهَا عَنْ وَلِيِّهِ مُحْظُورٍ ،
 لَا عَنْ حُبِّ مَعْهُودٍ مِنْ بِنْتٍ لِأَبِيهَا ،

فمسختها الآلهة شجيرةً تحمل دمعها اسم المَرِّ مازلنا نَتَضَمَّعُ بشذاها العَطرِ .
 وفي الوديان الظليلة من غابات إيدا الكريتية ،
 كان فَخْرُ القطيع ثوراً أبيضُ بياضِ اللبن ،
 لا تشوبهُ سوى حُلْكةٍ بين قرنيه ،
 تمنى بقرات جنوسيا وسيدونيا أن يعلوها .
 ولكم تآقت [الملكة] پاسيفاي شغفا أن تُصبحَ يوماً للثور خدينة
 وكم حقدت على البقرات الوسيمة ، تتفرّسهن حاسدةً واجدة ؟
 وما بوسع كريت ذات المائة مدينة ،
 أن تنكر ما كان ، على أية صورة كان كذبها (٣١) .

٣٠٠ فلقد قيل إن پاسيفاي كانت تجمعُ بيديها المرهفتين الأعشاب الغضة
 من أنحاء المرج ، تعلقُ بها أسرَ قلبها ،
 ولم يثنها عن أن تنخرط في القطيع ما كان لزوجها من مكانة .
 وهكذا أتاحت لثور أن يستهن بملكها مينوس .
 لم تُعدْ ثيابُ الملكِ الأرجوانية ذات جدوى لك يا پاسيفاي .
 أنتجملين بها وحبيبك ثور ، لا يُلقى بالأل للزينة ؟
 وما غناء المرأة عندك ، أبقةً بين القطعان على سفوح الجبال ؟
 أنحالين أيتها العاشقة الطائشة أن جمالَ جدائك المصفورة يُلْفِتُ إليك معشوقك .
 هلا رُدَّتْكِ إلى وعيك مرأتك !
 وهل تراءيت فيها غير واحدة من البشر ... لا البقر ؟
 كيف تمنيت أيتها الملكة أن ينبت بجبينك قرنان !
 أي پاسيفاي ،
 كيف تبغين الحنا ، ولدى زَوْجِكَ ما يُغْنِيكَ ؟
 وإذا كان لا معدى لك عن أن تفجّري ،
 فلتختارى لك فاجرا من البشر .
 وما تلبث الملكة أن تهجر قصرها إلى الغابات والوديان ،
 وكأنها على موعد في حفل صاحب أعدّه الإله باكخوس .
 تحملق في كل بقرة تقع عليها عيناها وتردد :
 « تَبّاً لك حين تستمتعين دون بعشيقى ومالكِ قلبى
 أى لعب أنت تتأودين أمامه ،
 فوق العشب الناعم كى تستلبي لهُ ! »



وإذا الملكة تأمرٌ ظُلماً فُتساق البقرة تَلَوَ البقرة ،
 إما للحقل لتنوء بنير المحراث ،
 أو للمذبح كي تُنحر قربانا .
 وما أكثر ما فتكت بغريماتها باسم الآلهة خداعاً ورياء ،
 ٣٢٠ تَشْدُ زَيْفًا أَنْ تَشْفَى غُلَّتْهَا .
 تميل على غريماتها المذبوحة ، تتزَعُ قلبها وتعتصره في نشوة ،
 وتتمتم بشماته : هيا وأرني الآن كيف تستهوينه .
 حسدت أوربا [أميرة فينيقيا] أن ضاجعها جوبيتر في هيئة ثور ،
 وتمنت لو مُسخت بقرة شأن إيو عندما واقعها ربُّ الأرباب .
 واحتالت على الثور الفاتن حتى جامعها وأودعها نطفته ،
 مستخفية في بقرة من خشب ،
 ونسلت منه ذنساً لوُثت به سلالتها .
 لو أن إيروبي الكريتية لم تُدْعِن لغواية ثيستيس
 لانطلق فويثوس إله الشمس في دورته (٣٢) ،
 لم يكبح خيل مركبته ،
 ولم يرتدُّ سريعاً صوب الفجر .
 [ما أنفسه عطاء أن تقصُر أنثى ملاذِّ هواها على رجلٍ وحده] .
 « سكيللا » المولَّهة عشقا (٣٣) استلبت أباهها نيسوس
 حين غفا سرُّ قواه ، خصلة شعره الذهبية ،
 منحتها خصم أبيها عربونَ هواها .
 فجازتها الآلهة بزمرة من كلاب مسعورة تحيطُ بخصرها .
 وكلّيتمنسترا ، ما إن عاد زوجها أجامنون سالما
 من المعارك التي يشنها « مارس » برّاً ،
 ومن العواصف التي يثيرها « نبتون » بحرّاً ،
 حتى سقط صريع غدرها .
 و « ميديا » الساحرة ،
 ما كاد زوجها [ثيسوس] يهجرها إلى « كريوسا » (٣٤) الكورنثية ،
 حتى غلا جوفها وأوغر صدرها .
 [فأهدت كريوسا ثوب زفافٍ مسموماً] أضرم فيها النار لساعتها ،
 ومن ذا الذي لم يذرف على كريوسا دَمْعَه !

لكن غليلٌ ميديا لم يُشف ،
فانقضت على فلذات كبدها [من ثيسوس] وخضبت بدمائهم كفيها .
و « هيبوداميا » زوجة أميتور . الموتورة ،
استعدت ولدها فينيكس^(٣٥) ليغوي عشيقته والده ،
وصب أبوه عليه اللعنة ، فلزف دموعاً من مُقلٍ غاض نورها .
وانت أيتها الجياد المدعورة ،
ألم تمزقي هيبوليتوس إرباً إرباً ؟^(٣٦)
وانت يا فينيوس
أو لم تَسْمَلْ عيون أبنائك الأبرياء
٣٤٠ لَعَمري سوف تكابد المصير عينه^(٣٧) .

* * * * *

هذي كلها جرائم بشعة ، ارتكبتها نسوة أعماهن العشق .
فسعار الأنثى محموم
يُسَلِّمُها إلى جنون محتم .
هيا صاحبي لا تتردد ، فالمرأة رهن إشارتك .
ما أنذر أن تنأى إحداهن .
ولا تخشى هزيمة ، فجميعهن بالغزل يسعدن ،
من قبلت منهن ، ومن تأبت .
استعرض كل جديد من اللاعيب تستهوين .
فما لا غملك أكثر إغراء مما غملك .
ومحاصيل حقول الآخرين أوفى ،
وضروع قطع الجار أسخى .
ابداً بالتقرب إلى وصيفة فاتتك ، فهي الأخذة بيدك إليها .
وتأكد أنها كاتمة أسرار سيدتها ،
وأنها جديرة بثقتك حين تأتمنها على لهُوك المختلس .
أغرها بالوعود والرجاء ،
فإن صدقت نيتها باتت ضالتك قرية المنال .
وستحسن هي اختيار الموعد في ساعات الصفاء



نوميا : برنيسس بقلا أندرويدا ، متحف اللوفر ..



تیبولو: فینوس والزمن. ناشونال جالیری بلندن.

— مثلما يَحْيِي اختياره الطبيب البارع —
 عندما تغدو السيدة مشوبة النشوة ،
 ٣٦٠ كأعواد القمح المتأودة في الحقل الوفير ،
 وعندما يطرح القلب أشجانه ويفتح طربا ،
 فتتهيا الفرصة لفينوس كي تتسلل بفنون الغواية .
 أو لم تصمد طرواده تحت وطأة الحصار وهي مقهورة ،
 وما كادت تستروح [حين أوهمها العدو بالانسحاب] ،
 حتى استقبلت الحصان مرحة ،
 بينا خصومها مستخفون في جوفه ؟
 على هذا النحو ، بيدك أن تملك فانتك إن أحقها غريمك فخاها مع أخرى
 فلأخذ على عاتقك أن تنال أمرة قلبك ثأرها منه على يدك .
 حُضْ وصيفتها على أن تُذكي نارَ حَقِّها وهي تمسُّطُ خصلات شعرها في الصباح .
 وَضُمَّ إلى دَفْعَةِ الشراع قوةَ المجداف ؛
 وأوص الوصيفة أن ترسل زفراء الإشفاق عليها ،
 وهي تهمس لها وكأنما تناجي نفسها :
 « من أسف أنك لن تقوى على أن تردى له الصنيع بمنله (٣٨) ! » ،
 وأن تثير إعجابها بك ،
 مُقسِمة أن الهوى يعتصر قلبك والجوى يستعبدك .
 ولكن حذار أن تتباطأ .
 أسرع قبل أن يهبط الشراع وتهمد الريح ،
 فقد تكون عاصفة الغضب كالثلج الهش سرعان ما يذوب .
 ٣٨٠ وإذا راودك شعور بأن إغواء الوصيفة قد يُجديك ... فتمهل .
 قد يحمل هذا الطيش بين طيَّاته مخاطرة .
 فمطارحة الغزل لأكثر من واحدة
 قد تُشعل حماس وصيفة بينا تُصيب أخرى بالخدر
 وهذه قد تحتفظ بك لنفسها ،
 ولا تهدأ تلك حتى تُسلمك سيدتها .
 وهكذا قد ينتهي بك المطاف إلى حيث لم تُرد .
 وقد تكون هذه مخاطرة جديرة بالتجربة ،
 إلّا أني أخلصك النصيح أن تكف عن خوضها .



لاستان : جونو [هيرا] تضبط زوجها جوبيتر [زيوس] متلبساً مع ايو فتمسخها بقرة . الناشونال جاليري بلندن .

فلستُ ممن يضربون في قمم الجبال أو يسلكون السفوح الهاوية ،
 فلم تزلْ قدمُ شابٍّ مضى على هذى خطاى .
 ومع ذلك فإن أحسست خلال مسعاها بينكما
 أن لقوامها جاذبيةً حماسيتها
 فتعجلْ الظفرَ بسيدتها مُرجتاً أمر وصيفتها إلى ما بعدُ ،
 وإذا لم يكنْ لك مَعْدَى عن مغازلتها فالزم الحذر .
 إذا وثقت بنصحى فلا تدع الرياحَ الهوجَ تذروا كلمائى صوب البحر .
 أيقن بقدرتك على الفوز بها قبل أن تغامر ،
 فمن شاركك الإثمَ لن تشى برفيق خطيئتها .
 والطارئ يعجز عن الإفلات بعد أن يحطُ في الشباك .
 والخنزير البرى يخفق في التملص إن وقع في الشراك .
 دع السمكةَ جريمةَ الشص عالقةً به ،
 فإذا أخذت في الهجوم فأعدْ الكرة ،
 ولا تفرح ساحة الوغى حتى تكَلَّلَ بالنصر هامتك .
 ولا تحش غدرها متى تواطأت معك في المعصية .
 واستقي عن طريقها أسرار سيدتها ،
 واحتفظ بخبيثة أمركما في الأغوار .
 إن أنت فعلتْ ،
 فلن تغيب عنك لفتةٌ تصدرُ عن أسرتك .

ولا يخطرَنَ ببالك أن معرفةَ المواسم والفصول
 جُكُرٌ على الملاحين ماحرى العُباب ،
 ٤٠٠ أو على الفلاحين الكادحين في حرث حقولهم .
 وكما أنك لا تنتثر الخنطة في التربة العاقة في كل المواسم ،
 ولا تأمن لقاربك المقعر أن يكون نهياً للخضم الأخصر^(٣٩) في كل الفصول .
 كذلك ليس اصطياد الصبايا مأمون العاقبة في كل الأوقات .
 فهذا الذى يُحسنُ التوقيت هو وحده من يفوز .
 فلا تسع إليها يومَ عيد ميلادها ،
 وتجنب أيامَ ترقب الهدايا حين يأفلُ شهر مارس ويولد شهر فينوس^(٤٠) .

وسواء كانت حلبة الملعب كما كانت في الماضي خالية من الصور والتماثيل ،
أو كانت عامرة بغنائم الملوك يتقاطر الناس إليها ،
تراخ أنت والتمس مهرباً .

واعلم أن هذا الوقت مهددٌ بمخاطر العواصف ،
لأن كوكبي الثريا والجديين تلتقيان بأمواج البحر قرب الأفق^(٤٠) ،
فمن الحكمة أن تُرجىء خطوك .

فالملاح الذي يُسلم آنذاك مركبه إلى موج الخضم العميق ،
قد يشق عليه أن ينجو ببقايا قاربه المحطم .
صل سعيك حين يفيض نهر الآليا المشثوم ، بدماء جروح اللاتين^(٤١) ،
وفي نهاية أسبوع يهود الشام حين يكفون عن البيع والشراء^(٤٢) ،
ولتحذر ذكرى يوم مولد فاتيتك ،

٤٢٠ ما أغبره يوماً لا مهرّب فيه من تقديم هدية ،

فالمرأة بارعة في سلب عشيق متلف ثروته .
سيمر بباب عشيقتك بائع من الطعام جائل ،
يعرض ما يحمله من سلع ، وهي تهفو نفساً للشراء ،
بينما تجلس أنت إليها مدعور الجنان .

ستحاول إيقاعك ، إذ تسألك الرأي فيما هو معروض ،
وتدكي فيك خيلاءك كي تبدو خبيراً ذواقاً وتُجيب .
ستغمّر وجهك بالقبلات ، تستجديك شراء ما يستهويها ،
مقسمة ألف يمين أن سيكفيها سنين طويلة .
وما أنسبه يوماً فالسعر مُواتٍ ، والحاجة ماسة .

ومهما راوغت مدّعياً أنك لا تحمل في جيبك ثمنه ،
ستقول « لا حرج عليك ، وقع صكاً بالبلغ » .
عندها ستندم أن تعلمت الكتابة .

وستستهديك هدية ، تدعوها « كعكة مولدها » .
وتعيد الكرة ، لا تتخرج من اختلاق عيد آخر لمولدها
كلما شاءت اقتناء هدية .

هَبْها فجأة سكبت دمعاً زاعمةً فُقدان شيء لم يُفقد .
ماذا تفعل إن قالت : « من قرطى سقط اللؤلؤ » ،
بينما تعلم أن القرط من اللؤلؤ عارٍ ؟



روبنز: تحکیم پاریس. الناشونال جالری بلندن.

في النسوة شره إلى الاقتراض دون نية إلى السداد
تفقدك مالك ولا تمنحك حق الدائن .
عشرة أفواه ، بل عشرة ألسن .
لا تكفى يا صاح كي أحصى أحابيلهن الماكرة .

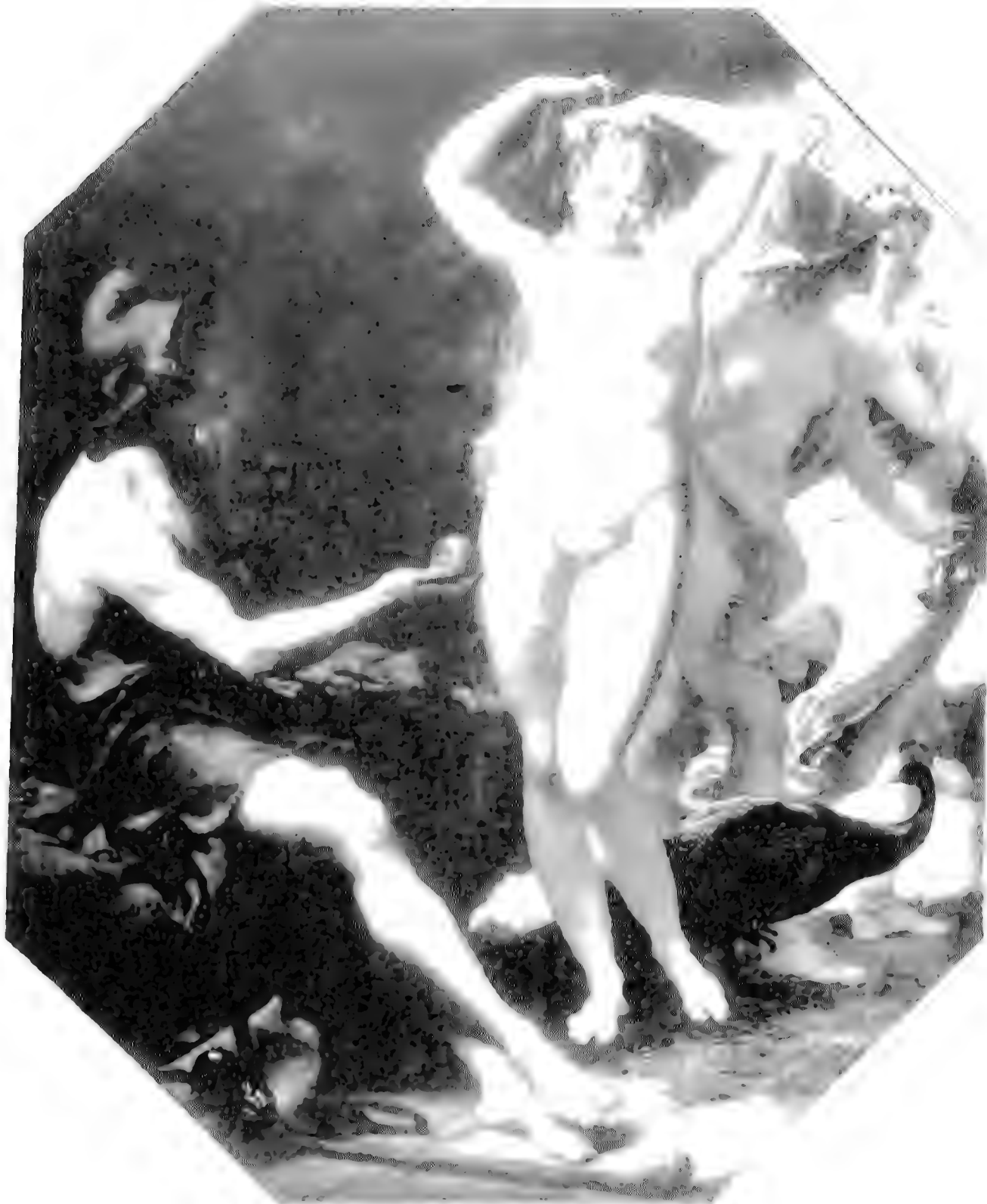
* * * * *

ابسط الشمع فوق ألواح الكتابة الملساء قبل أن تخط عليها الكلمات .
واهمس لكتابك بنواياك ،

٤٤٠ حلة نبض وجدانك ، وانهارك بمفاتيها ،
وأضف ضراعات الحب عربونا لتستميلها .
فمن قبل استهالت الضراعة قلب أخيل ، فأعاد جثة هكتور إلى أبيه بريام .
والآلهة الغضبي ، لا يحرك قلوبها غير ضراعات الضارعين .
امنح الوعود ، فليس عليها حساب ، وبالوعد يغدو كل امرئ ثريا .
والأمل يعيش طويلاً في القلوب إذا غزاها ،
فهو رب خادع حيناً ، وحيناً نافع .
ولا تدع السكينة تخالجك إذا أنت قدمت لعشيقتك هدية .
ما أيسر أن تحذل مطعمك مادام عطاؤك قد بات في حوزتها ،
دون أن تُنيلك جزاء ما قدمت .
وخير لك أن تبدو دوماً وكأنك على وشك عطاء لن تمنحه ،
كالهقل الجذب يضل صاحبته ،
وكالمقامر الجشع لا يتوقف عن قذف النرد إذا خسر ،
لعله يرد عنه مزيداً من خسارة .
بلا هدايا مسبقة ، اظفر بحب معشوقتك ،
« هذا هو العناء بعينه ، وهذا هو العمل الجاد » (٤٢) .
ثق أنها ستتهبك المزيد ، مخافة أن يضيع ما قدّمته لك عبثاً .
عجل إذن برسالة منمقة تهز كلماتها أعماق وجدانها ،
ولتكن رسالتك رسول هواك .
أو لم تقرأ سيديي الرسالة المسطورة على التفاحة ،
فلذا هي تقع أسيرة ما فامت به (٤٣) ؟

* * * * *

أى شباب روما ،
 عليكم بفنون القول الرفيعة ،
 لا تقصروها على موكلَيْكم المتوجسين خيفة [فى ساحات القضاء] ،
 فليست المرأة أقل استسلاماً لسحر البلاغة ،
 ٤٦٠ من القاضى الجاد أو الشيوخ المتحيين أو جموع المستمعين .
 ولكن احذر الإغراق فى بلاغتك أو الإسراف فى فصاحتك .
 فليس غير الأحق هو الذى يُفرغ حديثاً طناناً فى أذن حبيته الرقيقة
 وكأنه يخطب فى حشد ؟
 كم من رسالة تنبض بالحساس الجياش أورثت النفور !
 فليوح أسلوبك بالثقة والبساطة ،
 ولتنتق من الألفاظ المألوفة أعذبها ،
 لتجعلها تُحس صوتك عند قراءتها .
 فإن ردت مکتوبك غير مقروء ، فلا تياس ،
 وازدد أملاً أنها ستطالعُه يوماً .
 فالثور العنيد لا يُقبل على الحرث إلا بعد الدربة ،
 والفرس الجموح تلفظ العنان ، ثم ما تلبث أن تتقبله طيعة ،
 والخاتم المصوغ من حديد يتأكل بطول المدى ،
 وتكرار الحرث يثلم نصل المحراث المقوس .
 وأى شيء أصلب من الصخر ،
 وأى شيء ألين من الماء !
 ومع ذلك فالماء اللين ، يخرق الصخر الصلب .
 ثابر ، فبالثابرة قد تفهرّ بنبيلوي نفسها^(٤٤) .
 وطروادة الهرجامية ظلت صامدة سنواتٍ عشرًا ،
 ومع ذلك سقطت .
 هب أن فتاتك قرأت مخطوطك وتهاونت فى الرد عليك .
 فلا تهنّ عزيمتك ،
 ٤٨٠ ولا تفسرها واحرص أن تتبّع المخطوط بثانٍ يحمل مزيداً من ثناء .
 فمن قبلت أن تقرأ ستقبل يوماً الرد على ما قرأت .
 سيأتى ذاك اليوم على رسله .
 ولا تقنط إن جاءك أول مکتوبٍ يهاك فى عنفٍ عن مضايقتها .



رينيو: تمكيم باريس . محلات بيلوز للتصوير بباريس



پوشه : دیانا تاخذ زینتها . محلات ییلوز للتصویر بهاریس .

مدرسة فونتبلو : ديانا الصبابة . صحن اللوفر .





جوستاف مورو: یاسفای والتور.

واعلم أن ما تنهاك عنه هو ما تخشى أن يقع بينا هي تهفو إليه .
 وأن ما لا تنهاك عنه هو أن تلاحق سعيك .
 امض في إلحاحك ،
 ولتحظين يوماً بضالّتك .
 وفي انتظار أن يجيء هذا اليوم ،
 إن لمحت محبوبتك تنكبي على وسادة الهودج المحمول ،
 اقترّب منها بحرص خشيّة أن تسترقّ أذن متطفلة الاستماع إلى همساتك .
 أخفّ مقاصد الكلمات ، غلفها ما استطعت بالغموض الماكر .
 وإذا وطئت قدماها المتهاديتان أرض الرواق الفسيح ،
 اقترّب منها وشاركها خطوها المتهادى مداعباً .
 اسبقها مرة واتبعها أخرى .
 أسرع تارة وتلكأ أخرى .
 ولا تتردّد في التسلّل بين الأعمدة التي تفصل بينكما ،
 قاطعا عليها خط السير أو مُلصقاً جنبك بجنبها .
 ولا تدعها تحسب فتنتها قد ذهبت في المسرح بددا ،
 دون أن تشدّ إليها انتباها ،
 فثمة فوق كتفها ما يجدر بك أن ترنو إليه .
 طاردها بنظرات تُفصح عن إعجابك .
 ٥٠٠ صلّ غزلك بإشارات يديك وإيماءات حاجبيك .
 صقّ حين يحاكي الممثل رقصة أنثى ،
 وزدّ تصفيقا حين يؤدي دور العاشق أيّا كان
 وانفض ما نهضت .
 واقعد أيضا إذا ما قعدت .
 طوّع وقتك وفق مشيئة فانتك .

* * * * *

ولا حاجة بك أن تُصَفِّفَ شعرك بالمكواة ،
 ولا أن ترقّق سيقانك بحجر الخفاف .
 دع هذا للخصيان المهلّلين لربّتهم كوبيل^(٤٥)
 بإنشادهم المحموم الفريجي النغمات ،
 فالأخرى بالرجل ألا يغالى في تجمّله .

فقدما غزا ثيسوس قلبَ أريادنى ابنة مينوس^(٤٦) ،
 دون أن تُجمل دبابيسُ الشعرِ قُوديه ،
 ووقعت فيدرا فى هوى هيپوليتوس^(٤٧) ولم يكُ يسرف فى أناقته ،
 وحظى أدونيس ابنُ الغاب^(٤٨) والفطرة بقلب ربه الهوى فينوس .
 آيتك النظافة ، واترك وجنتيك لريح الحقول تلوحها .
 ولتكن عباءة التوجا مناسبة لقدمك ،
 وثوبك خاليا من الشوائب ،
 وأربطة نعلك مشدودة .
 ولتجلُ صُفرة أسنانك حتى تتألق .
 واختر لقدمك حذاء لا تفرق فيه ولا تفضل .
 ولا تسلم شعرك الجعد وذقنك المهوشة ليد حلاق خامل .
 قلم أظافرك البارزة ، واطرح عنها القذى ،
 ٥٢٠ وانزع الشعيرات المظلة من تجويف أنفك .
 ناشدتك الرفق بالناس من بخر يفوح به قمك ،
 ولا تحاك برائحتك عطر القطيع وراعيه ، يشب إلى خياشيم الناس .
 واترك ما عدا ذلك من ضروب الزينة والتأنق للغانيات ،
 وللذكور المتيمين بإرضاء شهوات نظرائهم .



ها هو ذا باكخوس نصيرُ العشاق يدعو إليه مُنشدَه ،
 يذكي الشعلة التى احترق بها من قبل .
 طوّفت أريادنى ذُهلة فوق رمالٍ لم تظأها قدمُ
 بجزيرة ناكسوس الصغيرة التى تلطم شطآنها الأمواج .
 تهرولُ مُدَّ نهضت من سباتها فى قميصها المُسدل الفضفاض ،
 عارية القدمين ، مسترسلة الشعر الأشقر ،
 مُعولة فى وجه الأمواج الصماء
 نادية هجران حبيبها ثيسوس .
 بللُ وجنتيها الرقيقتين دمعَ طاهر ،
 وما أجداها الدمعُ ولا المويلُ ، وما نالا من جمالها .
 كم دقت صدرها البيض صارخة :



تیبولو: حصان طرواده . التاشونال جالیری ہلندن .



▲ تيبولو: حصان طرواده . الناشونال جاليري بلندن

◀ فيرونيزي: فينوس وأدونيس . متحف تاريخ الفنون بفيينا .

«خَلَفْنِي الْغَادِرُ وَحْدِي ، أَيُّ مَصِيرٍ يَتَرَصَّدُنِي ؟»
وعبر رمالَ الشاطئ دَوَى صَكُّ صُنُوجٍ مَسْعُورَةٍ وَقَرُغُ طَبُولٍ مَحْمُومَةٍ .
رُوعَهَا ، خَنَقَ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهَا .

٥٤٠ سقطت مغشياً عليها ،
وتخاذل في أطرافها مسرى الدم .
وإذا موكب باكخوس يُطِلُّ ،
يملُّ أتباعه بضفائيرهم المتهذلة على ظهورهم ،
تتقدمهم «جوقة» الساتير الداعرين ،
تتلوهم ثلَّة تبشِّرُ بطلعة الإله .
ها هو ذا أبونا العجوزُ سيلينوس راعي الإله باكخوس ،





پوسان: حفل باکخوسی أمام قتال پان. الناشونال جالیری بلندن.

ثملاً يقبضُ على معرفة جحشه المحدودِ الظهر خشية أن يسقط ،
والحوريات يشاغبنه فيطاردهن ، يهربن منه ثم يعُذُن يعاكسنه .
وفارسنا المترهلُ يحثُ دابته بعصاه عبثاً ،
ويسقطُ فوق الأرض عن صهوة جحشه الطويل الأذنين ،
يتعلق برأسه ، فتهلل جوقه الساتير من حوله :
« قُم . . انهض يا أبانا سيلينوس » .

وتُطلُّ طلعةُ الإله من بين عناقيد الكروم ،
التي تكسو مركبة تجرها النمرُ المكثومة الخطم ،
يقودها بأعنة من ذهب .

لم تفقد أريادنى ثيسوس وحده حين ولى ،
بل فقدت معه لون بشرتها ونبرات صوتها .
ومرات ثلاثاً حاولت أن تؤلى الأدبار ،
ومرات ثلاثاً أحبط الخوف مسعاها ،
وارتعدت كما ترتعد الأعوادُ الجافة أمام الرياح ،
وارتجفت كما ترتجف قصبات الغاب وسط مياه المستنقع .
وناداهم الإله بقوله :

« ما خطبك ؟ وبين يديك عاشق أشد من ثيسوس وفاءً .
فيم الخوف يافتاق ؟

لأهبنك السموات مهراً حتى يتطلع الناس إليك نجماً مضيئاً في السماء ،
ويغدو تاجك الكريتي منارةً يهتدى بها القارب الضال الحائر .
٥٦٠ وخشية أن تراع الفتاة من ثموره ، وثب الإله من مركبته ،
فلانت الرمال تحت قدميه وهو يطؤها ،
واحتواها في صدره ،

[مستسلمة ، إذ كانت عاجزة عن أن تقاوم] .
وحملها ومضى ليختل بها بعيداً .

« ما أيسر على الإله أن تمضي قدرته حيث يشاء !
في هذا المقام أنشد البعض « عشت يا هيميانيوس » ! .
وهلل البعض الآخر له « إيوهيه » (٤٩) .
بينما كان الإله يغشى عروسه فوق أريكته المقدسة .

* * * * *

حين يتيحُ لك سخاءُ باخوس أن تجاورَ امرأةً في حفلٍ شرابٍ ،
 اضرعَ لربِّ شعائرِ الليلِ الماجنة ، أن يحولَ دونَ أن تُديرَ الخمرُ رأسك ،
 حتى تملكَ القولَ في كلماتٍ مقنعة ،
 تلفتَ انتباهَ جاريتك إلى أنك تعنيها بحديثك .
 ولترسمَ بالخمرِ على المائدةِ كلمات الإطراء الرقيقة ،
 كي تطالعَ فيها أنها ملكتُ قلبك .
 أرّن إلى عينيها بمقلتين تحملان الاعترافَ بما يشتعلُ في صدرك من جوى ،
 فربُّ نظرةٍ صامتةٍ حُبلى بأبلغِ الكلامِ .
 وكن أولَ من يقبضُ على الكأسِ التي لثمتها شفتاها ،
 وارشفَ من حيث رُشفت ،
 وسارعَ بتناولِ الطعامِ من الصُحفةِ التي امتدّت إليها يدها ،
 وإذا لامستَ أناملها فاقصّرها في رفقٍ .

* * * * *

٥٨٠ واحرص أن تكسبَ زوجها صديقا ،
 ذلك أجدى لك .
 تنحّ له عن النخب الأول إذا كان الشرابُ اقترعا^(٥٠) ،
 وبنفسك اخلع عليه إكليلَ الغارِ الذي يعلو هامتك .
 وسواءً كان في مكانتك أو أدنى ادعُه إلى تناول ما يطيبُ له من مائدتك .
 ولا يفوتك أن تمنحه الصدارةَ في الحديث ،
 فالخداع تحت ستار الصداقة نهجٌ آمن مطروق ،
 وإن كان نهجا آثما .
 وارع زوجَ محبوبتك رعايةً تُظايرُ الضياع ،
 يبالغون في الاهتمام بما وكلٍ إليهم ، ليستنزفوا من أصحابها مزيدا .

* * * * *

أى مريدى
 هاك ناموسَ الشرابِ ، فاتبعه تأمن .
 احتسِر من الخمرِ ما لا يذهبُ بصفاءِ ذهنك ، أو يُخلُّ بتوازنِ قدميك
 واحذر نشوةً تُجرُّك إلى العراك ،





▲ فان دايك: سيمتوس تمللا، متحف دريسدن.

► بلاشار: حفل باكوسو، متحف نانسو.

وتدفعُ الأيدي إلى وحشي القتال .
واذكر القنطور يوريشيوس حين هوى فوق الأرض إثر ما تجرّعه طيشاً من خمر^(٥١)
فأمتع الطعام والراح ما جمع الناس على مرج لا على شجار .
غنّ إن كنت رخيّم الصوت ،
وارقص إن وهبت الرشاقة ،
أسعد من حولك بما منحت من مواهب .
السُّكر المفرط وخيم العاقبة ،
والتظاهر بالسُّكر زيفا حلوا الجنى .
فليتعتّر لسانك البارح في حديث متلثم ،
حتى إذا بدر منك ما يُعدّ تجاوزاً للياقة ،
٦٠٠ وقع وزره على الإفراط في الشراب .
ارفع كأسك وقُل : « نخبُ سيدق ... ونخب من ينعم بجوارها في الفراش » ،
بينما تُسرُّ في نفسك اللعنة على زوجها .
وحين تُرفعُ الصُّحاف ، ويبدأ الصُّحاب في الانصراف
بادر بالاقتراب منها في الزحمة ، فهذا أو أن مبادلتها الحديث .
اجذب في رفيق أطراف الكُم ، ومُسّ قدمها بقدمك ،
واطرح عنك حياء أهل الريف .
فما تقدّم « فورتونا » ربّة الحظ و « فينوس » ربّة الهوى عونهما لغير المقدام الجسور .
لا ترقب أن يهبط وحي الشعر عليك ،
بل ابدأ ، وستأتيك الطلاقة طواعية .
مثل دور العاشق ، زيف شجن الحب بمعسول القول ،
فلن تلبث هي حين تؤمن بما تردّده لها أن تُنيلك ما تبغى .
ولا تخُل أن تصديقك أمر متعذر ،
فما من امرأة إلا ترى في نفسها مدعاة للعشق .
وهي مهما بلغت من القبح شأوا ،
مؤمنة بأنه لم يخلق بعد من يُفلت من سحر فتنها .
ومع ذلك ما أكثر ما يقع مدعى الحب في شرك الحب حقاً ،
ويتحوّل مؤمناً بما كان ينتحل .
وصيقي إليكن أيتها النساء ، أن تغدون لمدعى الحب ألين عريكة ،
فقد تظفرون به عاشقاً مشتعل الوجد .

آن أن يَقَعَ الفؤادُ في شَرَكِ المديحِ البارِعِ ،
وقوعَ نتوءاتِ الشاطئِ في سيلِ الماءِ الجارفِ .
ولا تتوان عن التشبيبِ بسحرِ عينيها وجمالِ شعرها
ودقةِ أناملها ورشاقةِ قدميها .

٦٢٠ فحتى أظهِرَ العذارى يَتَّقَنَ إلى الإصغاءِ بلا انقطاعٍ إلى من يُطْرَى محاسِنُهنَّ
والعفيفاتُ كذلك ، يغرَّهنَّ أن يكونَ جاملُنَ مثارَ احتفاءٍ ،
ولاً لما استخزَتُ كلَّ من جونو ومنيرقا ،
بعد أن فازت عليهما فينبوس في مباراةِ الجمالِ التي انعقدت في الغاباتِ الفريجية
فحينما تُطْرَى امرأةٌ ، ينشر طاووسُ جونو جناحيه زهواً وخيلاً .
أما إذا قنعتَ بالحملةِ إليها في جودٍ ، فلسوف تحجبُ عنك مفاتيها .
حتى فرسُ السباقِ العريقةُ في حَلَبَةِ المباراةِ ،
تهفو إلى أن تُمَشِّطَ لها بِعُرْفَتِها ، وتُهْدِئَ عُنُقَها .

* * * * *

ولتسرف في وعودك ، فطلما خدعت الوعودُ النساءَ ،
واختر أئى إليه شئتُ تُشْهده على قَسَمِكَ .
فجوبيتر في عليائه يضحكُ ملءَ شذقيه ، على قَسَمِ العُشاقِ الكاذبِ
ثم ما يلبثُ أن يأمرَ رياحَ أبولوس^(٥٢) بأن تَذُرُوهُ أدراجها .
ولكم أقسم لـجونو بنهر ستيكس زيفاً ،
فما أحرأه الآن أن يناصرَ من هُمَّ على شاكلته .
حقاً إنه من الخير أن تكونَ ثمةَ آلهة .
فلنؤمن إذن بوجودهم^(٥٣) ،

ولنحرق لهم البخورَ ،
ولنسكُبَ النبيذَ على المذابحِ العريقةِ ،
فما كان الآلهةُ في سبائهم غافلين كالنيامِ لا يبالون .
٦٤٠ وحذار أن تسيءَ إلى غيرك ، لأنهم يرقبون أفعالك عن كُتُبٍ .
رَدُّ الوديعةِ إلى صاحبها ، والتزم بما وعدت دون احتيالٍ ،
ولا تلوثْ يديك آثماً بسفكِ دمٍ
وإن كنتَ حكيماً فلا تخدع سوى النساءَ ، كي تخلصَ من المتاعبِ .
واحفظْ عهدك إلا فيما تقطعه لهنَّ ،



▲ روبنز: سیلینوس شمالا. متحف آوفتزی بفلورنسا.
◀ لیوناردو دافنچی: باکفوس. الناشونال جالیری بلندن.



فلا بأس عليك أن تخدع الخادعات :
 فقى أغلبهن الشر ، فلندعهن يقعن فيما ينصبته من فخاخ .
 يحكى أن مصر قد نضب من سائها المطر ،
 وعاشت أرضها ظمأى تسع سنوات عجاف ،
 فاقترب ثراسيوس من بوزيريس ،
 يعرض استرضاء رب الأرباب بسفح دم غريب .
 فرد بوزيريس قائلاً : « لانت الغريب ،
 ولتكونن أول ضحية لرب الأرباب ، وبك تمنح مصر الماء » .
 وقضى فالاريس بأن يحشر بيريلوس فى جوف الثور ، ليكتوى بما صنعت يداه^(٥٤)
 فكان صانع الشؤم أول من اختبر صنع يديه .
 بوزيريس وفالاريس ، كلاهما عادل ،
 فليس أكثر عدالة من قانون يقضى بموت من أملت عبقرته عليه صنع الموت .
 وليس أكثر عدالة من أن تجزى الخيانة بخيانة مثلها ،
 ومن أن تذوق المرأة ألم الخيانة الذى أذاقته غيرها من قبل .
 الدموع سلاح يقل الحديد ،
 فهتئ لفاتنتك ما وسعك الجهد أن تشهد وجنتيك منذأتين .
 ٦٦٠ وإن أخفقت فى استدرار دمك
 [فقد لا يستجيب إليك طيعا حين تريد] ،
 بلل عينيك بقطرة ماء .
 أى حكيم لا يمزج بين القبلات والملاطفة ؟
 إن تمنع عنك القبله ، حاول أن تجنيها قسراً ،
 قد تلقى منها مقاومة وتسبك قائلة « ياوغد » ،
 بينا هى فى الحق تنوق لأن تستسلم بين يديك .
 ولكن إياك أن تغلظ فى القبله المخطوفة ، كى لا تدمى شفيتها الرهيفتين ،
 وتتيح لها أن تندد بغلظتك .
 القبله وحدها ليست غاية ،
 فمن لا يظفر بما يتبعها ، غير جدير بأن ينعم حتى بما منح .
 فيم انتظارك بعد القبله ؟
 إن لم تصل السعى لبلوغ المارب ، فلا تتعلل بالحشمة ، فالسر ما ينتابك من خور ،
 ولا ضير إن جنحت للعنف أحيانا ، فكم تستطيه النساء ،

يفضّلن أن يَهَبْنَ مُكْرَهَاتٍ ما هن راغبات في منحه .
وما أسعدها تلك التي تأخذها على غِرة ،
فهى تفسّر جُرأتك على أنها خيرٌ تحية لها .
أما تلك التي تمضى دون أن تمسّها ، وكان في وسعك أن تعنف بها لتخضعها
فصدّقنى ، أنها شقية وإن بدت سعيدة .
٦٨٠ لقد ذاقَت فويى وشقيقتها هيليرا مع السبى عنف التوأمين كاستور وبوللكس ،
ومع هذا ظفرتا بأعذب متعة في كنف الأسر .
فكل مُغتصبة تُحسُّ متعة مع مُغتصبها .
ومع أن قصة العذراء دايداميا الإسكيرية وعشيقها أخيل الهاميون ذائعة الشهرة
إلا أن ذكرها جديرة بالإلماح .
وما إن أهدت فينوس لپارس حب هيلينا ،
نظير حُكمه لها بجائزة الجمال تفوقا على جونو ومنيرفا ،
ووفدت هيلينا الإغريقية إلى قصر پريام الطروادى ،
حتى أقسم أمراء الإغريق جميعاً بيمين الولاء لمنيلاوس زوج هيلينا جريح الفؤاد ،
ومضوا معه للثأر من طرواده ، فغدا عذاب فرد قضية أمة .
وعلى نحو نحر أذعن أخيل لضراعات أمه ثيتيس ،
واستخفى في زى امرأة ، حتى يُفلت من مصير مشثوم في حرب طروادة .
أى أخيل ،
ما كان غزلُ الصوفِ حرفتك ،
بل شهرتك فنٌ آخر . . . ترعاه « باللاس » ،
ما لك وصناعة السّلات ، فما أخلق ذراعك بحمل الترس ؟
وما لكفك التي ستصرع بها هيكتور « وولات » الصوف ؟
طوخ بالمغزل ولفافاته المضنية بعيداً ،
فقبضتُك جديرة بأن تسدّ رحا من خشب أشجار جبل پيليون .
وكانت الأميرة دايداميا في قاعة تضم أخيل متخفياً في زى أنثى ،
ولم تكتشف أمره إلا بعد أن نالها غضباً .
وما كان من الممكن أن ترضخ لو لم يُحمد بالعنف مقاومتها .
٧٠٠ ولكن ما أسرع ما نسيت عنقه وناقت أن يُعاود الكرة ،
بل لقد ناشدته أن يمكث حين اعترم الرحيل عنها .
لكن أخيل نحى المغزل ،

خلع ثياب الأنثى ، وامتشق سلاح الأبطال .
 ما خطبك يا دايداميا ، أتستيقن هاتك عرضك قسرا بنداات مغوية ؟
 قد تحجل المرأة أحيانا من أن تبدأ ،
 ولكن ما أسرع أن تغمرها النشوة ساعة يأخذ الرجل بزمام المبادرة .
 العاشق المغرور وحده يرقب أن تبدأ محبته بمغازلته .
 اخط الخطوة الأولى وإضرع إليها ،
 فكم يطيب للمرأة ما تنطوي عليه الضراعة من إطراء .
 دبّر لها ذريعة تحفظ لها حياءها ، إذن تمنحك ما تصبو إليه .
 وقدما مضى جويتر نفسه ضارعا إلى بطلات الزمن الغابر ،
 فلم نسمع عن إحداهن بدأت بمغازلة ربّ الأرباب .
 ولتراجع خطوة إذا اكتشفت أن ضراعاتك تزيدها عتّا .
 ومن النساء من يتشيطن بمن يبادر بهجرهن ،
 وينفرن ممن يرمي لاصقا بأعتابهن .
 فرافقهن هونا حتى لا يسأمك
 ولا تكشف في ضراعاتك عن رغبة في تملكهن .
 وليشق الحب طريقه مقنعا بخيار الصداقة .
 فقد صادفت امرأة متمنعة ذات مرة ، خذعتها الوسيلة عينها ،
 ٧٢٠ فاستحال الإعجاب عشقا مدّلا .

* * * * *

عار أن تبقى بشرة الملاح بيضاء صافية .
 الملاح الحق من يلوح بشرته وهج الشمس وملح البحر ،
 والفلاح الكادح وسط عراء الحقل لا تبقى بشرته بيضاء صافية
 بينا يفلح الأرض بمحراثه المحذب ومسحاته الثقيلة .
 والرياضي الطامح في أن يتوج هامته إكليل غار الربة بالاس ،
 يحرص على ألا ييلو جسده أبيض صافيا -
 أما العشق فيغشي بشرة العشاق بشحوب الوجه ،
 وما أحق من يتصور أن شحوب البشرة يزرى بالعاشقين !
 أو لم ينعم أوريون الشاحب الوجه بفتيات غابات ديركي (٥٥) ؟
 وهل رفضت دافنيس (٥٦) الشاحب غير حورية واحدة [بعدما خانها] ؟

وليكن الهزال أيضاً دليل معاناتك ،
 ولا تستح أن تحجب خصلات شعرك اللامع تحت قلنسوة .
 وليالى السهاد كفيلاً بيت السقم في أجساد العشاق ،
 كما يبت فيها الجوى المشوب القلق والشجن .
 ولكي تبلغ ما تصبو إليه ، تظاهر بما يبعث على الإشفاق عليك ،
 حتى يدرك من يصادفك أنك عاشق معنى .
 أتراني أشكو أم أحذر من امتزاج الخطأ والصواب حين أقول :
 ٧٤٠ ما أكثر ما تكون الصداقة اسماً والوفاء خرافة .

لذا ، ليس من الفطنة النسب بمحبوبتك أمام صديقك .
 فما إن يقف على أوصافها ، حتى يتسلل ليغتصب مكانك .
 حقاً لم يدنس پاتروكلوس بن أكتور^(٥٧) فراش صديقه أخيل ،
 والتزمت فيدرا بالعفة في علاقتها بپيريثوس^(٥٨) .
 وكذلك أحب پيلاديس هيرميونيه الحب الطاهر^(٥٩) ،
 الحب نفسه الذى حمله فويبوس لشقيقته پالاس ،
 والتوأمان كاستور وپوللكس لشقيقتهم هيلينا .
 ولكنى أندرك :

إذا كان هناك من يتعلق بهذا الأمل ،
 فدعه يأمل أن تثمر شجرة الطرفاء تفاحاً ،
 ودعه يبحث عن الشهد في مجرى النهر .
 فالمرء لا يعبأ بغير متعته ،
 وأروغ متعة هي أكثرها مجلبة للعار ،
 تحلو إن نبت من آلام الغير ،
 مهما أورتنا من لوم أو تأنيب ،
 فما أغنى العاشق عن أن يكون له غريم .
 أهجر حتى من تثق في وفائهم تأمن .
 واحذر قريبك وأخاك ونديمك ،
 إنهم واخجلاله مكنم الخطر !
 كنت أهتم بأن أختتم حديثي ، لولا أن النساء قلب ،
 ولا مهرب من أن تنزود بألف وسيلة
 كي نقوى على مواجهة أنماطهن المختلفة .

فالحقول لا تتأثّل عطاءً ،
 هذا يُنتج كَرَمًا وذاك يُغلّ زيتونا ، والآخرُ يغمُرنا جِنَظَةً .
 وكذلك تتباينُ أنماطُ القلوبِ تباينَ ما في العالم من أشكالٍ .
 ٧٦٠ الحكيمُ هو من يَكَيّف نفسه لوفق شقّى المواقف ،
 وله أسوةٌ في پروتيوس الذى يتشكّل كيف شاء ،
 تارةً موجاً أو أسداً ، وتارةً شجرةً أو خنزيراً بريّاً فظاً .
 ونحن نصيّدُ السمكَ هنا بالرُّمَح ، وهنا بالشُّص ،
 وهناك بالحبال المشدودة في الشباك البعيدة الغُور .
 ونفسُ الحيلة لا تنجحُ مع كل فريسة ،
 فالوعلُ اليافع يلمحُ الفخَّ من بُعد بعيد .
 ناشدُك ألا تتحدلق أمام ساذجةٍ أو تتاجن مع مُحَصَّنةٍ ،
 وإلاّ زعزعت ثقتها بنفسيهما .
 فما تلبثُ الأنثى التى تتهيّبُ عاشقا مهذباً
 أن تؤثر الانحدار إلى أحضان وغدٍ داعرٍ .

* * * * *

والآن وقد فرغتُ من نشيدى الأول ،
 فلنلقِ بالمِرْساة هنا هنيهة ،
 كي نَجَلِدَ قَارِبَنَا للراحة قبل أن نصِلَ الرحلة .

* * * * *

تعقيبات

- ١ — أوتوميدون هو سائق مركبة البطل أخيل ، وتيفيس هو ربّان سفينة الأُرْجُو التي استقلها جاسون مع خمسين من أبطال الإغريق بحثاً عن القروّة الذهبية .
- ٢ — زعم الشاعر هِسُود في الـ «ثيوجونيا» أنه شاهد ربّات الفن في أسكرا ، وهي مدينة صغيرة في بويوتيا بالقرب من جبل هيليكون ، وكانت موطن الشاعر هِسُود .
- ٣ — انفردت الحرائر الحيات بعصب شعورهن . وكان الغرض من التّنوّرة «الترفيلة» أن يطول ثوب المرأة فيضفى عليها وقاراً .
- ٤ — قد يكون المقصود هنا أهل إثيوبيا أو أهل النوبة ، إلّا أن الشائع أن إنقاذ أندروميديا قد جرى في سوريا . ويصف الكتاب الثالث من فن الهوى «أندروميديا» بأنها سمراء [بيت ١٩١] ، وفي هذا تلميح إلى ما عني به بيرسيوس نفسه في حب أندروميديا السمراء وبين يديه غادات روما !
- ٥ — جارجارا مدينة على جبل إيدا في آسيا الصغرى .
- ٦ — ميثمنا مدينة في جزيرة ليسبوس .
- ٧ — نُسبت نشأة روما إلى أينياس الطروادي بن فينوس وبطل إنياذة فرجيل .
- ٨ — رواق پومپيوس بجوار الملعب المسمى باسم پومپيوس الذي اشترك في الحكم مع يوليوس قيصر وكراسوس وقهر مثيرداتس في معركة نيكوپوليس .
- ٩ — هو رواق أوكتافيا أخت الإمبراطور أوغسطس وزوجة ماركوس أنطونيوس ، وكانت قد أقامت ذلك الرواق تكريماً لذكرى ابنها القائد البطل ماركيلوس ، كما شيدت مكتبة تخليداً لذكراه ، وسمّى الإمبراطور أوغسطس ملعباً [مسرحاً] باسمه .
- ١٠ — ليفيا هي زوجة الإمبراطور أوغسطس التي كانت ذات تأثير طاع عليه وعلى مجريات الأمور صغيرها وكبيرها ، لما اشتهرت به من طموح وقوة شخصية ، فلم تكن تتردد في سبيل تحقيق أهدافها عن الجنوح إلى استخدام المكائد والدسائس بل والقتل بالسّم ، سواء في عهد زوجها أو في عهد ابنها الإمبراطور تيبيريوس .
- ١١ — رواق داناوس معبد أبوللو فوق تل بالاتينوس ، وكان يضم تماثيل لبنات داناوس الخمسين وهن يتأهبن لقتل أبناء عمومتهن الذين أرغمن على الزواج منهم . وكانت بنات داناوس حفيدات بيلوس ملك مصر ولسن بناته كما ورد في نص أوفيد .
- ١٢ — كانت عبادة أدونيس متصلة بمعبد فينوس ، وكان عيده أحبّ أعياد روما إلى قلوب العاهرات .
- ١٣ — يضم معنى السورى وقتذاك سكان الشرق الأوسط . وكان الكثير من اليهود يقطنون روما وخاصة بعد فتح أورشليم (القدس) على يدى پومپيوس عام ٦٣ ق.م. وقد لقي پومپيوس مصرعه في المياه الإقليمية المصرية بعد معركة فارسياليا الشهيرة ، وكان هذا الرواق مزداناً بالنافورات والأشجار الظليلة .
- ١٤ — كثيراً ما كانت إيزيس المصرية تُقرن بليو عشيقة چويتز ، وكان لها معبد في ساحة مارس بروما . أما إيو فهي عشيقة چويتز التي مسختها زوجته چونو بقرّة انتقاماً منها بعد أن نُمي إليها أنها ضالجت كبير الألهة .
- ١٥ — كان ثمة معبد في فورم يوليوس [الفورم هو ساحة السوق] لفينوس الأم «فينوس جنيتركس» ، وبجانبه نافورة «أكوا آبيا» التي سميت بهذا الاسم لأن المياه كانت تصلها عبر قناطر الماء المرتفعة التي شيدها الرقيب آبيوس كلوديوس .

- ١٦ - السابين شعب لاتيى إيطالى اشتهر بأنه أول من حمل السلاح ضد أهل روما انتقاماً ، بعد اختطاف الجند الرومان لنسائهم أثناء مشاهدتهم لألعاب مسرحية كن قد دعين لمشاهدتها . وبعد معارك طويلة خضعوا للرومان واندرجوا فى سلك المواطنة الرومانية .
- ١٧ - تل بالاتينوس هو أضخم تلال روما السبعة ، شيد فوقه رومولوس أسس العاصمة الإيطالية حيث أقام هو وحاشيته . كذلك أقام عليه قيصر أوغسطس قصره هو ومن خلفوه من الأباطرة . ومن ثم أطلقت كلمة « بالاتيوم » منذ ذلك الحين على أى قصر يقيم فيه الملك أو أحد الأمراء . ويقال إن اسم التل مشتق من اسم الربة « باليس » إلهة المراعى وحظائر الأغنام عند الرومان .
- ١٨ - كان هذا الموكب يبدأ من تل الكاپيتولين ويبلغ الملعب بعد مروره بسوق المواشى ، ثم يصل سيره فى حلبة الملعب . وكانت التماثيل العاجية تُحمل فوق الأعناق فتصقّق الجماهير لتمثال أحبّ الآلهة إليها : الجنود لتمثال مارس إله الحرب ، والعشاق لتمثال فينوس إلهة الحب .
- ١٩ - أمر أوغسطس معركة سلاميس البحرية فوق بحيرة أعدت خصيصاً لهذا الغرض عند سفح تل جانيكولوم عام ٢ ق.م. .
- ٢٠ - القائد كراسوس وابنه فى معركة كارهاى خلال قتاله مع البارثيين (٥٣ ق.م.) حين استولى الجيش البارثى على كافة البيارق الرومانية .
- ٢١ - جايوس قيصر هو ابن أجريا وجوليا ابنة الامبراطور أوغسطس ، وكانت تُعدّ العُدة لإيفاده فى حملة ضد فراطيس ملك البارثيين ، غير أنه لقي حتفه بعد أن جرح فى إحدى المعارك ، ولم يستطع أن يحقق الأمال التى أشار إليها أوغيد .
- ٢٢ - أمير الشباب هو اللقب الذى كان يُخلع على من له الحق فى قيادة موكب الفرسان السنوى بروما .
- ٢٣ - لم يكن له فى حقيقة الأمر غير أخ واحد هو لوكيوس قيصر .
- ٢٤ - كان من بين ألقاب الامبراطور لقب « أب الدولة » .
- ٢٥ - أنجبت داناي عشيقة جويتر بيرسيوس الذى تزوج أندروميديا فولدت له بيرسيس .
- ٢٦ - يداعب كيويدي باكخوس ، وعندما يبلل جناحيه بالنبيذ يثقله فيمنعه من التحليق .
- ٢٧ - باباي مصيف بحرى مختار لأهل روما قديماً ، وقد اندثر الآن بفعل الزلازل .
- ٢٨ - هو معبد ديانا النيمورنسية إلى جوار بحيرة نيميه القريبة من روما . وكان كاهن المعبد عبداً هارباً يقتل سلفه كى يتقلد وظيفة الملك والكهانة فى آن واحد . وكانت هذه الغاية من أحب الأماكن للعشاق .
- ٢٩ - يمثل أوغيد ثاليا إحدى ربات الفن (ربة الملهاة) تعتل مركبة ذات عجلتين تلميحاً إلى بيقى القصيدة الإيليجية ، وكان أحدهما أطول من الآخر .
- ٣٠ - هو كاونوس الذى وردت قصته فى الكتاب التاسع من مسخ الكائنات الـ « ميتامورفوزيس » لأوغيد ، ترجمة كاتب هذه السطور .
- ٣١ - اشتهر أهل كريت فى العالم القديم بالكذب :
- ٣٢ - حجب إله الشمس وجهه عن موكتائى حين أغوى ثيتيس بن پيلويس زوجة أثريوس المدعوة لإيروى فزى بها .
- ٣٣ - هى سكيللا التى كثيراً ما يُخلط بينها وبين الأنتى المتوحشة التى تحمل الاسم نفسه ، حتى لقد اختلط الأمر كذلك على فرجيل نفسه فى « الرعويات » .
- ٣٤ - كيروسا هى إحدى بنات كريون ملك كورنثة ، وكانت على وشك الزواج من جاسون بعد هجره لميديا ، إلا أنها تلقت من ميديا رداء مسموماً أحرقتها يوم زفافها ، ولها اسم آخر هو جلاوكى .
- ٣٥ - فينيكس هو ابن أميتور وهيوداميا . وكان أميتور قد هجر زوجته من أجل عشيقته ، فحثت هيوداميا ابنها فينيكس على أن يغوى عشيقة أبيه . وإذ نجح فى مسعاه رماه أبوه بالعقوق ، ففر فينيكس إلى ثيساليا حيث استقبله بيليوس ونصبه معلماً لابنه أخيل ، وصاحب أخيل إلى طروادة وكان مستشاراً له خلال الحرب ، ويقول البعض إن أباه رماه بفقدان البصر فحرم النور . وهذه هى الرواية التى أخذ بها أوغيد .

- ٣٦ — هيبوليتوس هو ابن ثيسوس الذى راودته فيدرا زوجة أبيه عن نفسها وازدراها فاتهمته زوراً بأنه حاول أن ينال منها ، فطلب أبوه من الإله نبتون أن يهلكه ، فعرض له وحش من البحر وهو يقود مركبته على الشاطئ فسقط من على المركبة مربوطاً في عنانه وظلت الخيل تجرّه حتى مات .
- ٣٧ — تزوج فينيوس بن أجينور ملك طراقيا من كليوباترة بنت بورياس وأولدها ولدان ، وبعد موتها تزوج من إيدايا بنت داردانوس التى اتهمت ابني كليوباترة بالتآمر ضدها فغضب فينيوس وقضى بسمل عيونهما . وثار جويتر غاضباً وخبر فينيوس بين الموت والمعنى عقاباً له ، واختار فينيوس ألا يبصر في الشمس فغضب منه إله الشمس ، وعذبه بأن أرسل له طيور الهاريس لتلويث طعامه كلما انكبّ عليه .
- ٣٨ — أى من الأسف أنك لا تستطيعين مقابلة خيانة زوجك بالخيانة .
- ٣٩ — كان اليونان والرومان يرمزون للمحيطات باللون الأخضر وللبحار الصفراء باللون الأزرق .
- ٤٠ — المقصود هو التحذير من المغازلة في تلك الأيام التى يَأْلَف الناس فيها إعطاء الهدايا ، إذ يُنتظر من العشاق كرمًا يفوق ما قد يقدرّون عليه . ومن هذه الأيام أعياد الميلاد وعيد أول أبريل وهو عيد مهرجان الربّة فينيس (وكان عيداً لأهل العريضة والمعاهرات) . وكانت الهدايا من السلع الثمينة التى يتبادلها أهل روما في عيد الإله ساتورن تعرض في الملعب الأكبر « سيرك ماكسيموس » لكى يشتريها الجمهور . وجرت العادة بأن تعد الأيام مششومة إذا ما كانت الثرياً منخفضة وكوكبة الجديدين شديدة القرب من الأفق ، وكذلك اليوم الذى يفيض فيه نهر الألبا (يوم ١٨ يولية) ، ففى مثل هذا اليوم من عام ٣٩٠ ق.م . هزمت قبائل الغال الجيوش الرومانية ، ومن ثم أصبح يُعدّ يوم شؤم .
- ٤١ — المقصود هم اليهود الذين يحرّمون كل شيء يوم السبت عدا الصلاة .
- ٤٢ — هذا اقتباس عن إنياة فرجيل (الكتاب السادس : ١٢٩) ، استخدم فيه أوفيد عبارة فرجيل الجادة في موطن اللهو والعبث .
- ٤٣ — خطّ أكونتيوس رسالة على تفاحة بعث بها إلى حبيبته سيدى نصّها « أقسم بديانا لأتزوجن أكونتيوس » ، ولمّا تلتها سيدى ، وكان ذلك على ملأ ، أصبحت ملتزمة بالقسم .
- ٤٤ — يُضرب المثل بينيلوبى في الوفاء للزوج الغائب ، إذ صمدت عشرين سنة لإغراء الرجال في مدينتها أثناء غياب زوجها أوديسيوس في حرب طروادة ومغامراته البحرية .
- ٤٥ — جرت العادة بأن يُخصى كهنة كويل قبل الالتحاق بخدمتها ، وكانوا يقلدون المجانين في صيحاتهم أثناء تأدية طقوسها بدق الدفوف والصراخ بلا حياء .
- ٤٦ — أريادنى هى من أعطت الخيط لثيسوس بعد أن وقعت أسيرة غرامه لكى ينشره خلال تجواله في المتاهة ، ويعرف به طريقه أثناء العودة .
- ٤٧ — أحبت فيدرا هيبوليتوس ابن زوجها ثيسوس حباً آثماً وراودته عن نفسها ، وإذ أبى أدعت لزوجها أنه قد راودها فُحق عليه العقاب .
- ٤٨ — أحبت فينوس أدونيس بن سينراس ملك قبرص ، ولكنه قضى نحبه في شبابه بعد أن فتك به خنزير برى رغم تحذيرات فينوس .
- ٤٩ — تسمية لباكخوس مشتقة من صيحات عابديه وكاهناته .
- ٥٠ — كان ترتيب الانتخاب يجرى بالاقتراع ، وقد يعنى النص « مُعلن الانتخاب » .
- ٥١ — اللايث شعب همجى كان يعيش في جبال ثيساليا ، اشتهروا بصراعهم مع القنطور الذين استضافهم اللايث في حفل زفاف بيرثيس أحد أمرائهم من هيبوداميا ، وقد ثمل القنطور فأهانوا العروس . ومات عدد كبير من القنطور أثناء الصراع ، ومن بينهم يورثيس وكان أول من أهان العروس .
- ٥٢ — أبولوس بن جويتر وحاكم الرياح وإلهها .

- ٥٣ — كثيراً ما استند النقاد على هذه الآيات للقول بأن أوفيد كان لا أدرياً في معتقداته . ولكن تمنع النص بين أنه يقر عبادة الآلهة بل يجدها على ألا يظن الناس (كما كان الفلاسفة الأبيقوريون يظنون) أن الآلهة في سمواتهم لا يهتمون بما يحدث في الدنيا . فيعتقد أوفيد أن الآلهة يتدخلون في أمور البشر من وقت لآخر ومن حيث لا يشعرون ، لذلك تحسن عبادتهم عبادة خاشعة على أمل أنهم سيثيرون الأبرار ومن لا يوقع الضرر بالآخرين . وواضح أن أوفيد يخشى ألا يستطيع الإنسان أن يعيش حياة صالحة إذا لم يستشعر قوة عليا تراقبه وتحاسبه . ولم تكن الديانة التي يعيها تلك الديانة البدائية الغليظة المرتبطة بالعبادات اللاتينية المحلقة الشعائرية ، بل الديانة الإغريقية العامرة بالأساطير اللهاة الرامزة لأحوال النفس وظواهر الطبيعة . وليس من مكان للديانة المحلية سوى ربة الحظ « فورتونا » التي لا ترقى إلى مستوى الآلهة وإن كانت تعد متقلدة لإرادتهم في أمور الدنيا . وكان ملحا الميل نحو الديانة الإغريقية القديمة متجلياً أيضاً في اتجاه الامبراطور أوغسطس نحو تمجيد فكرة النظام والاستقرار رغم تقلبات الطبيعة والدهر . وكانت الديانة الرسمية في الامبراطورية الرومانية تعد الامبراطور بمثابة ممثل شخصي لرب الأرباب جوبيتر على الأرض ، بل وتدعوه « الإله الحاضر بيننا » ، ومن ثم غدت الديانة الرسمية وسيلة لربط الأمة بولاء ديني موحد ومشترك لا يهتم بتعاليم دون أخرى ، وإنما يفتح المجال للديانة الموحدة الإغريقية القديمة التي لا ترتبط بألهة قبايلية محلية متفرقة ، كما كانت الحال في إيطاليا قبل تأسيس الامبراطورية الرومانية ، فأصبح الآلهة حلفاء الدولة والدولة حليفة الآلهة .
- أما أوفيد ، فكان يحاول مساهمة العقيدة الرسمية السائدة لأسباب بديية ، وإن كان لا يهتم كثيراً بأمور السياسة والمُلك على حد قول الأستاذ هرمان فرنكل في كتابه « أوفيد . . . شاعر بين عالمين » : « لم يؤمن أوفيد إلا باثنين : الفن والإنسان » . واهتمامه بالأساطير هو من مظاهر إيمانه بالفن والآداب وليس دليلاً على معتقدات دينية معينة .
- ٥٤ — فالاريس طاغية أجرينيم ، كان قد طلب إلى بيريلوس الفنان الأثيني أن يصنع له ثوراً نحاسياً يحشر في باطنه المجرمين ويحرقهم أحياء فتصدر صيحاتهم تحاكى خوار الثور .
- ٥٥ — كان أوريون قناصاً شهيراً يصيد الحيوانات المفترسة في غابات ديريكي بجوار طيبة ، حيث عذبت ديريكي بأن شددت إلى ذيل ثور متوحش جرّها على الصخور عقاباً لها على أسرها لأنثى مطلقاً زوجها ليكوس ملك طيبة ، وحوّلها الآلهة بعد ذلك إلى نافورة رحمة بها .
- ٥٦ — دافنيس هو ابن هرميس [مركوريوس] وإحدى الحوريات ، اشتهر بأنه مبدع الشعر الرعوى . ولد في أجرة من شجر الغار حيث تركته أمه ليموت ، إلا أن حوريات الغابة رعيته وربيته كما علّمه الإله بان عزف الناي فبرع وامتاز . وكان جميلاً وسيماً أحبته بعض نساء البشر وبعض الحوريات ، بيد أنه خان إحدى الناياديس التي كانت تعشقه فانتقمته منه وأعمته . فرفعه هرميس إلى السموات وفجر ينبوعاً من مكان صعوده أخذ الرعاة يختلفون إليه كل عام لتقديم القران إلى روحه .
- ٥٧ — پاتروكلوس كان صديق أخيل الحميم اشترك معه في معارك الحرب الطروائية حتى صرعه هكتور ، فحزن أخيل على موت صديقه حزناً شديداً . والمقصود أن تلك الصداقة الكبرى بين الاثنين تحرّم على پاتروكلوس أن يخون صديقه بأن يغازل شريكة فراشه وهي أسيرته بريزيس .
- ٥٨ — كان پيرثووس ملك اللايث صديقاً حميماً لثيسبوس فرعى حرمة زواج هذا الأخير من فيدرا .
- ٥٩ — كانت هرميونيه زوجة لأريستيس ، أما بيلاديس فكان أعز أصدقائه .



الكتاب الثاني

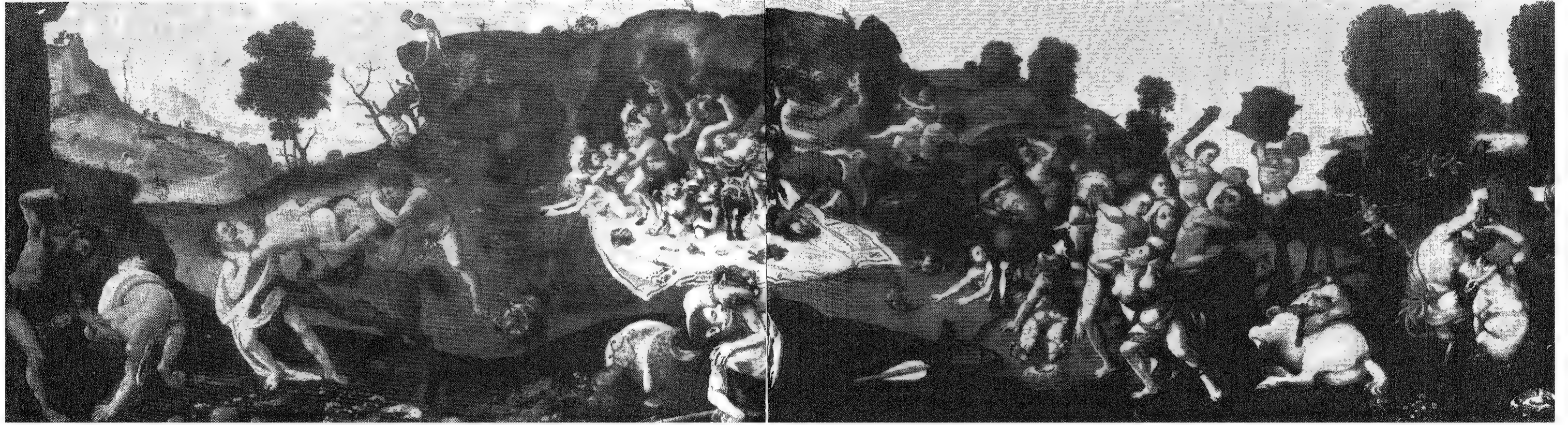
الكتاب الثاني

بأهازيج النصر اشدُ يافتي
ثم اصدخ مهلاً أني مضيت .
فها هي ذى من كنت أطاردها تقعُ فريسة في الشريك .
وليتوَجْ بياكليل الغار جيبني من سعد في عشقه ،
وليرفعني فوق مرتبة هسيود شاعر أسكرا ،
وهوميروس الضربير حكيم مايونيا العجوز .
يمثل هذه الأهازيج شدا باريس بن پريام ناشراً أشرعته الناصعة
وهو يؤوب بعروسه التي اختطفها من أميكلای موطن المحاربين .
ويمثل هذه الأهازيج أيضاً شدا عريسك يا هيوداميا ،
وهو يجعلك في مركبته الفائزة بعيداً عن قري وطبك^(١) .
فيم العجلة يافتي وشرائعك مازال يشقُ الريح وسط الخضم ،
والمرفا الذي أحاول دفعك صوته لا يزال بعيداً كل البعد ؟
حسبي أن نشيدي ألقى بفتاة أحلامك بين ذراعيك ، وبفني فزت بها ،
ولكن عليك أيضاً أن تأخذ عني ما يستبقها في كنفك .
لنصر بهجة ، أروغ منها أن تحتفظ بكسبك .
ففي الأولى قد يلعب الحظ دوراً ؛

وفي الثانية لا معدى لك عن حذقي ومهارة .
أي [فينوس] إلهة كثيرًا أنت وابنك إيروس [كيبيد]



تتساقو . باكنوس يطل على أريادني من مركبته . التاشونال جاليري بلندن .



بيرو دي كوزيو: القتال بين اللايث والقنطوري. الناشونال جاليري بلندن.

أما آن لرماد جسدی أن یرد إلى ثری أجدادی ؟
 إن كانت الأقدار قد قست علی فحرمتی العیش فی وطنی ،
 فهل تَضُنَّ علی أن ألقى خَتْفی به ؟
 وإن بخست جملی حقّه وهُنْتُ علیک ،
 فهلاً منحت إیکاروس ابنی أوتته ،
 وإن لم تأخذک الشفقة به ، أفلا منحتها لأبيه ؟ » .
 وإذ أدرك دايدالوس ألا جدوی من استعطافه ناجی نفسه :
 « آن لك الآن یا دايدالوس أن تحتال بثاقب فکرك .
 ها هو ذا مينوس قد مَلَّك البرّ والبحر معا ،
 فهروبا عبر الأرض أو الموج مقضی علیہ ،
 ولم یبق أمامنا سوى الأفاق .
 فلنجهد لنشق فی الفضاء طريقا .
 أيا جویتر ناشدتک یا اسمی الالهة أن تغفر لی جرأة مسعای ،
 فما دار بخلدی أن أمس إحدی ديارک المستقرة بین النجوم
 لكنی لا أملك حيلة إلا أن أتخذ طریقى عبر الأجواء کى أفلت من ذاك الطاغية .
 ٤٠ ولو كنت تحت طريقاً لی فی نهر ستیکس ، لسبحنا عبره .

٢٠ وأنت أيضا یا إیراتو^(٢) یا من اشتق اسمها من الحب ذاته ،
 أمر جلال يشغل بالی اليوم ،
 فأمدونی کرماً منكم بالعون
 حتى أجلون بفنى كيف نقهر الحب على أن یثبت .
 الحب ! ذاك الفتى الهائم فی رحاب الكون
 فتى قلب عصی کبح جماحه .
 بجناحيه یحلّق
 یقلّت .

حاول مينوس^(٣) وسعّه التضييق على دايدالوس ليعوق فراره .
 ومع ذلك شقّ الضیف طريقه الجسور محلقاً بجناحين .
 فبعد أن أودع السجن المينوطور - نصف الإنسان ونصف الثور -
 الذى حملت به پاسيفای سفاحا ،
 ناشد دايدلوس الملك متوسلاً
 لعله یمسّ برجائه شغاف قلبه فيرقّ ويطلقه :
 « أی مينوس یا أعدل الملوك أما لمنفای هذا من خاتمة ،

هَبْنِي القُدْرَةَ عَلَى أَنْ أُبْدِعَ قَوَاعِدَ جَدِيدَةٍ
تُغَيِّرُ مِنْ أَحْكَامِ طَبِيعَتِي [البشرية] «
كَمْ مِنْ كَارِثَةٍ فَتَقَتْ أَذْهَانًا عَنْ حِيلٍ مُبْتَكِرَةٍ .
أَوْ يُمْكِنُ أَنْ نَعْقِلَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَطِيرُ !
دَايْدَالُوسَ صَفٍّ رِيَاثًا فِي أَرْبَعِ صُورَةٍ ،
شَكْلٍ مِنْهَا جَنَاحِينَ ، مَجْدَافِي طَيْرٍ .
وَتَبَّتْ هَذَا التَّكْوِينَ الْمَشِّ بِخِيوطٍ مِنْ تَيْلٍ ،
ثُمَّ أَسَالُ الشَّمْعَ الْمَذَابَ عَلَى الْأَطْرَافِ لِتَمَاسِكِ .
مَا أَعْجَبَ هَذَا الْإِبْدَاعَ إِذْ اكْتَمَلَ بِنَاؤُهُ !
غَلَقْتُ الدَّهْشَةَ وَجْهَ إِيكَارُوسَ ، إِذْ أَمْسَكْتُ بِأَجْنَحَةِ الرِّيشِ .
لَمْ يَكْ يَدْرِي أَنَّ سَوْفَ تُشَدُّ عَلَى كَتْفِيهِ .
وَقَالَ أَبُوهُ « انْظُرْ هَاكَ سَفِينَتُنَا عَلَيْهَا نُقْلَعُ ،
نَفْرُ بِهَا مِنْ مِينُوسَ وَنَعُودُ إِلَى أَرْضِ جَنَّتِنَا مِنْهَا .
لَمْ يَبْقَ لَنَا غَيْرُ الْآفَقِ مَلَاذَا بَعْدَ مَا أُوصِدَ فِي وَجْهِنَا كُلِّ السُّبُلِ .
إِلَيْكَ إِبْدَاعُ يَدِي وَاجْهَدْ أَنْ تَعْلَوْ فِي الْجَوِّ وَسِيحْدُوكَ التَّوْفِيقَ حَتْمًا .
لَكِنْ حَذَارَ مِنْ بَرَجِ الْعِذْرَاءِ ،
وَكُوكِبَةِ الْجَبَّارِ حَامِلِ السِّيفِ وَرَفِيقِ رَاغِي الشَّاءِ .
غَضُّ الطَّرْفِ وَلَا تَتَلَفَّتْ لَهَا وَاتَّبِعْنِي بِجَنَاحِيكَ .
سَأَكُونُ لَكَ الْقَائِدَ وَالْهَادِيَ ،
فَلْتَمَضْ بِجَنَاحِيكَ فِي إِثْرِي غَيْرَ هَيَّابٍ ، وَلْتَصِلَنَّ بِإِرْشَادِي آمِنًا .
وَاحْذَرِ أَنْ تَعْلَوْ إِلَى قُرْبِ الشَّمْسِ ، فَقَدْ يَنْفَقُ صَبْرُ الشَّمْعِ أَمَامَ تَوَهُّجِهَا .
أَوْ تَهْبِطَ صَوْبَ الْبَحْرِ فَيَبْتَلُ الرِّيشُ بِزَيْدِ الْمَوْجِ .
طَرِّبِي الْإِثْنَيْنِ ، وَخُذْ حَذَرَكَ مِنَ الرِّيحِ الْمُنْطَلِقَةِ ،
فَإِنْ حَمَلَتْكَ الْأَنْسَامُ ، انْشُرْ فِي التِّيَّارِ جَنَاحِيكَ لِتُدْفَعَهُمَا .
وَتَبَّتْ دَايْدَالُوسَ صُنْعَ يَدَيْهِ عَلَى كَتْفِي وَلِيهِ .
وَهُوَ يَعِيدُ عَلَيْهِ نَصَائِحَهُ ، وَيَعْلَمُهُ كَيْفَ يَحْرُكُهَا ،
كَطَائِرٍ تُدْرَبُ فَرَحَهَا الْغَضُّ عَلَى الطَّيْرَانِ .
وَالْتَفَتَ فَرَبَطَ إِلَى كَتْفِيهِ جَنَاحِيهِ ،
وَأَخَذَ يُوَازِنُ جِسْمَهُ فِي حَرَصٍ قَبْلَ الرِّحْلَةِ .
مَسَّتْ شَفَتَاهُ بِالْقَبْلَةِ خَدَّ ابْنِهِ ،

والدمعة في عينيه تطلّ فيعجز عن أن يجسّها .
 كان التلّ الشاخص عن قرب خفيضا ،
 لكنه يبدو شاخا فوق السهل .
 صعدا حتى قمته فانطلقا في رحلة واكبها الشؤم .
 وتقدّم دايدالوس يخفق بجناحيه ،
 ينظر إلى الوراء متابعا حركة ابنه المقتفى أثره .
 وحين ازداد إيكاروس قدرة ومهارة زائلة الخوف ،
 فانطلق جسورا وسرى في الرحلة نبض البهجة .
 ٨٠ ها هو ذا صيادٌ يمسك شيصا قد ذهل لمرأىهما ، فيقلّت من يمناه الخيط !
 ها هي ذى جزيرة ساموس عن يسارهما ، بعد أن عبرا جزيرتي ناكسوس وپاروس ،
 كما مرّا بديلوس التي آثرها أبوللو .
 وها هي ذى جزر ليشوس وكاليمنى ،
 تكسوها الغابات ، يُغشيها الظلّ ، تبدو لهما عن يمينه ،
 وأستياليا تحتضنها بحار غامرة بالأسماك .
 استيقظ عندئذ بين حنايا الفتى نرق الشباب ،
 وجروّ فحاد عن مسار أبيه ، وانطلق إلى أعلى ، أعلى ،
 ودنا من ربّ الشمس ، فذاب الشمع وانفكّ رباط الرّيش ،
 وأصاب الوهن ذراعيه ، أصبحتا عاجزتين عن السيطرة ، حتى على الأنسام الهينة .
 وتطلع فرعا وهو يترنح في تيه الأجواء إلى الماء المترائى تحته ،
 قد غمى طوفان العتمة على عينيه فأظلمتا رعبا ،
 مذ ذاب الشمع ، ودبت بذراعيه العاريتين الرعدة ،
 وهو يمدّهما ويحاول عبثا أن يضمّد .
 لا شيء هنالك يستند إليه .
 هوى من أعلى الأفاق وهو يصيح : « أبناه .. أبناه .. إني أنزلق إلى الأعماق »
 والماء الأخضر يخنق في شفثيه الكلمات ،
 لا تكاد تتناثر من فمه حتى يطويها الماء إلى الأبد .
 وإذا أبوه التعسّ الثاكل ولده ،
 يصرخ : « إيكاروس ، إيكاروس ، ولدى .
 أين تراك يا ولدى ؟
 وأى أجواز الفضاء غيبتك ؟ »

تسلیانو: آکائون یخانی، دیانا فی حالها: شفق جلاسیو.



وبينا كان ينادى ملتاغا ، لمح نُثَارَ الريش على سطح الماء .
كانت الأرض قد ضُمَّت رَفَاتَ الصَّبِيِّ وحملت مياهُ البحر اسمه .

* * * * *

أخفق مينوس بجلاله أن يتحكّم في جناحي إنسان ،
بينما أنا أدبّرُ لأمسك بتلابيب الإله المجنّح نفسه .
مخدوعٌ من يلجأ إلى فنون هايمونيا^(٤) .

١٠٠ لن يُجِدِيه ما ينتزعه من جبين المهر^(٥) ،
ولن تحتفظ أعشابٌ ميديا بجذوة الحبّ متقدّةً .
وما تُفْلِحُ عُوذاتُ جبالِ مارس^(٦) في هذا ،
حتى لو آزرها ساحرُ النغم .
فلو أمكن السيطرة على الحبّ بالتعاونِ وحدها ،
لاحتفظت ميديا بجاسون بن آيسون^(٧) ، وكيركي بأوديسيوس^(٨) .
لن تُفِيدَكَ العقاقيرُ التي تورثُ الشحوبَ لو أُسْقِيَتْها الفتيات ،
فقد تشوبُ العقلَ وتورثه مساً .
فلتعزّب عنا أيها السّحرُ المشين .
كن جديراً بالحب إن شئت أن تغدو محبوباً ،
ولن تبلغَ مَأْرَبَكَ بالوجه الوسيم والقوام الرشيق ،
حتى لو كنت نيريوس الذي تغنى هوميروس بجماله في قديم الزمان^(٩) ،
أو الصبي هيلاس الذي اختطفته حوريات الماء المغتصبات^(١٠) .
كن على ثقة بأنك لن تحتفظ بعشيقتك ،
إن لم تُضِفْ هبةَ العقل إلى ميزات جسدك ،
وإلا فلا تعجب إن هَجَرْتُكَ إلى آخر .
الجمال ومضةٌ خاطفةٌ لا تلبثُ مع الأيام أن تُحْبَوْ ، ويأتى عليها تعاقبُ السنين .
فالبنفسج لا يزدهر إلى الأبد ، والزنبق لا يفتّرُ بالبسمة دوماً ،
والوردة إذ تدبّل ، تُخَلِّفُ إِبْرَ الشوك .
وعَمَّا قريبُ أيها الشابُ الوسيم ، يكسو الشعرُ الأشهبُ رأسك ،
بعدما يحفرُ الدهرُ أخاديه على بشرة وجهك .
إذن ، فلتكن لنفسك روحٌ مشرقةٌ صنوّ لجمالِكَ .
فهى وحدها تبقى إلى جوارِكَ حتى ساعتك الأخيرة فوق المحرقة .

١٢٠ واصقُلْ فِكْرَكَ بالفنون والآداب ، ولا تهوَّنْ من شأنِها ،
 واغترِفْ من اللغتين^(١١) سَحَرَ القولِ
 ما كان أوديسيوس وسيماً ، بل كان بليغاً ،
 فاشتعلت في قلب اثنتين من ربّات البحر نيرانُ هواه .
 آهِ ، كم حزنت كالپسو لتعجِّلِه فراقها ،
 وكم حذرتُه المِياهُ العصيّةُ على مجدافه .
 وكم من مرّة ، استعادته قصّة طروادة ،
 فأعاد على مسمعها القصّة نفسَها ، ولكن بعبارات مختلفة .
 وسويّاً وقفا عند الشاطيء ، تُلحُّ عليه كي يحكى
 أيّ مصير فاجعٍ حاق بریزوس قائد الأودريسين^(١٢) .
 ويلوح أوديسيوس بعضاً خفيفة [شاءت الأقدارُ أن يكونَ ممسكاً بها وقتئذ] ،
 ويرسُمُ بها فوق الرملِ اللينِ أحداثَ القصّة ،
 ويحطّط أسوارَ مدينة تشبهُ طرواده قائلاً :
 هَبْ هَذَا جَدولَ سيموويس^(١٣) ، وذاك معسكرى [ويرسُمُ سهلاً] ،
 وتلك خيامُ ریزوس الطراقي .
 فوق هذا السهل سفحتُ أيدينا دماءً دولون ،
 بينا كان هنالك يترصدُ جِيادُ هيمونيا مُشوقاً إلى أسْرِها .
 وفي غمار تلك الليلة عدتُ بتلك الجياد التي غنمتُها ،
 [وبيننا كان يرسُمُ ويروى قصّته فاجأتها من الخلف موجةٌ ،
 ١٤٠ طمست قلعةً پرجاما ومعسكر الطراقيين وأطاحت بالقائد ریزوس]
 فأسرّت إليه الإلهة كالپسو محذرةً :
 « أو تَحْسَبُ تلك المِياهُ مواتيةً لإبحارك ؟
 وآهفي حين تمحوكَ كما محت تلك الأسماء العظيمة ! » .

* * * * *

أى مريدى
 لا تثق في جمال الجسد مهما بلغت وسامتكَ ،
 ولتطو حناياك جمالاً أبقي من جمال المظهر .
 بالتدليل اللبق تستميل المرأة
 والقولُ الخشنُ يورثُ الكراهيةَ والمشاحنة .

نُبغضُ الصَّقَرَ لأنه يحيا أبداً شاكياً السلاح ،
 كما نكره الذئبَ لأنها تنقضُ على القطيعِ المذعور ،
 بينا أفلت طائرُ الحُطَّاف^(١٤) من قَنَصِ الإنسانِ بوداعته
 وبِمِامَاتِ خاوونيا^(١٥) رُسلُ الفألِ الحسَنِ
 تُعششُ أمنةً في الأبراجِ العالية .
 تَبَا لك أيتها المشاجراتِ والمهاتراتِ المريرة ،
 فالحُبُّ لا ينمو بغيرِ ناعمِ الكَلِمِ .
 دعوا الزوجاتِ يطاردنَ أزواجهن بالشجار ،
 واخلوا الأزواجَ يلاحقونَ زوجاتهم بالسلاحِ نَفْسِه ،
 عُدُّوا الزوجيةَ حَلَبَةً عراكِ أبدى ،
 ذاك يلائمُ كلَّ الزوجاتِ ،
 فما يُسهمن في عُشِّ العُرسِ إلا بالشجارِ .
 أما عشيقَتُك ، فلا تُسمعها إلا صوتاً يحنو بالتدليلِ وبالترحيبِ .
 ما جمعكما فوق فراشٍ واحدٍ عقدٌ شرعى ،
 فعشيقكما يقومُ مقامَ رِباطِ الشرعِ .
 رَطَّبْتُ سمعها بعباراتِ التدليلِ وهذه الهمساتِ .
 ١٦٠ فترَفُّ إليها الفرحةَ إطلالةً وجهك .

* * * * *

وما أتيتُ أَلَقْنَ الأثرياءَ فنَ الهوى ،
 فالقادرُ على أن يُعطى في غِنَى عن فَنَى .
 ومن يملك أن يجذبَ إعجابَ المرأةِ بهداياه أوفرُ منى قُدرةً ،
 لا أترددُ في أن أُخْلِى له الميدانَ ، إذ لا يُعوزُهُ نصحي .
 أنا شاعرُ الفقراءِ .
 كنتُ فقيراً حينَ عشقتُ .
 كنتُ أهادى بالكلماتِ ، فلم أكن أملكُ سواها .
 إن عَشِيقٌ فقيرٌ فليكن حلدرا ،
 وليتجنبْ خشنَ القولِ ، وليتحملْ فوق ما يتحمّله ثرى .
 أذكرُ أنى شوشتُ شعرَ حبيبتي لحظةَ غضبِ أهوج ، سلبني سعادتي أياماً عدة .
 لم ألحظْ ، بل لستُ أظنُّ أنى مرّقتُ قميصها .

زَعَمْتُ ذَلِكَ ، فاشتريتُ لها آخرَ من مالى .
فتجنبْتُ أنتَ زَلَّاتِ معلِّمِكَ وكن أكثرَ حكمةً .
خُصَّ معركتك إن شئتَ ضدَّ البارثيين ،
ولكن عِشْ مع العشيقَةِ الفَظْطَةِ فى ظلِّ سلامٍ وارف ومرح دافق ، وكل ما يؤجِّج العاطفة .

* * * * *

زد إلحاحاً فى حزم إن رَأَيْتَها مُعْرِضَةً عن غَزَلِكَ ،
وسِائى يَوْمَ تغدو طَيِّعَةً بين يديك .
باللَّيْنِ يميل لك الغصنُ المَعْوِجُ من الشجرة ،
بيننا ينفصمُ لو انتزعته قهراً .
وكذلك يُعْجِزُكَ النهرُ إذا سبحتَ ضدَّ التيار . ١٨٠
وبالرفقِ تَرَوْضُ النَمورَ وأسودَ نوميديا [الجزائر] .
ورويدا رويدا يتطامنُ الثورُ لنيير المحراث .
ما كان أشدَّ عناداً أُنالاننا الأركادية ،
وإذا هى تلينُ أمامَ شجاعةِ البطلِ ميلانيون^(١٦) ،
فما أكثرَ ما كان يندبُ فى ظلِّ الأشجارِ حظَّهُ ، لِعَلَّظَةِ قلبها .
وما أكثرَ ما حملَ على عاتقه الذى لا يَكِلُ شراكُ الصيدِ الخادعة ليرضيها .
وما أكثرَ ما طعن الخنزير البرى الرهيب برمحه المسدَّد .
لم يعبأ يجرح سهم القنطور هيلايوس ،
بيننا أوجعه سهمٌ من قوس أخرى^(١٧) .
أنا لا أدعوك إلى أن تشحذَ أسلحةَ القنص ،
أو أن تتسلَّقَ جبلَ ماينالوس^(١٨) ،
أو أن تحملَ على عاتقك شراكُ الصيد ،
ولا أن تُعَرِّضَ صدركَ لرشقِ السهام ،
فمبادىءُ فنى الواعى سهلةٌ يسيرةٌ :
إذا قاومتك فتاتك فاخضعْ لرغبتها ، فخصوعك سيئلك إلى النصر ،
وافعل ما تطالبُك أن تفعله :
إذا عَابَتْ فَعِبْ ، وإذا مَدَحَتْ فامدحْ ،
وإذا ارتضتْ فارتض ، وإذا استنكرت فاستنكر ، ٢٠٠
ومتى ضحكك فاضحك معها ،
ولا تنس أن تبكى إن هى بكت .

دُعِ قِسماتِ وجهك تستملِ من مزاجها .
لو اندجحت في لعب الميسرِ تلقى الزهر العاجي بيدها ،
فاحرص حين ترمى زهرَكَ على أن تكون الخاسرَ .
وإذا كنت تُلاعِبها بالنردِ الكاسِبِ فلا تُطالبها بغُرمِ . النرد الخاسرَ .
ولا تُعَدِلِ عن أن تُكوِّنَ الخاسرَ دوماً .
وإذا كنتَ الحاذقُ في الشطرنج ،
فلا تبخلُ عن تركِ عساكرِكَ تستسلم لعساكرها فوق الرُقعة .
بادر واحمل مظلتها عنها ، وشُقْ لها طريقاً وسط الزحام ،
ولا تتردّد في وضعِ نُكّاةِ قدميها أسفلَ طرفِ محفّتها كي تُعينها على الهبوط .
وأُسْرِعْ إلى خلعِ حُفّيها عن قدميها الرقيقَتين إن كانت لا يَسْتَهُمَا ،
أو أَلْبِسْهُمَا قدميها إن كانتا مجردتين منها .
وإن شِكتَ برداً فادْفِئ كَفّيها في صدرك ، ولو ارتجفتَ برداً .
ولا تُحَسِبْها ذَلَّةً أن تحملَ مرأتها بيدك ، يامن وُلدتَ حُرّاً لا قِنّاً ،
[هي ذَلَّةٌ حقاً ، لكن ما أُسرِعَ ما تستعِذُّ بها] .
فهزِقل البطل المولّد الذي حملَ السماواتِ على منكبيه
وصمد لمكائدِ جُونو زوجِ أبيه حتى كَفّت عن تعقّبه
لم يَتَنَكَّبْ عن حملِ سلاتِ الخيطِ لفتياتِ أيونيا ،
بل لقد شاركهن غزلِ الصوف (١٩) .

٢٢٠ انصاع هزقلُ البطلُ التيرينثي لأمرِ أسرةِ فؤاده ،
فهل تستنكفُ أنت أن تتحمّلَ ما احتمَلَهُ ؟
أُسْرِعْ إلى الفورم إن دعتك لتلقاك به ، وليكن وصولُك قبلَ الموعد ،
وليطلْ مُكثُّك فيه معها .
اهجر ما يَشْغَلُكَ وهولِ حيث تُشيرُ لك ،
ولا تدعِ الزحامَ يعرقلُ عَدْوَكَ .
فإذا عادت إلى دارها ليلاً بعدَ الحفلِ ونادتِ خادِمَها ،
فلتَلَبِّ النداءَ عَوْضاً عنه .
مَبَكٌ في الريفِ بعيداً ودعتك ،
فُحْتُ الخطو إذا لم تُسَعِفْكَ المركباتُ ،
فالْحَبُّ عدوُ التراخي .
ولا يعرقلُنْ مسعاكَ القِيظُ الخائِقُ ،



آنجر، تأليه هوميروس. متحف اللوفر.

ولا كوكبة الكلب باعثة الظمأ .
ولا الطريق يغشيه بياض الثلج .

الحبُّ حرب ، فابتعدوا أيها الضعاف المتقاعسون .
ما ارتفعت ألويتنا كي يذود عنها الجبناء .
فالليل والعاصفة والترحال الطويل ،

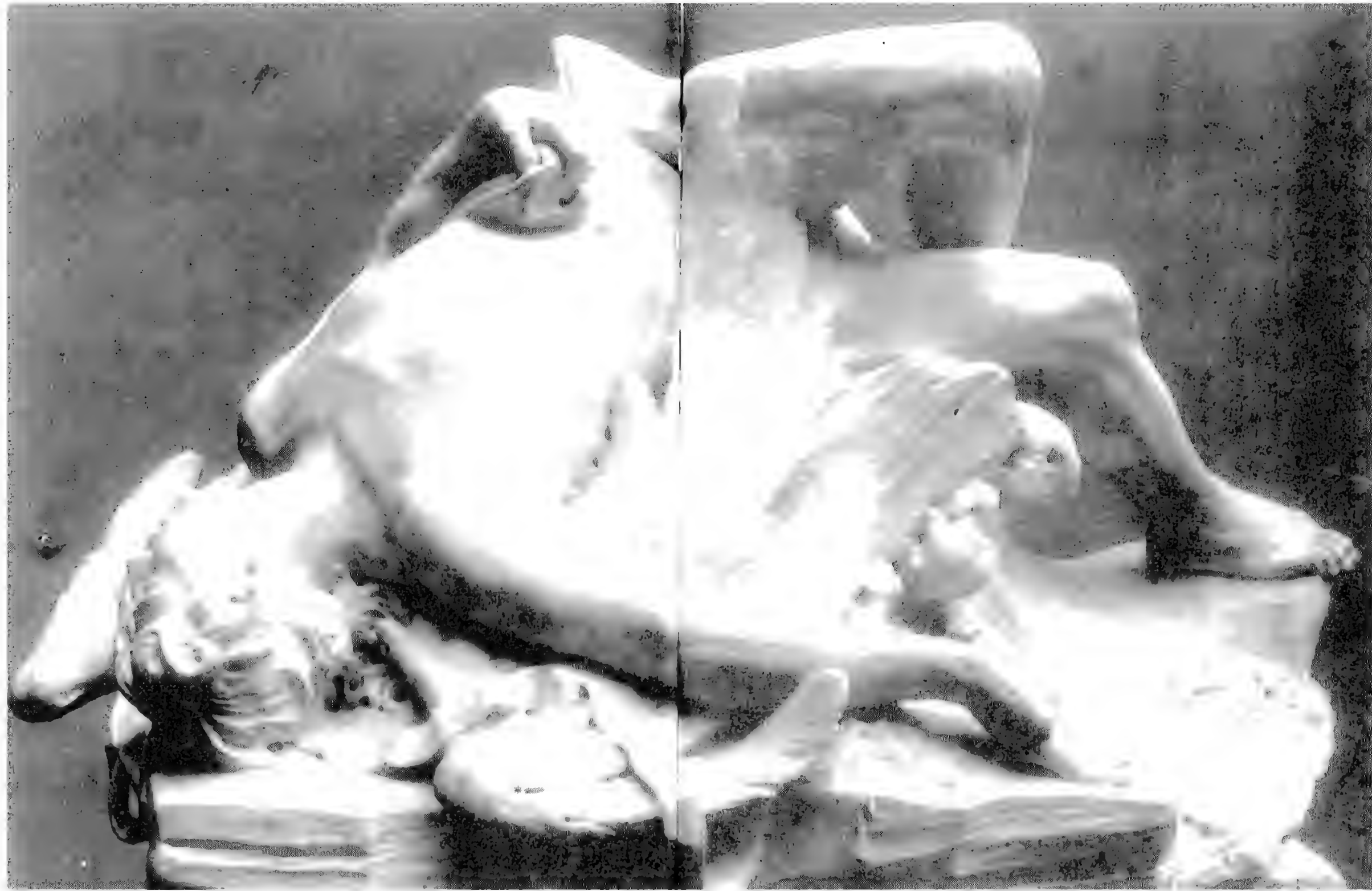
والعذابُ القاسى ، وكلُّ ألوانِ الكدِّ والعناء ،
تكمُنُ فى معسكرِ العشقِ الرقيق .
وما أكثرُ ما ستغمركُ الأمطارُ المنهمرة من سحبٍ تتجمّع وسطَ سمائه ،
أو تلقى بك مقرورا فى عراءِ الكونِ
٢٤٠ يروى أن أبوللو اضطرَّ إلى أن يرمى قطعان أدميتوس^(٢٠) ملك فيراى ،
وأنه قنع بكوخٍ متداعٍ يأوى إليه ،
مَنْ منا يستنكرُ أن يحدوَّ حدَّوه ؟
اطرحْ عنك الكبرياء إن تشوّفت إلى أن تحيا قصة حبٍّ تطولُ وتعمقُ .
فإذا حرمتك الأقدارُ طريقاً سهلاً إلى قلب فاتتتك ،
أو ألفتَ بابها موصداً فى وجهك ،
فألقي بنفسك من كوة السقف ،
أو تسللْ نحوها من نافذة شاهقة ،
وسيسعدُها أن خضت المخاطر فى سبيلها ،
عربون الحب الذى عن يقين ستظفرُ به .
لقد كان فى وسعك أن تتغيّب عن عشيقتك يالياندر
[فلا تلقى بنفسك إلى التهلكة]
ولكنك آثرت أن تقطع أمواج البحر سابحاً ،
برهاناً منك لها على ما تحمل من عاطفة متأججة^(٢١)

* * * * *

لا تتحرّج أن تسعى إلى مودةٍ وصيفاتها ، أعزهن مرتبةً أو أهونهن شأناً ،
لن تحسر شيئاً إن حييت كلاً باسمها ،
أو حنوت بيدك أيها العاشقُ الطموحُ على أكفهن المتواضعة المنبت .
ولتمنح فى عيد الرية فورتونا حتى العبد إن مدَّ إليك يداً هبةً ولو قليلة ،
فلن يكلفك هذا شططاً .
ولتخصّ الوصيفة بهدية فى عيد جونو كاپروتينا ،
يوم اندحر الجيشُ الغالى مخدوعاً بثياب الزفاف^(٢٢) .
صدّقنى : فى كسبٍ ولأى المغمورين والمغمورات نجأحك .
وليكن حارسُ بابها نصيرك ،
وكذلك حارسُ مخدعها .

- ٢٦٠ ولا تغالِ فيما تمنحُ خليلتك من هدايا .
 أعطِ القليلَ المُتَقَيِّ بذوقٍ رفيعٍ ودهاءٍ ماهرٍ .
 فحين يغمرُ الخصبُ الحقولَ والبساتينَ ،
 وينوءُ الشجرُ بِثَقَلِ الثمرِ ،
 أوفدَ عبدك بسلالٍ من بواكيرِ الفاكهةِ يسطُّها بين يديها
 مدَّعياً أنها ثمرةٌ ضَيَّعتِكَ ،
 مع أنك مُشترتها من تاجرٍ « بالطريق المقدس » في روما .
 أرسِلْ إليها العنبَ أو البندقَ الذي وَلَعْتَ به أماريلليس^(٢٣) .
 وحذار أن تبعثَ بالكسثناء [فهي اليومَ دون ما يتطلَّعُ إليه ذوقُها] .
 ولا بأس أن تهديها بُلْبُلًا أو عندليبا
 يؤنسُها ويذكُرُها أنك دائمُ التفكيرِ فيها .
 وإن لأعلمُ أن التوددَ الكاذبَ يضمنُ للمرء أن يحوزَ ميراثَ شيخٍ لا عَقَبَ له .
 تبا للمحتالين على الغرضِ الأثم بالنبيلِ الزائفِ .
 أتراني أنصحُك بأن تبعثَ بقصائدِ شعرٍ عاطفيةٍ ،
 مع أن الشعرَ على روعته لا يحظى بما يَتَفَقَّ وجلاله ؟
 قد يظفَرُ القصيدةُ بشائِها ، غير أن نفيسَ الهدايا هو طَلْبُها .
 فلا تدهشُ أن يستحوذَ همجي موسرٌ على إعجاب فتاتك .
 العصرُ يقينا عصرُ الذهبِ .
 فيه تظفَرُ بآياتِ المجدِ ،
 وبه تظفَرُ بالحب كذلك .
- ٢٨٠ فلتعزُبِ عنا يا هوميروس إن جثتَ في موكبِ ربّاتِ الفن جميعاً خالي الوفاص .
 ومع ذلكَ فين النساءُ مثقفاتٌ وإن كنَّ نُدرةً ،
 وبينهن أيضاً جاهلاتٌ يطمحن أن يتعلَّمن .
 فلتنظِّمِ الشعرَ في محاسن من تلقى منهن جميعاً ،
 فجمال الإلقاء يحيله في آذانهن تغريداً ،
 حسناً أو فجاً كان قريضُك .
 وستجدُ كلَّ منهن مثقفةً أو غيرَ مثقفةٍ ،
 في تشبيكِها صنو هديةٍ متواضعةٍ .

* * * * *



سقوط: سقوط إيكاروس . متحف اللوفر.

إن تُضْمِرْ أن تُسَدِّىَ معروفا ،
فترأخ إلى أن تطلبه هي منك .
هَبْ مثلاً أنك تنوى عِتْقَ عبدٍ ،
فأوعِزْ له أن يسعى إليها كي تتوسَّطَ لديك في أمره .
وإذا تراءى لك العفو عن عبدٍ مذنبٍ أو طرحَ أغلاله ،
المُخِ إلى أن يتوسَّلَ بها .
وستزهو هي إذ تُمَسِّىَ مصدرَ هذا الغفران ،
ويعود إليها فضلُ ما اعتزمتَه من خير .
هَمِىءَ لها الفرصةَ كي تبدو صاحبةَ السلطان عليك ،
فلن يكبِّدَكَ ذلك شيئاً .

وإن كنتَ حريصاً على استبقاء عشيقَتِكَ دَعِها تَهْمُ أنك مفتونٌ بجهاها .
إذا ارتدت ثوباً من أرجوان صور ، قُلْ : « ما فاق أرجوانُ صور شيءٌ » .
وإن لبست ثوباً من نسيجِ كوس ، قُلْ إن في أزياء كوس وحدها كل الروعة .
٣٠٠ وإن اكتست فانتك رداءً ذهبياً فاهتف أنها أغلى من ذهب الدنيا في عينك .

وإذا اتَّشحت بالصوف فأغْرِقْ في الشاء عليه
وإذا وقفت أمامك عارية إلا من قميصها ،
فلتصرخ : « لَأَنْتِ تُشعلين النار في جسدى !
ولتضرغ في هَمْسٍ : حذارٍ من بردٍ يؤذيك .

بادر بإطراءٍ تصفيفَةٍ شعرها ،

ممتدحاً جدائلها إن سوَّتها باللكواة .

كاشِفُها بإعجابك بذراعيها ساعة تلوح راقصةً بها .
وأشِدْ برخامة صوتها وهي تغنى ، وتظاهر بالأسى حين تكفُ .

فإذا جمعت بينكما لحظاتِ النشوة فوق فراشها ،

تمتم في صوت راجف وتأثر مخنوق الإيقاع :

« ما أحلى الفردوسَ في قُربِكَ » .

ساعتها تغدو طيعةً حانيةً بين يديك ،

حتى لو كانت قبلُ في عنف ميدوسا الوحشية (٢٤) .

واحذر أن يفتضحَ رِياؤُك ، أو تخونَ نظراتُك كلماتك .

فكلما سترتَ فنك غدا ناجعا ،

فإذا كَشَفْتَ عن خِدَعَتِكَ خَسِرْتَ وفقدتَ ثِقَتَها بك إلى الأبد .



لوموان : هرقل وأومفال . متحف اللوفر .



باسانو: هرقل وأومفال. متحف تاريخ الفنون بفيينا.

وفي الخريف عندما يبلغ الموسم ذروة جماله ،
 ويميل لون العنب إلى حمرة ما يحويه من نبيذ ،
 وحين يصفعنا البرد تارة حتى نتجمد ، أو يلهبنا القيظ تارة أخرى إلى أن ندوب ،
 ما أكثر ما يوهن الجو المتقلب منا الأجساد .
 فيقينا إنك تتمنى لعشيقتك العافية ،
 ٣٢٠ لكن إن حدث وأصابها تقلبات الطقس بوعكة فأحطها بحبك وحنانك .
 واغنم سائحة ، وابذر ما ستحصده - فيما بعد - بمنجلك بوفرة .
 وحذار أن تضيق ذرعا بمرض حبيبتك أو تبرم .
 ولتكن كفك أنت وحدها هي التي تهدهدها .
 ولتسكب عبرات تترقرق في عينيك ، يرشفها فمها الظامء
 ردّد قسم هواك المرة تلو المرة رنان النبرة ،
 وارو لها أحلاما تغمرها بالبهجة ،
 وأرسل بالمبحرة عجوزا تطوف حول فراشها ،
 تطهر بيدها المرتجفة مضجعها بالدخان الكبريتي وبالبيض^(٢٥) .
 لو بلغت في سعيك هذا المبلغ للأتها يقينا بحبك ،
 وما أكثر ما أفضي هذا النهج إلى ظفر كثيرين يارث .
 ولكن حذار أن تسرف في الاهتمام بمريضتك حتى لا تسأمك ،
 فللتفاق حدود أيضا .
 ولا تحرمها الطعام أو تناولها كتوس عقار مرّ ،
 ودع هذا شركا لغريمك .

* * * * *

ليست الريح التي تدفع شراعك وأنت تخلف الشاطئ
 هي الريح التي تدفع شراعك في خضم البحر الشاسع .



کارافاجیو: مېدوسا. متحف اوفتزی بفلورنسا.

٣٤٠ وكذلك الحبُّ رهيفٌ هشٌّ ساعةً مولده ،
 ترعاه الخبرةُ ويشتدُّ عوده مع الأيام .
 واذكر أن الثورَ الذى يثيرُ اليومَ رعبَكَ ،
 كم ربتُ على ظهره فى الماضى رضيعا .
 وهذى الشجرةُ التى تفتشُ اليومَ ظلالها .
 كانت فيما سلفُ عودا غضاً .
 والجداولُ النحيلُ عند المنبعِ تسقى مجراه روافده ،
 حتى تُحيلةُ نهرا طاغيا عند مصبه .
 احرصُ أن تتوثقَ بينكما الألفةُ ، فهى أقوى رباط بين اثنين .
 كن منها مكانَ السَّمْعِ والبصرِ ،
 وليطالعهَا وجهُك آناءَ الليلِ وأطرافِ النهارِ .
 فإذا اطمأنتَ إلى أن غيابَكَ يستثيرُ شوقها
 فامض عنها قليلاً لتُحرِّكَ فيها القلبَ .
 أهجرها آمادا غيرَ طويلة ،
 فإن الحقلَ الذى لا تُجهدُ تربته دوما
 يُجزيكَ بمزيدٍ من خصبٍ ،
 على حين أن التربةَ التى لا يُعنى بها فتُجدبُ، تمتصُّ غيثَ السمواتِ دون عطاء .
 ظل حبُّ فيليس دفيناً ما بقى ديموفوون إلى جوارها ،
 وما كاد يهجرها مُبجراً إلى وطنه حتى اشتعل حبُّها فأهلكَت نفسها^(٢٦) .
 وحينما هجر أوديسيوس الماكر زوجته پنيلوى كابدت عذابَ الشوق والانتظار .
 وأنتِ أيضاً يالاوداميا أى ثمنٍ دفعتِ لغيبه پروتيسلاوس^(٢٧) ؟
 غير أن الفراقَ القصيرَ الأمدَ لا ينطوى على مخاطرة .
 فالحبُّ يذوى إن طال الفراقُ ،
 ويحتلُّ محبٌ آخرُ مكانَ الغائب .
 حين ارتحل منيلاوس سثمت هيلينا وحدثها فى مضجعيها ،
 ٣٦٠ فاستسلمت لأحضان ضيفٍ يغمرها بالدفع وبالسلى .
 وتلكَ يامنيلاوس ما كنت يوماً بالغيبِ الأحق حتى تُبحرَ وحدك .
 وتُخلَّفَ زوجك فى رفقة ضيفٍ تحت سقفٍ واحد .
 هل تودعُ أيها الغافلُ يمامةً بين مخالب صقر؟
 وهل تأمنُ ذئبَ جبالٍ أن يحرسَ حظيرةَ الأغنام ؟

لا ترمِ هيلينا بالإثم ، ولا تَلْم من زنى بها ،
 فما أتيا إلا ما يمكن أن يأتيه من واجه نفس الموقف .
 أنت من هياتَ لهما مُناخ الزنا إذ أفسحتَ لهما زمانه ومكانه .
 ماذا تراها كانت فاعلة ، إلا أن تنقذ من باب أنت فتحته ؟
 أي خيار كان أمامها ؟
 في غيبة الزوج يقبُض ضيفُ فاتن ،
 بينا هي يعروها الخوفُ فوق فراشٍ لا يؤنسها فيه رفيقُ .
 فليز منيلاوس حفيدُ أترىوس ما يراه ،
 أما أنا فأبرئُ هيلينا من كل إثم .
 فما فعلتُ إلا أن غَنِمْتُ فرصتها ،
 حين ساق إليها الحظُ عاشقا أسرا .

* * * * *

الختزير البري الأحمر في سورة غضبه
 ساعة ينقض بنابه القاطع على كلاب الصيد المسعورة ،
 واللبؤة التي تستثار بينا ترضعُ أشبالها ،
 والأفعى التي تطوها قدمُ الرخالة سهواً ،
 ثلاثها أقلُ افتراسا من امرأةٍ تفاجئُ أخرى في فراش مُتعتها ،
 فيشوهُ وجهها من عُنْف الغضبية .
 لو وجدت لحظتها سيفاً لم تتردد أن تمتشقهُ ،
 أو كان بقدرتها أن تُرسلَ صاعقةً فعلت .
 أي سلاحٍ يقَعُ في يدها يُخرجُها عن هدأتها
 وبه تنقض على غريمها كأنها إحدى كاهناتِ باكخوس المتوحشات ،
 وقد استحثها قرنا باكخوس الإله الأووني^(٢٨) .
 لقد ثارت ميديا الهمجية لخيانة جاسون ،
 ٣٨ وفتكت بأطفالها منه لامتھانه قدسية الزوجية .
 وها أنت ذا ترى أما أخرى تقترفُ فعلةً بشعة ، هي طائر الخُطاف .
 تطلُع . . . فصدرها مخضبٌ بالدماء^(٢٩) .
 هكذا تتداعى أوثرُ روابطِ الهوى وأصلبها عودا .
 هذى خطايا يحسن بالزوج الحذر أن يحذر مغبتها ،
 فلا يثيرُ في امرأته نوباتِ الغيرة الطائشة .

لا تحسبني أتلغُ بعباءة الواعظِ المترمّت ،
 وأحثك على أن تقصُرْ حُبك على واحدة .
 حاشائى وقتك الألهة هذا الشر !
 فعلى العروسُ الشابة قد يشقُّ عليها ذلك .
 تجرّع ما سنع لك من كأس المتعة ،
 مُسدلاً قناعاً يسترُ آثامك ،
 وحذارِ أن تزهُوَ بارتكابها .
 وحذارِ أن تمنحَ امرأةً هديةً تشى بمصدرها لغير المُهدى إليها .
 وحتى لا تفجؤك عشيقتك بين أحضان غيرها ،
 بَدَلْ مكانَ لقاءِ كلِّ منهن وزمانه .
 وبعينِ فاحصة اخترِ اللُوحَ الذى سَطَرَتْ عليه خطايك
 حتى تتيقن أنه لا يحملُ أثراً لرسالة غرام سابقة قد تقفُ عليها .
 فما أسرعُ فينوس إذا طُعنَتْ أن تشنَّ عليك حرباً عادلةً ،
 فهي لا تكادُ تتجرّعُ العذابَ حتى تُذيبك مرازته .
 وتردُّ لك الكيلَ صاعاً بصاع .

* * * * *

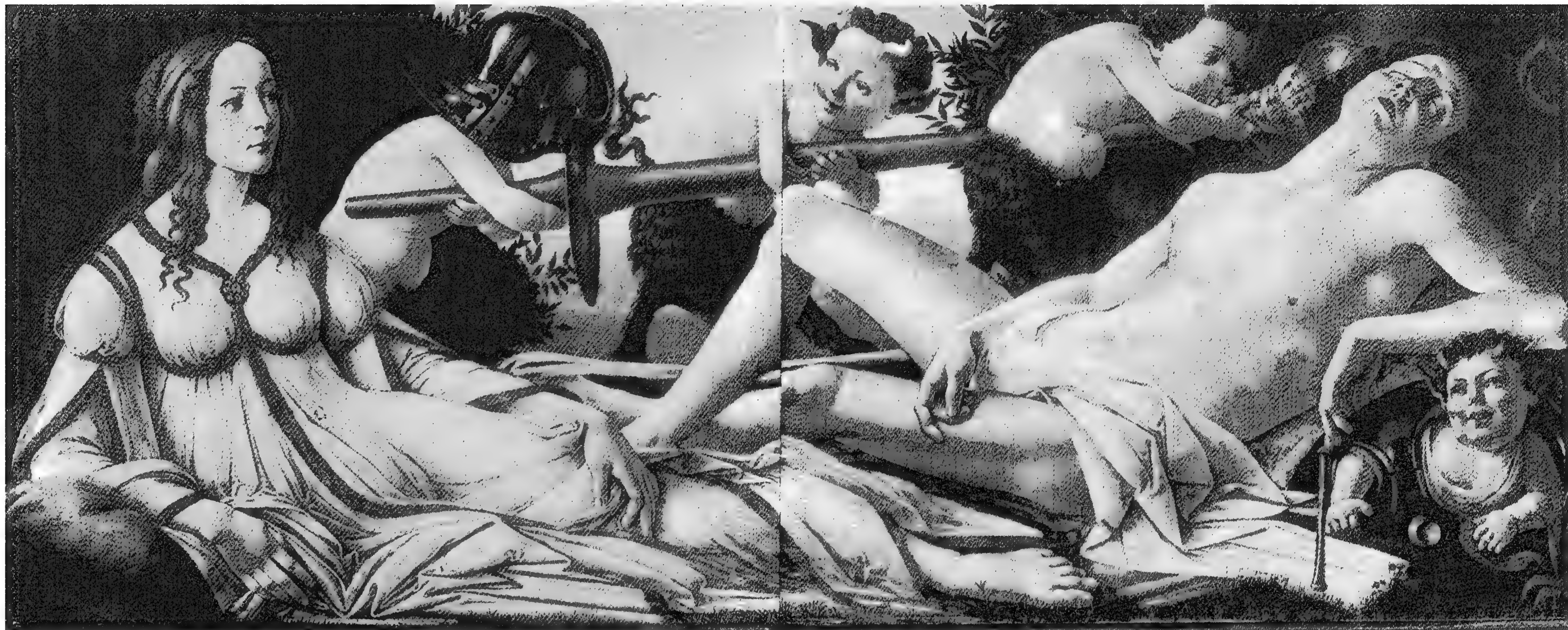
صانت كليتمنسترا عفتها ما ظلَّ [زوجها] أجامنون وفيّاً ،
 ٤٠٠ وانزلت للخطيئة حين اكتشفت إثمه .
 سمعتُ أن الكاهن خريسيس أتاه معتمداً فوق عصاهُ ،
 معتمراً بالعصابة المقدسة ، قابضاً على غصن الغار ،
 متوسلاً إليه عبثاً أن يردُّ إليه ابنته خريسيس .
 وكذلك سمعتُ كيف أدمى الحزنُ قلبك ، يا بريسييس بعد اختطافك ،
 وأتاه نَبأُ خصوماتٍ شائنةٍ أطالت أمدَ الحربِ .
 وما كان ذلك كله غير قصصٍ حملها الرواةُ إليها .
 لكنها رأت بعينها كاسندرا بنتَ پريام بصحبة زوجها ،
 فأدركت كيف غدا [أجامنون] المنتصر أسيراً ذليلاً لأسيرته .
 لحظتها وهبت ابنة تنداريوس أيجيشتوس قلبها مرحةً به فى فراشها ،
 ودبرت الثأرَ انتقاماً من جريمة زوجها المهينة (٣٠) .

* * * * *



دافيد: باريس وهيلينا. متحف اللوفر.

إن افتضح أمرُ غرامياتك المستورة رغم جهودك في سترها ،
فتمسك بالإصرار على الإنكار .
ولا تُسرف في ذلة أو تغلُ في نفاق ،
حتى لا يفضحك سلوكُ المذنب .
اجهد في أن تُعيدَ إليها طُمأنينتها .
عانقها واغمرها بالقبلات إلى أن تمحو ريبها .



بوتشيل: فينوس ومارس. الناشونال جاليري بلندن.

والجرجير المُوَجِّج للشَّبَقِ المقطوف من حديقتك .
ولك أيضا أن تلتهم البيضَ وشَهْدَ جبل هيميتوس
وثمارَ شجرة الصنوبر المسنة .

* * * * *

لماذا نتخبط أيتها الربّة إيراتو يا وحي الشعر ،
في هذه التفاصيل من فنون السُّحر ؟
ألا فلنرتدّ إلى وَسَطِ الحلقة التي ما كان يحقُّ لمركبتي الخروجُ منها .

وقد ينصحك البعض بأن تستخدمَ أعشابا لإثارة « طاقاتك » .
ذلك في رأيي سُمٌّ مُهلك .
أو أن تخلط ببذور القراصِ اللاذعة الفلفلَ ،
أو تسكبَ البابونجَ الزعفراني في كأس النبيذ المعتق .
٤٢٠ ما ترضي الربّة فينوس ساكنةً سفوحِ جبل إريكس^(٣١) الظليلة
أن تَرَشِفَ متعتها من هذا المنهل .
وخيرُ لك أن تقضمَ بصلَ ميجارا الأبيض ،



همز كيرك: فينوس ومارس وفولكانوس. متحف تاريخ الفنون بفيينا.

إن كنتُ نصحتُك من لحظات أن تستر زلاتك ،
فإني أنصحتُك الآن بالنكوص ، فتكشف الستار عن خداعك .
مهلاً .

لا تتهمني بالرأى المتقلب .
فلا إخالُك تجهلُ أن القاربَ الهلالُ لا تدفعهُ الريحُ دوماً سواسية ،
بل حيناً يندفعُ بريح بورياس الشمالية الوافدة من طراقيا ،
وحيثما بريح إيوروس الشرقية ،
وكم من مرة تمتلئ أشرعتهُ بنسيم زفيروس الغربى ،
أو تنبجج بريح الجنوب .

انظر كيف يُرخى قائدُ المركبة الأعنة حيناً ،
ويكبحُ الجياد الجاحمة في حذق ومهارة حيناً آخر .
فربَّ امرأةٍ لا تحبُّ منها شيئاً بإطلاق العنان لهواك الحبي ،
وتفتر عواطفها إن لم تلق غريمة .
فما أسرع ما ينشطُ غرورها مع الدعة ،
وإذا ما واثاها الحظ وأطلتها الطمأنينة .

٤٤٠ أرايتَ إلى النار حين يذوى اضطرامها شيئاً فشيئاً فتأخذُ في الخفوت ،

وتكمنُ تحت رمادٍ أشهبٍ يترامُ فوقها ،
فإذا هي لا تلبثُ إن ألقيت قليلاً من كبريت ،
أن يندلعَ لهيبها ويعودُ متوهجاً كما كان .
كذلك القلبُ إن عَشَّش فيه الاطمئنانُ وزايله القلقُ ،
انخسه بسن المهماز الحاد ، لتزجج فيه ضرام الحب .
دع الرية تتسللُ إلى عشيقتك حتى تُذكى في قلبها الفاتر لهباً يتجددُ .
وليكن شحوبُ وجهها الدليلُ على خيانتك
ما أسعدَ معشوقٌ تبكى بسببه امرأةً مكلومة ،
فما إن تسمع ما لم تُردِّ حتى يزابلها رُشدُها ،
فإذا هذه التعمسة نعيًا عن الكلام ، وتفقدُ إشراقه وجهها
والهفتاه ! كم أتوقُّ إلى أن أغدو ذاك الرجل ،
تشدُّ الحبيبةُ شعره ، وتحمسُ بأظافرها وجنتيه ،
تتطلعُ إليه وقد غشي الدمعُ عينها ، وتحققُ فيه ببصرها غاضبةً ،
وتتمنى أن لو عاشت بدونه وهى أعجزُ ما تكون عن ذلك .

قد تسألني كم من الزمان تتركها نبها لعذاب يقهرها ،
 وأقول لك : أقصِرْ ما أمكنك ذلك ،
 فقد يُذكي هذا إن طال غضبها .
 وتقدّم قبل أن يبلغ غضبها ذروتَه ، بذراعيك تضمّان جيدها الوضاء .
 احتو عشيقَتك الباكية في أحضانك ،
 قبلها وامنحها متع فينوس بينا هي تنهه .
 ٤٦٠ بعدها سيسودّ سلامٌ يتترّع الغضب من صدرها .
 وإذا غالبها الغضب المحتدم وعلا صراخها مُشهرةً عليك الحرب ،
 فاهرعِ تواءً لتوقع بعناقك معاهدة الود .
 ولعمري سوف تستسلم بين يديك وديعةً مُرخيةً القياد .
 وترفرق ربةً الوفاق على ساحة القتال بعد انفضاض الشجار .
 صدقني ، لحظتها يولد الصّفح ويعود اللثام .
 ألم تر إلى الليمات التي كانت منذ قليل تحمّش إحداها الأخرى بمنقارها ،
 ها هي ذى تتألف متعانقة ، وهديلها يزخرُ بعبارات العشق والهيام .

* * * * *

بادئ ذي بدءٍ كان العالمُ كتلةً من أشياء مضطربة في غير نظامٍ أو تنسيقٍ ،
 وكانت ثمة وُحدة جامعة بين النجوم واليابسة والبحار .
 وما لبثت السماء أن سمّت فوق اليابسة التي طوّقتها البحارُ ،
 وأخذ الفضاء مكانه ، وبسطَ للطير ذراعيه ،
 وتلقّت الأدغال وحشَ الحيوان .
 أما أنتِ أيتها الأسماك فقد اخترتِ الماء الدافق ،
 ساعة كان البشرُ يهيمون على وجوههم في أرض مُوجشة ،
 بأشكالهم الفظة وسلوكهم الخشن .
 ديارهم الأدغال ، وقوتهم الأعشاب ، وأوراق الشجر مضاجعهم .
 ما أطول ما عاش الإنسان على غير ألفةٍ مع غيره ،
 إلى أن كان اللقاء بين الذكر والأنثى ،
 فانبثقت في الإنسان تلك المتعة الساحرة التي أرهفت مشاعره الوحشية .
 ترى ماذا كان يُؤايبهما أن يفعلاه ؟
 لقد علّم كلٌّ منها رفيقه دون معلّم .

٤٨٠ بالفطرة كشفت فينوس للإنسان عن قانون المتعة .
 فغدا للطير أليف يَعشقه ،
 وفي أعماق البحار تجد السمكة ذكراً يطفئ غلة شهوتها ،
 وتتبع الأيلة أيلها ، ويضم الثعبان الأفعى ،
 ويلتصق الكلب بالكلبة محمواً بالشبق .
 وتسعد النعجة حين يعتليها كبشها ،
 كما تهتز البقرة منتشية بشورها .
 وتحمل العنزة الفطساء تنن زوجها التيس ،
 وتستأثر الفرس سعاراً ،
 فتلاحق الجواذ الفحل صوب المراعى النائية لا تعوقها الأنهار .
 فلتهدأ بالاً ، ولتطفئن وصاياى الناجعة سورة أثنائك الغضبي
 فهى بلسم الحقيق الثائر ،
 وتفوق فى قدرتها ما أوصى به الطبيب ماخاوون^(٣٢) من عُصارات ،
 فما إن تأخذ بها حتى تعيدك إلى حُظوتها مهما كانت خطاياك .

* * * * *

وبينا كنت أردد لحنى بَغْتنى الإله أبوللو ،
 مُطلأً على بقيثارته الذهبية تَمْسُها إبهامُ يمينه بنغماتٍ شجية .
 وأخذ يدنو منى شيئاً فشيئاً ، يُكَلِّلُ الغارُ خصلاتِ شعره المقدس ،
 وقد أمسك بيسراه غُصْنُ غارٍ .
 ما أروعهُ شاعراً فى عيون الناس .
 وطَفِقَ يحدثنى : « إالىَّ يا أستاذ الحبِّ العارم ،
 وفى إثرِكَ حوارِيوك نحو معبدى ،
 حيث يطالعون نقشاً محفوراً يدعو كلَّ امرئ أن « يعرف نفسه »^(٣٣) .
 فمن يعرف نفسه حقاً يمارسُ الحبَّ بخبرة تفتحُ أمامه موصد الأبواب ،
 ويملكُ أن يسخرَ ما وهبَ لمسايرة خطاه
 فمن حَبَّتْهُ الطبيعةُ بالجمال ، فليستغلّه فى لفت الأنظار إليه ،
 ٥٠٠ ومن كان أبيضَ الجسدِ فليكشف عن كتفه حين يضطجع .
 ومن كان محدثاً لبفاً حاضراً البدية فليوقظ الجمود المخيم .
 وليشدَّ بشجى الغناء صاحبُ الصوت الرخيم .

وليشرب حتى يثمل من يستخفه النيذ .
 وليحذر المحدث المفوه أن يتحدلق حذلقه الخطباء حين يخطبون ،
 أو يحذو حذو الشعراء الملهين حمة حين يئشدون .
 هكذا تكلم فوبيوس .
 ألا فلتدعنوا أيها العشاق لنصحه ،
 فما انفرجت شفتا الإله عن غير الحق .
 ولنعد الآن إلى حديثنا لنصل ما انقطع .
 فمن يستهدى هذه الحكمة في عشقه يطرق أبواب النصر .
 ومن يلجأ إلى فني يحرز ما يصبو إليه .
 قد لا يفي الحقل بحصاد يفيض عما بذر في تربته من حب ،
 وقد تحذل الرياح السفن المتعثرة في إبحارها .
 وقد يثقل الألم العشاق بأكثر مما يحظون من متعة ،
 فليروضوا إذن قلوبهم على المكابدة .
 شتى هي آلام الحب الذي أشيعت سهامه النافذة سماً ناقعا ،
 تربى أعدادها على أعداد الأرانب البرية التي ترعى فوق سفح جبل آئوس ،
 وتعدو أسراب النحل المحلقة فوق جبل هيبلا ،
 وتفيض عن ثمر الزيتون الكثيف على شجرة باللاس الرمادية الزرقة ،
 ٥٢٠ والأصداف المتناثرة على شواطئ البحار .
 إذا زعمت أنها رحلت بعيدا ، ثم لقيتها صدفة ،
 فلتصدق أنها رحلت حقا ، وأن عينيك كذبتاك .
 وإن قصدها في ليلتك الموعودة ، وفاجأتك بإبصار الباب دونك ،
 فتجلد وتجتيم راضيا على الأرض وإن كانت مريبة .
 وإذا جاءتك وصيفتها تواربك في زهو وتتساءل :
 « كيف بك تلاحقنا ومحاصر بآبنا ؟ »
 عندها لا معدى لك عن أن تتلطف إلى الفتاة الغليظة القلب ،
 وتضرع إلى الباب الموصد وإليها معا ،
 وانزع إكليل الورد من على رأسك وضعه على عتبة الباب .
 فإذا ما أذنت عشيقتك فأسرع إليها ، وإذا ما نأت بجانبها عنك قول .
 ولا تدعها تقل : « أف له ، ما عدت قادرة على الفكك منه » .
 فالعاشق الأبى ينأى بنفسه عن أن يكون ملحا .

وقد يُخطئكَ التوفيقُ إذا ركنت إلى وسامتكَ وحدَّها في جميع الأحوال ،
فمشاعرُ المرأة ليست دوماً وفقاً لهواكَ .
ولا تضقُّ بسبابِ المرأة أو بصفعاتها ،
أو تتخاذلُ عن تقبيل قدميها البضيتين ،
فليس في شيء من ذلك ما يَشِينُكَ .

* * * * *

طال تلبُّثي عند هذه التوافه من الأمور
بيننا تتطلع نفسي إلى ما هو أسمى ؟
ها أنذا أنشدُكم ما هو أجْدَى .
فلتنصتوا إليّ يقظين لحديثي الجللُ .
يهونُ العناءُ في سبيلِ الظفر بما يهب من متعة .
وما يُملِ عليكم فني إلا الجهدُ والدأبُ والصمود .
٥٤٠ اضبرْ على غريمك تفهراً ، وتتوجْ بطلا فوق قلعة جويتر الجبار ،
[كالفنصل الظافر فوق تل كاپيتولينوس] .
فلن ييوج بمثل حديثي سوى حفيف أشجار بلوط الپيلازجين^(٣٤) ،
وما أنبتُك إلا بسُلافة فن أخذُقه .
تجمل بالصبر إن لَوحت فتاتك لمنافس ،
وغض الطرف عن رسالة كتبتُها له .
دعها على رسلها تغدو وتروح ،
فمن الأزواج من يكونُ هذا نهجُه مع زوجته الشرعية ،
حين تغشى أيها الكرى الحاني فتُهونُ على الأزواج غفلتهم .
وما إخالني بلغت حدَّ الكمالِ في فني هذا ،
فأنا أنصحُ بما لا أملك أن أفعله .
أتراني أضبرُ على غريم يلوح لعشيقتي بين عيني
دون أن أطلق العنان لفورة غضبي ؟
لكم عانيتُ حين قَبَّلها زوجها أمامي مرة .
فالحب يشحذني بالنقمة والثورة .
ذلك خطأ عذبي المرة تلو المرة .
الكيس من يترك لسواه أن يطرق بابَ عشيقته ،
ويفوقه كياسة من يُغمض عينيه على ما يجري .

دعها آمنّة وهي تنشرُ حبايلها حتى لا تعلقو مُحرّة الخجلِ وَجَنَّتِيهَا ،
 إذا أقرت لك يوما بوزرٍ اقترفته .
 فأولّى بك أيها العاشقُ يا من قد تقفُ عينك على عشيقتك في أحضان عشيق آخر ،
 أن تتركها سادرةً في غيها واهمةً أنك لا تدري .
 فمباغتتك لهما سوف تهبّجُ في قلبها هذا الغي ،
 ٥٦٠ فتزيدُ إصراراً وتمادياً .

ما أكثرُ ما تجرى على الألسنة في أنحاء العالمِ قصةُ مارس و فينوس ،
 إذ فاجأها زوجها الماكر فولكانوس .
 كانت فينوس قد أثارت وَلّة الإله مارس ،
 فأحالت ربّ الحربِ الجبارَ عاشقا وادعا .
 ولم يكن الحياءُ من صفات فينوس ،
 وما كان هنالك قلبُ إلهةٍ أكثرَ من قلبها رقةً ،
 فما أسرعَ ما لانت لتوسلاتِ مارس ،
 ومضت تسخرُ ماجنةً من ساقى زوجها [الحدّاد] الأعرج ،
 وتتضحك من أديم يديه الملفوحتين من أثر النار ،
 المخشوشتين من طول الكدّ ،
 وتميّد سحرا وجمالاً بين يدي عاشيقها وهي تُحاكي زوجها ساخرةً .
 في البدء نجحا في إخفاء لقاءاتهما الأثمة مُتسرّلين بالخُفَرِ والحياء .
 لكن إلهَ الشمسِ وشي بهما لفولكانوس ،
 وهل يملكُ مخلوقُ أن يجذّ سبيلاً لخداعِ إلهِ الشمسِ ؟
 أو يا إلهَ الشمسِ ، ما أسوأ المثلَ الذي تضربه !
 ليتك التمسّت من فينوس إمتاعك بمفاتنها ،
 فما كانت لتصدّك لو كنتَ كَتوما .
 نصب فولكانوس حول الفراشِ شباكاً تخفى دقّتها عن كلّ عين ،
 وتظاهر بالرحيل إلى ليمنوس .

٥٨٠ فهُرِعَ العشيقان إلى اللقاء وإذا هما يقعان في الشراك عاريين .
 لحظتها ، نادى فولكانوس الآلهةَ جميعاً ، ليروا مشهداً جديراً حقاً بالرؤية .
 كادت فينوس لا تملكُ حبسَ عبراتها ،
 وما ملَكَا إخفاءَ وجهيهما ، أو سترَ عورتيهما بأكفّيهما
 وتضحك أحدُ الآلهةِ فقال :

« يا أيها الإله مارس الباسل ،
 إذا كانت قيودُ الحبِّ تَبْهَظُكَ ، فماذا عليك لو حملتها عنك ؟ »
 وبعد لأي استجاب فولكانوس لرجاء الإله نبتون ، وأطلق سراحَ الأثمين .
 فهرول مارس صوب طراقيا بينما أسرع فينوس - شطرَ پافوس ،
 كي يجتمعَ شملُهما بعد قليل .
 وأنت يا فولكانوس ، ماذا جنيتَ من هذا كله ؟
 في الماضي كانا يلتقيان خفيةً واليوم يستمتعان بنشوة الحب علانية ،
 لا محتجبان حياءً أو خشيةً .
 ما أحقَّكَ إذن .
 ها أنت ذا تصارحُ نفسك بخطئك إذ عجلتَ ،
 وتندمَ على ما صنعتَ يدُك الماهرة .
 لتكن لك يا مريدي عظةٌ في هذه القصة ،
 فلا تنصبُ الشراك كما فعل فولكانوس ليفاجيءَ زوجته فينوس ،
 ولا تتربصُ برسائلَ تُداولُ سرّاً .
 خلُ تلك الأحاييل - لا للعُشاق - بل للأزواج
 الذين يُكَلِّلون - قرائهم بطقوس النار والماء^(٣٥) ،
 يَغْنَمُونَ بها إن رأوا في تلك الأحاييل نفعا .
 ٦٠٠ وهنا أشهدُكم أني لا أعْبُ إلا من مُتَعٍ مشروعة .
 فلنأِ إذن في لهونا عن المُحصَّات ذوات التُّورات السابغة .

ومن منكم يجرؤ أن يُذيعَ على المُجذِّفين أسرارَ طقوسِ الرِّبة سيريس ،
 أو ما وَقَدَ من صاموطراقيا من شامخ الشعائر ؟
 حقا إن التزَّامَ الصمتِ فضيلةٌ هيئة
 ولكن البوحَ بما يَحْسُنُ كتمانهُ خطيئةٌ شائنة .
 استحق تانتالوس جزاءَ ثرثرته أن يُمِضِيَ عمره
 محاولاً سُدَى قطف التفاحة المدلَّاة من فرع الشجرة ؛
 وأن يبقى ظمآن والماء من جوله .
 وكما تَنهى ربةٌ كيثيرا أوّل ما تَنهى تابعيها عن إفشاء أسرار طقوسها ،
 فأننا أنذركم جاداً ،
 ألا تَدْعُوا ثرثارا يدنو من محرابها أبدا .

حقاً إن أسرار طقوس فينوس لا تُخْفَى في صندوق مُغلق^(٣٦) ،
 ولا تُرْسِلُ الصنوجُ البرونزية صَكَاتٍ تُفْرَعُ من يتطفّل مقترباً^(٣٧) .
 ومع أنها طَوَالَ أعيادها تَفْتَحُ أبوابَ محرابها لكلّ وافِدٍ ،
 فما أَفْشَى واحدٌ ما يُكْشَفُ له من أسرار .
 ومع هذا فلقد كانت فينوس حين تطرح عنها ثوبها ،
 تنحني قليلاً وتحجبُ عورتها بيسراها^(٣٨) .
 الحيوانات يغشى بعضها بعضاً أنّى كانت على مرأى من الناس جميعاً ،
 بينا تُشِيحُ العذراءُ الحيئةُ بوجهها عن ذلك خَفَرًا .
 وتتوارى نحن في المخادع خلفَ الأبوابِ الموصدة ،
 ونستُرُ عوراتنا بثيابنا ، وننشُدُ الظُّلْمَةَ في لقاءاتنا الخفية ،
 ٦٢٠ أو نأوى للظلِّ الدامس أو عُتْمَةِ لحظات تنأى عن وَضَحِ النهار .
 حتى في الماضي حين لم يكن هناك سَقْفٌ يَقِي من أشعة الشمس وانهمارِ الأمطار ،
 وكان للناس في شجر البلوط القوْثِ والمأوى والملبسُ ،
 لم تكن ملذّاتُ الحياة تُبَاشِرُ علناً ،
 بل في أعماقِ الغابات وأغوارِ الكهوف .
 كان الإحساسُ بالحياة عميقاً في نفوس البسطاء ،
 بينا نختالُ اليومَ بمغامراتنا الليلية ،
 ونتكالبُ على دفع أبهظِ الأثمان في سبيل علاقة نزهو بها .
 أو لست حين تغازلُ أنثى تلقاها ،
 إذا أنت تُشِيحُ أنها واحدةٌ من خليلاتك ؟
 أليقُ بك أن تُلَطِّخَ بالفضيحة فتاةً لم تَمَسَّهَا أناملُك ؟
 وكم يهونُ ذلك إلى جانب ما يختلقه قومٌ من إلفكِ على نساء ،
 ولو كان هذا الإلفُ حقاً لَأَخَفَوهُ في إصرارٍ .
 ما أكثرَ الذين يدَّعون أن ليس في الوجود أنثى امتعت عليهم ،
 إن سَلِمَ جسدُ المرأة من أمثال هؤلاء الرجال
 فما سَلِمَ اسمُها ،
 تمضي تطاردُها تلك الفِريَّةُ بالإثم المزعوم .
 ألا فليُغلقِ الحارسُ البغيضُ بابَه المنيعَ على امرأته ،
 وليوصدْه إن شاء بمائة مزلاج .
 أيجِدِي ذلك إن ظلَّ مَنْ يدنسُ اسمَها طليقاً خارجَ بابها ،

موهما النَّاسَ بما لم يقع أبداً إلا في زعمه ؟
أما عني فإني لا أروى من مغامرات العشق الحقبة إلا نذراً ،
٦٤٠ وأحيطُ نزواتي بستانٍ كثيفٍ .

وأقول لكم أنتم خاصة لا تُكاشِفُوا امرأةً بعيبٍ فيها ،
فكم من عاشقٍ نال مناهُ حين تظاهرَ بأنه لم يَلحظه .
هل عاب پيرسيوس ، ذاك البطلُ المَجْنَحُ القدمين ، على أندروميذا سُمرَةً بَشَرَتِها ؟
وهلاً شاد غيرُ هيكتور وحده بقوام زوجته أندروماخي ،
بينما أجمع الكَلُّ على بدانتها وطولها الفارع .
جاهدُ أن تألفَ ما لم تألفهُ ، ولسوف يطيبُ لك هذا بعدُ .
فأنت مع الحبِّ الوليد مرهف الحسِّ ،
ومع الأيامِ يَجْمَلُ في عينيك ما كان قبيحاً ،
يعصفُ النسيمُ وإن هَانَ بالغُصنِ الغُضُّ في شجرته المخضرة ،
ومع الأيامِ يشتدُّ هذا الغُصنُ ويَصْمُدُ للريح العاتية ويؤثري ثمره .
ومع الأيامِ يَخْلُصُ الجسدُ من عيوبه ،
فلا نضيقُ في غدنا بما حسيناها بالأمس شائبةً .
وخياشيمُ الصبيِّ التي لا تطيقُ رائحة جلود الثيران ،
تروّضها السَّنونُ فتستقيمُ غير ضائعة .
وبالأوصاف المعسولة أيضاً تدارى كل نقیصة :
فتقولُ لمن بَشَرَتِها في عُتمة قطران إليريا : « يا خمرية اللون » .
وتقولُ للحولاءِ : « ما أشبهك بشينوس » .
٦٦٠ وتقولُ للناصلةِ الشَّعر : « ما أشبهك بمينرفا » .
وتنادي من أنحلها المرضُ : « يا هيفاء الخضر » .
وتصفُ القصيرة : يا دقيقة القدِّ .
وتهمسُ للبديئة : « إنك بضئة الجسد » .
فَنع كل عيبٍ بما يقاربه من حُسنٍ .

* * * * *

فهل يستطيع شجرُ الدُّلب أن يحجبَ الشمسَ المُحرِّقةَ بأغصانه ،
 إلّا بعد أن يبلغَ نموه في سنينَ عديدة ؟
 أو لا تُدْمِي الحقولُ المحصودةُ وشيكا الأقدامَ العاريةَ إذا وطئتها ؟
 ٧٠٠ عجباً ! أو يُمكن أن تفضّل هيرميونيّه^(٤٠) على هيلينا ؟
 وهل يستقيمُ القولُ بأن جورجيّه^(٤١) كانت أجملَ من أمّها ؟
 يا من تهفو إلى أن تحظى بمفاتن أنثى ناضجةٍ
 لأنت بالغُ مُنكَ إن سرتَ بهدي .
 انظر ها هو ذا الفراشُ شاهدٌ على لقاءِ العاشقين .
 مهلاً ربّةَ الشعرِ ، لا تقتحمي بابَ مخدعيها الموصد ، فما حاجتُها إليك ؟
 كلاهما يعرف كيف يرتجلُ أعذبَ الحديث دون عونك .

.....

ذلك أسلوبُ طبقةٍ هيكتور المقدامُ مع أندروماخى في الزمن الغابر ،
 فما كان مظفراً في ميدان القتال وحده .
 وعلى نفس النهج خطا أخيلُ الجبار مع أسيرته بريسييس العذراء ،
 فبعد أن أنهكه قتالُ العدو ، ساخ بثقله في الفراش الوثير .
 رضىبتَ يا بريسييس أن يداعبَ أخيلُ جسدك بكفّيه المخضبّتين بدماء مواطنيك الطرواديين
 أو لم تكن ذروةُ مُتعتك أيتها المايعة ، أن تتحسّس أطرافك كفاً قاهرٍ شعبك ؟

* * * * *

خُذْ عني . . لا يتعجّلُ أحدٌ في الحبّ النشوة
 هي هَوْنًا تُستدرج ، فلتترتّب إن شئت مزيداً من متعة ،
 حتى إذا وَقَعْتَ على ما تتمنى المرأةُ أن تلمسه منها ،

٧٢٠ فلا تدع الحياءَ يرُدُّك عن مسعاك .
 وحين تلمحُ عينيها وقادتين راجفتين ،
 وكأنها صفحةُ ماء صافٍ تعكسُ بريقَ الشمس ،
 فلا تقلق إن شكت أو تمنعت ،
 فما أسرع ما تُقبلُ في دَلٍّ وتُتمتَمُ في وَلَلٍ ،

مُطْلَقَةً زَفَرَاتٍ فِي نَبْرَاتٍ رَخِيْمَةٍ لَا تَنْطِقُ إِلَّا بِمَا يَوَائِمُ نَشْوَةَ الْحَبِّ .

.....
.....
.....
.....
.....
.....

أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ رِسَالَتِي ؟

فَلْتَهَيُّوْنِي سَعَفَ النَّخِيلِ أَيُّهَا الْعُشَّاقُ ، أَسْرَى فَضْلِي .

وَلْتَوَجُّوا هَامَتِي الْعَطِرَةَ بِأَكَالِيلِ الْأَسَى .

فَبَقْدَرِ مَا كَانَ بِوَدَائِرِ يَوْسَ شَهِيرَا بَيْنَ الْإِغْرِيقِ بِطْبِهِ ،

وَأُخَيْلٍ بِذِرَاعِهِ الْمَفْتُولَةِ ،

وَنَسْطُورِ بَرَائِعِ حِكْمَتِهِ ،

وَيَقْدَرِ مَا كَانَ كَالْخَاسِ عَلِيًّا بِالْمُسْتَقْبَلِ وَطُقُوسِ الْقَرَايِينِ ،

وَأُجَاكْسِ بْنِ تِيْلَامُونِ بِاسْتِخْدَامِ السَّيْفِ ،

وَأَوْتُوْمِيدُونِ بِقِيَادَةِ مَرْكَبَاتِ الْقِتَالِ وَسِبَاقِهَا ،

هَكَذَا أَنَا ذَاعَتُ شَهْرِقِ عَاشِقَا ،

فَتَغْنُوا بِمَدِيحِي أَيُّهَا الرِّجَالُ ،

٧٤٠ وَأَذْبَعُوا اسْمِي نَبِيًّا لِلْهَوَى فِي أَرْجَاءِ الْعَالَمِ كُلِّهِ .

لَقَدْ وَهَبْتُكُمْ سِلَاحًا كَمَا وَهَبَ فُولْكَانُوسُ أُخَيْلَ سِلَاحَهُ ،

فَهَيُّوْا كَيْ تَنْتَزِعُوا النِّصْرَ بِمِضَاءِ سِلَاحِي أَسْوَدَ بَانْتِصَارَاتِ أُخَيْلِ .

وَعَلَى كُلِّ عَاشِقٍ قَوِيٍّ بِنَصْلِي عَلَى أَنْ يَقْهَرَ إِحْدَى الْأَمَازُونَاتِ ،

أَنْ يَنْقُشَ فَوْقَ غَنِيْمَتِهِ ؛ . كَانَ نَاسُوا ... مَعْلَمِي .

* * * * *

صَبِّهِ !

إِنِّي لِأَسْمَعُ صَوْتَ صَبَايَا يَضْرَعْنَ إِلَى لَاسُوقٍ لَهْنِ النَّصْحِ !

هَيَّا أَقْبِلْنَ ،

فَعَلِ الرَّحْبِ لِقَائِي إِيَّاكُنَّ فِيمَا يَأْتِي مِنْ صَفْحَاتِ .

* * * * *

تعقيبات

- ١ — جاء ييلويس من فريجيا إلى إيليس وطن هيو داميا وفاز بها زوجة في سباق للمركبات .
- ٢ — إيراتو كلمة مشتقة من إيروس « الحب » ومعناها الحبيب ، وهو اسم ربة الشعر الغنائى والغزلى .
- ٣ — عندما هرب دايدالوس من أثينا التجأ إلى كريت حيث شيد المتاهة سجنًا للمينوطور ، غير أنه حين أعرب عن رغبته في العودة إلى أثينا رفض الملك مينوس الإذن له بذلك .
- ٤ — هائمونيا اسم بديل لثيساليا التى اشتهرت وقتذاك بالسحر .
- ٥ — يشير أوفيد هنا إلى ما كان يسمى « بالهيو مانيس » ، وهو كالورم على جبين المهر تنتزعه الفرس بأنيابها فور ميلاد مهرها . وقد اشتهر هذا الورم بمقدرته السحرية إكسيرا للحب . ويقول فرجيل في كتابه الثالث عن فن الفلاحة إن هذا الإكسيرا عصارة يفرزها مهبل الفرس . ويقول البعض الآخر إن مصدر هذا الإكسيرا عصارة نبات لا يوجد في غير أركاديا .
- ٦ — جبال في إيطاليا الوسطى اشتهرت بالسحر .
- ٧ — كانت لميديا زوجة جاسون قدرات سحرية خارقة ، ويرغم ذلك تزوج عليها كريسوس .
- ٨ — عشقت الساحرة كيركى أوديسيوس عندما لجأ إلى جزيرتها ، وعجزت رغم قدراتها عن الاحتفاظ به .
- ٩ — كان نيربوس ملكًا لناكسوس وابناً لخاروبس وأجلانيا ، ذاع صيت جماله في كل مكان ، وكان أحد قادة الجيوش الإغريقية في حرب طروادة ، ووصفه هوميروس في مستهل الإلياذة بإعجاب شديد .
- ١٠ — هيلاس بن ثيوداماس ملك ميسيا ، اختطفه هرقل وأبحر به في سفينة الأرجو صوب كوثيس . وإذ رست السفينة على شواطئ آسيا نزل بحارة الأرجو إلى البر ليملاؤا خزاناتهم بالماء العذب ، فلهب معهم هيلاس حاملاً قدراً ، ولما بلغ الينبوع سقط في بركة أمامه فغرق . ويقول الشعراء — ومنهم فرجيل بصفة خاصة في رعوته السادسة — إن حوريات الماء وقعن في غرامه فاخطفنه إلى أعماق البركة . ولما علم هرقل بذلك انفجر حزناً لفقدان أعز غلام عنده وملأ الغابات والجبال بصرخات أساه ، ويقال إنه ترك سفينة الأرجو وذهب لبحث عنه .
- ١١ — انظر مقدمة المترجم .
- ١٢ — المقصود هنا الملك ريزوس ، فالأوديسيون لقب من ألقاب شعب طراقيا .
- ١٣ — جدول صغير في طروادة يصب في نهر اسكمنلر بآسيا الصغرى .
- ١٤ — طائر طويل الجناحين مشقوق الذيل .
- ١٥ — هي إيريوس ، والمقصود هنا الياحات الموجودة في غابة البلوط لمعبد جوبيتر بدودونا حيث يتكهن الهاتف الألهى بالمستقبل من خلال تلك الياحات .
- ١٦ — أتالانتا فتاة من بويوتيا اشتهرت بجهاها وبسرعة عدوها ، أعلنت أنه لن يظفر بها زوجة إلا من يتخطاها في السباق ، أما من تتخطاه هي فمصيبه الموت حتى صادفت هيو مينيس أو ميلانيون على حد قول بعض الشعراء فسبقها بالحيلة وفاز بها زوجة له .
- ١٧ — السهم الأول من قوس القنطور هيلايوس الذى حاول أن يستأثر بأتالانتا ، أما السهم الآخر فمصدره قوس كيبيد .

- ١٨ — جبل مقدس للإله بان في أركاديا يختلف إليه الرعاة . وكان هذا الجبل مكسواً بغابات شامعة من شجر الصنوبر تغنى بها أكثر الشعراء الرومان في قصائدهم .
- ١٩ — وقع هرقل في غرام الملكة أومفالي التي كانت قد اشترته عبداً لها فبادلته الحب . وحرصاً منه على أن يبقى إلى جوارها أبداً تزىء بثياب الرصيقات وانتظم في صفوفهن يغزل معهن الصوف . والمقصود من هذه الرواية الكناية عن مدى استعباد الحب لبطل مشهود له بالقوة مثل هرقل .
- ٢٠ — تزوج أدميوس ملك فيراى بيساليا من ثيونى ، وبعد عرسها بقليل تزوج من ألكستيس ابنة هلياس . ويروى أن أهولو بعد طرده من السماء نزل ضيفاً على أدميوس وأحبه حباً شديداً فرعى قطعانه تسع سنوات ونصرع إلى ربات القدر أن يضيفن الخلد على أدميوس بشرط أن يقدم غيره حياته بدلاً منه ، فقدمت زوجته ألكستيس حياتها تضحية من أجله بعد رفض والديه القيام بهله التضحية .
- ٢١ — وقعت هيرودى كاهنات معبد فينوس الجميلات في شرك حب أحد فتان أبيدوس في آسيا الصغرى . ومن شلة هيامه بها كان يهرب ليلاً من دار أسرته ويعبر مضيق الهليسيون للقاء هيرودى التي كانت تقف في سيستوس على الجانب الأوروبى من المضيق رافعة شعلة من فوق برج عال . وظلت هذه اللقاءات الليلية تتوالى حتى غرق لياندر في ليلة عاصفة ، فبشت هيرودى وألقت بنفسها من فوق البرج وماتت غرقاً في البحر مثل حبيبها .
- ٢٢ — تقدم نساء روما القرايين والأضحيات يوم ٧ يونيو للإلهة جونوكا بروتينا (أى جونو الواقعة تحت شجر التين البرى) ويسميه الرومان « جوناي كاپروتيناي » . ويقام هذا العيد تكريماً لذكرى ذلك اليوم الذى أسلم فيه الرومان إلى العدو الغالى إمام مرتديات ثياب زفاف سيداتهن بدلاً من السيدات والعداوى اللاتي طالب بهن الغالبون الرومان فدية لمدينتهم روما ، حتى إذا بلغن معسكر الغال تسلمت إحدتهن شجرة تين برية ولوحت بإشارات متفق عليها إلى جيش الرومان الذى عرف بذلك مكان العدو فهاجمه وقضى عليه .
- ٢٣ — اقتبس أوفيد هذا البيت عن « الرعوية الثانية » لفرجيل (البيت ٥٢) . وأما ريليس اسم أطلقه فرجيل على راعية من الرعاة في قصائده « الرعويات » ، ويزعم بعض الشراح أنها اسم مجازى لمدينة روما نفسها .
- ٢٤ — ميدوسا هى إحدى الجورجونات الثلاث ، وكانت وحدها من بينهن تجرى عليها أحكام الفناء بخلاف أختيها الرهيبتين . وكانت شعورهن أفاعى ونظراتهن تمسخ من يتطلع إليهن حجراً . واشتهر يرسوس بأنه قطع رأس ميدوسا وثبته على ترس أهدته إياه الإلهة منيرفا (بالاس) فكان كل من يتطلع إلى ترسه يتحول إلى حجر .
- ٢٥ — كان التبخير بالكبريت والطواف بالبيض في حجرة المريض من طقوس الإلهة إيزيس في روما كي ينال عطف الإلهة فتشفيه .
- ٢٦ — هامت فيليس ليكوريوس ابنة ملك طرلقيا بديموفون بن ثيسوس حباً حين نزل إلى شواطئ طراقيا أثناء عودته من حرب طروادة . وأبحر ديموفون إلى أثينا بعد أن وعدها بالعودة بعد شهر ، غير أنه لم يف بوعده فألقت فيليس بنفسها من أعلى الجبل إلى البحر وغرقت .
- ٢٧ — كان پروتيسيلوس حفيد فيلاكوس ملكاً لإقليم في ثيساليا ، وكان أخاً لألكيميديه أما جاسون ، تزوج من لاوداميا ابنة أكاستوس ثم انضم إلى جيوش الإغريق وأبحر معهم في حرب طروادة . وكان أول من وضع قدمه على الشاطئ الطروادى من بين الإغريق ، وكان الهاتف الإلهى قد تنبأ بأن أول من يهبط على الأرض طروادة من الإغريق سيلقى حتفه ، وقد قتله هكتور أو أينياس . ولما سمعت لاوداميا بالخبر المشنوم انتحرت .
- ٢٨ — إشارة إلى نشوة الانجذاب التى تسيطر على كاهنات باكخوس ، ذلك الإله الذى كثيراً ما كان يصور برأس متوج بقرنين . أما آرونيا فاسم مرادف لبويوتيا وإن كان يطلق على جزء منها فحسب ، وهو ذلك الجزء الذى يقع فيه جبل هيليكون موطن ربّات الفنون .
- ٢٩ — يشير أوفيد إلى ميديا حين تزوج جاسون من غيرها ، بينما يقصد بالخطاف پروكنى ابنة پانديون وزوجة تيريوس مسخت

خطافاً بعد أن قتلت لبثها انتقاماً من أبيه حين زنى بشقيقتها فيلوميلا . انظر « مسخ الكائنات » (ميتا مورفوزس) لأوفيد
ترجمة كاتب هذه السطور .

٣٠ — كان أجامنون قد رفض تسليم خريسييس ابنة الكاهن الطرواى لأبيها إلى أن ابتلى الجيش الإغريقى يوباء
فاضطر إلى ردها . وبعد ذلك اختطف أجامنون خريسييس التي كان أخيل قد فاز بها من قبل بين سباياه ففضب أخيل
وانسحب من المعركة . وفي النهاية أخذ أجامنون كاساندرا ابنة پريام بين سباياه من طروادة . ولما علمت زوجته كليتمسترا
ذلك كله دبّرت اغتياله بمعونة عشيقها أيجيستوس .

٣١ — جبل إريكس بصقلية الذى يضم معبداً لفينوس .

٣٢ — كان ماخاوون وبداليروس ابنى اسكليپيوس إله الطب ، وكانا طبيبى الجيش اليونانى أثناء حصاره لطروادة .

٣٣ — كانت الكلمتان « اعرف نفسك » (جنوئى سياوتون) منقوشتين على أعلى باب معبد أبوللو فى دلفى .

٣٤ — يشير أوفيد إلى الهاتف الإلهى فى دودونا الذى يتحدث بالنبؤات من خلال حفيف أشجار البلوط بالقرب من معبد زيوس
الهيلازجى .

٣٥ — النار والماء رمزان للحياة الزوجية عند الرومان ولها أيضاً معنى التطهير ، وكان العريس يقدمها لعروسه حين تطأ قدمها بيت
الزوجة ، ومن ثم فالنار والماء كناية عن الزوج الشرعى .

٣٦ — يشير أوفيد إلى الطقوس السرية فى إليوسيس ، وهى مدينة قديمة فى أتیکا اشتهرت بعبادة ديميتير (سيريس عند الرومان)
وبطقوس التخصيب . وكانت أدوات العبادة فى عقيدة سيريس تخفى فى صناديق حتى لا تقع عليها غير عيون القائمين على
شعائرها . وصاموطراقيا جزيرة فى بحر إيجه لُقبت بالمقدسة لشهرة أهلها بشدة التمسك بعقيدتهم ووليلاد كل الطقوس الدينية
فى العالم الهيلينى على أرض هذه الجزيرة التى أصبحت ملجأً آمناً لأى عبد آبق أو مجرم هارب .

٣٧ — الغرض من صك الصنوج تحذير لغير أتباع العقيدة الملّنين أسرارها حتى لا يقتربوا من مكان ممارسة الطقوس .

٣٨ — هذه هى الوضعة التقليدية لفينوس فى الفن التى يتخذها تمثال أفروديتي الكيدية لهراكستيليس ، مع استخداما اليد اليمنى
بدلاً من اليسرى فى ستر عورتها .

٣٩ — كان ثمة رقيبان جمهوريان يسميان "Censores" فى الدولة الرومانية ، أنشئت وظيفتهما عام ٤٤٣ ق.م. للقيام
بإحصاء الشعب وتقدير أملاك كل مواطن وتحديد الضرائب والهيمنة على النظام العام والآداب .

٤٠ — هيرميونيه ابنة منيلاوس من هيلينا وقد تزوجت من أورستيس .

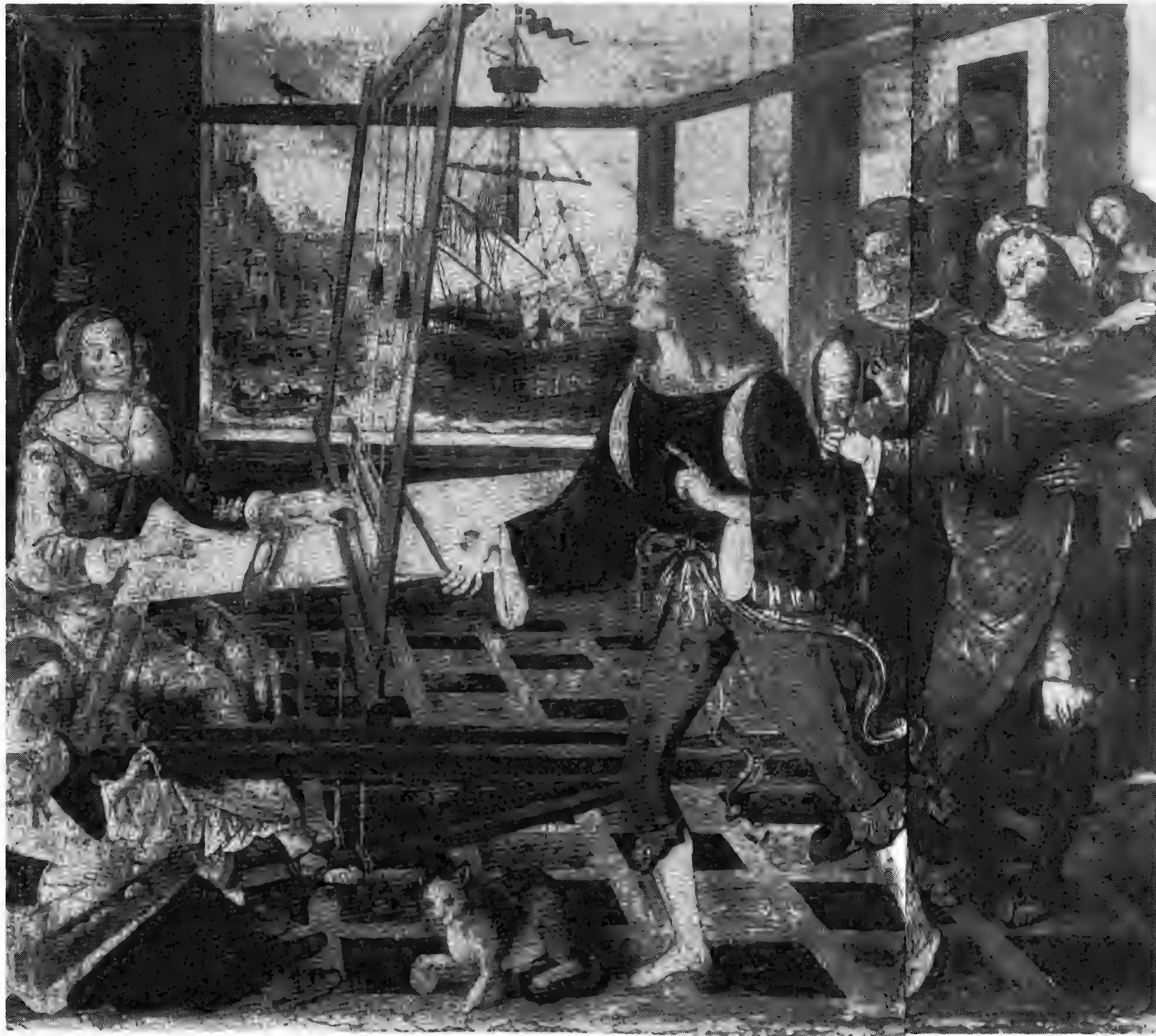
٤١ — جورجيه هى ابنة ألتايا الفاتنة من أوينيوس ملك إيتوليا .





أمازونة، من البرونز، متحف نابلي.

الكتاب الثالث



پنولوجو: عودۃ أوديسوس إلى ينيلوبى. الناؤونال جاليرى بلندن.

الكتاب الثالث

أى پشيليا

يا مليكة الامازونات^(١).

إن أكن قد سلحت الإغريق لغزوكن

فقد جمعت لكن فى جعبتى أسلحة فتاة ،

لتكون معركتك مع الرجال متكافئة ،

فتلحق محارباتك الهزيمة بمن تشملهم فينوس الحانية برعايتها ،

ويؤازرهم الصبى الضارب بجناحيه فى آفاق العالم .

فليس من العدل أن تقف صبايا عزلاً

فى مواجهة رجال مدججين بالسلاح ،

وما كان يليق بكم أيها الرجال مثل هذا النصر الهين .

رب أحدكم يقول :

«لم نمد الحيات بمزيد من سم ،

وتسلم الحمل للذئبة الرعناء ؟»

وأقول لكم :

لا تصبوا اللوم على النساء كافة لخطيئة بعضهن ،

فكل امرأة رهن بمسلكها .

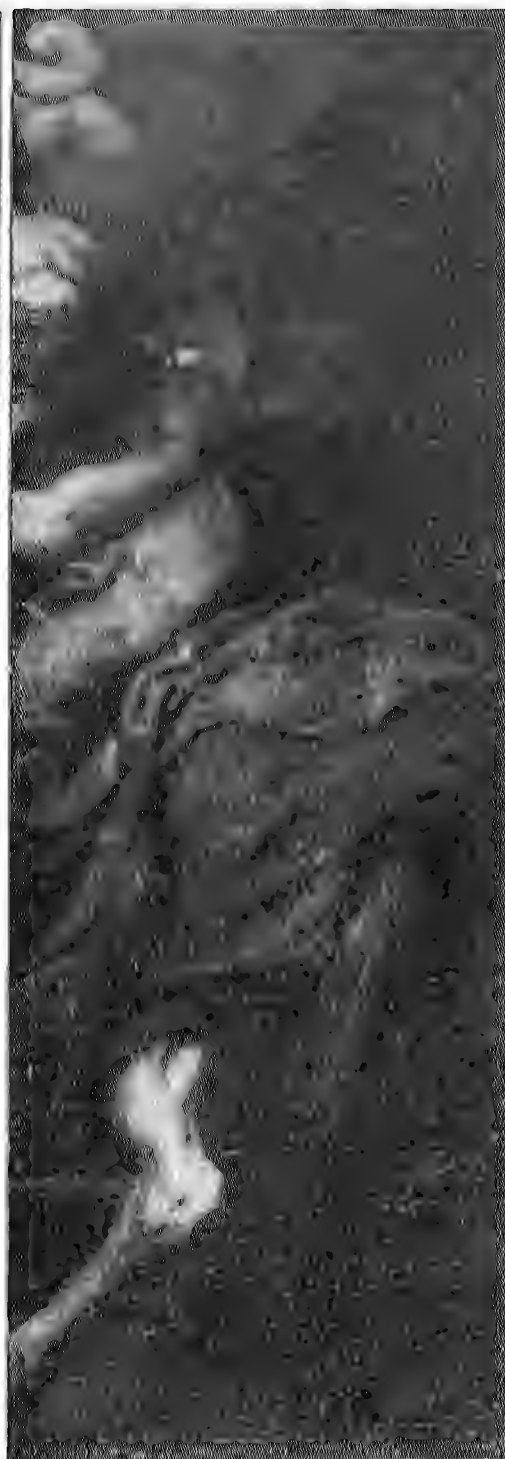
وإن حق لابن أثريوس الأصغر [منيلاوس] أن يتهم هيلينا ،

ولابنه الأكبر [أجاممنون] أن يتهم أختها كليتمسترا ،

وإذا كانت مكيدة إيريفيليه^(٢)



روبنز: ديدو تقع في غرام أينياس. متحف ستيدل فرانكفورت.



لوموان . نرسييس يتأمل ذاته على سطح البحيرة
متحف اللوفر

قد دفعت زوجها أمفياراووس إلى العالم السفلى من قبل أن يحين أجله ،
فانطلقت به جياؤه إلى حيث لقي الردى ،
إن صح ذلك كله ،

فهل أنسيتم أن ينلويى ظلت عفة متأية ،
رغم شرود زوجها أوديسيوس في البحار سنين عشرا ،
واشراكه في الحرب عشر سنين أخرى ؟
وليكم لاوداميا^(٣) ،

التي يروى أنها صحبت زوجها پروتيسيلوس إلى منيته ،
ففاضت روحها قبل حينها بزمان .
والكستيس التي فدت زوجها أدميتوس بحياتها ،

٢٠ فعاد هو إلى الحياة بينا حملت جثتها هامة إلى المحرقة .

وقديماً ألفت إيفادى بنفسها في المحرقة صائحة :

« خذنى معك يا كاپانيوس ، حتى يختلط رمادى برمادك »^(٤) .
أو نسي أن الفضيلة نفسها تمثل امرأة في رداثها الأبيض النقى
فلا عجب إذن إن مالت لذاريا ، وأغرَم بها بنات جنسها .
أما أنتن أيتها الفتيات الغريبات فحسبكن حبٌ مرج لا عناء معه .
فالحب الذى ألقنكن إياه فى غنى عن مثل هذه التضحيات الجليلة ،
وقاربى حين يشق بكن البحار حسبه شراع صغير ،
ونصائحى تأخذكن إلى ساحات الحب المقعم بهجة .
ساعلمكن كيف تبلغ المرأة أن تحب
فالنساء لم يخلقن لرمى السهام النافذة ولا لقذف الشعلات الحارقة .

ولو أنهن فعلمن فنادرا ما ينلن من الرجال .

وكثيراً ما يلجأ الرجال إلى الخداع ،

بينما يندر أن تلجأ إليه العذارى اليافعات :

فچاسون الغادر هجر ميديا بعد أن أنجب منها ،

وبنى بكريوسا عروسا جديدة

وأنت يا ثيسسيوس ما لك من فضل فى نجاة أريادنى من براثن جارج الطير ،

حين تخلّيت عنها وخلفتها شاردة على الشاطئ المهجور .

سلوا لماذا سُمى هذا الطريق : « طريق السبل التسع ؟ »

وسلوا هذى الغابات ، لم ذرفت أوراقها دموعا مواساة لفيليس بعد أن هجرها حبيبها^(٦) ؟



سباستیان بوردون: دیدو تهم بالانتحار بعد آن هجرها اینیاس. متحف ییزیه.



يوسان : إيتاس ودينو ور عاة المعة . (متحف بزانسون)



تسبانو: فينوس تتوسل إلى أدونيس ألا يخرج للصيد. متحف برادو :

٤٠ وَأَنْتِ يَادِيدُو ، أَلَمْ يَهْجُرْكَ ضَيْفُكَ أَيْنِيَّاسُ رَغْمَ مَا ذَاعَ عَنْهُ مِنْ وَرَعٍ وَتَقْوَى ،
وَلَمْ يَخْلَفْ لَكَ سِوَى السِّيفِ الَّذِي أَذَاقَكَ الرَّدَى ؟
أَتَتَطَلَّعْنَ أَنْ أَكْاشِفِكْنَ بَسْرُ مَا يَجْرُكُنَّ إِلَى الْهَلَاكِ ؟
فِي جَهْلِكُنَّ بِشْتُونَ الْحُبِّ يَكْمُنُ شَقَاؤُكُنَّ .
فَقَدْ أَعُوْزْتُكُنَّ الْفِطْنَةَ الَّتِي تَمُدُّ فِي أَجْلِ الْحُبِّ .

ولولا وصية فينوس لي أن ألقنك فن الهوى
 لظل جهلكن والشقاء صنوان .
 أقبلت فينوس على هامة :
 « ما جريرة نساء حُرمن وسائل الدفاع ،
 فغدون فراش لرجال مدججين بالسلاح ؟
 لقد لقنت الرجال نشيدين في فنون الحب ،
 ألم يثن الأوان كي تحبوهن أيضاً بنشيد يأخذ بأيديهن ؟
 أو تنسى أن ستسيخوروس كان أول من هجا هيلينا عروس ثيرايناى^(٧) من الشعراء ،
 ثم لم تلبث قيثارته أن نبضت بالحدب عليها ؟
 لست أظنك أنت يا من أعرفه حق المعرفة ،
 من يتخلّى عن النساء ، وبخاصة الغيد الفاتنات .
 ويقينى أنك ساع إلى ما فيه نفعهن ما ظل فيك رمق من حياة » .
 هكذا تكلمت فينوس .
 ثم قطعت لي من إكليل شعرها ورقة آس وبضع ثمار .
 وما كدت أمسك بها حتى أحسست لها سحرا ،
 تألقت له السماء متوهجة ،
 وأزاح عن صدرى ما يجم عليه من أعباء ثقال .
 وها أنذا أزجي للغيد نصحي :
 فلتبادر كل منكن إلى الإصغاء لما توحى به فينوس إلى من وصايا ،
 لا تنافي آداب اللياقة ، ويكفلها لكن القانون^(٨) .
 جدير بكن أن تذكرن الشيخوخة المرتقة ،
 حتى لا تضيع سدى منكن ساعة من زمن
 ٦٠
 امرحن ما وسعكن المرح طوال ربيع العمر .
 تمر السنين مرور الماء المنساب ،
 لا ترتد قط موجة منه مضت ،
 وعصى أن تعود الساعة التي تنقضي .
 عشن سويعاتكن ، فالعمر يفلت سريع الإيقاع ،
 وما يأتي الزمن بمثل روعة الأيام الخالية .
 هذى النباتات التي تزونها ذابلة ، كانت بالأمس حوض بنفسج يانع .
 وهذا الدغل من الأشواك ، تحذت منه ذات يوم إكليلاً من الزهر ناضراً



المرسة العذبة : مصرع أدونيس صيف بنوا

أَنْتِ يَا مَنْ تَصُدِّينَ عُشَّاقَكَ عَنْ بَابِكَ
 سَيُؤَافِقُكَ يَوْمٌ تَتَقَلَّبِينَ فِيهِ طَوَالَ اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِكَ ،
 عَجُوزًا رَاعِشَةً تَتَوَقُّ إِلَى دَفْعِ الْأَلِيفِ :
 لَا يَعْتَرُكَ الْعُشَّاقُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ عَلَى عَتَبَةِ بَيْتِكَ ،
 وَلَا يَتَزَعُّ ضَبْؤُ الْفَجْرِ عَلَى الْوَرْدِ الْمَشْهُورِ أَمَامَ بَابِكَ .
 وَيَلَاهُ . مَا أَسْرَعَ مَا تَغْدُو الْغَضُوءُ فِي الْجَسَدِ أَخَادِيدَ .
 وَمَا أَسْرَعَ مَا تَغِيْبُ حُمْرَةُ الْوَرْدِ عَنْ بَشَرَةِ ذِيَاكِ الْوَجْهِ الْفَاتِنِ .
 وَتَلْكَ الشَّعِيرَاتُ الْبَيْضُ ، الَّتِي تُقْسِمِينَ أَنَّهَا نَبَتْ فِي رَأْسِكَ مِنْذُ الصَّبَا ،
 عَمَّا قَرِيبٍ سَتَعُمُّ رَأْسُكَ كُلَّهُ .
 الْأَفَاعِي وَهِيَ تَنْضُو سِلَاحَهَا تَنْضُو مَعَهُ شَيْخُوخَتَهَا .
 وَالْأَيْلُ يُلْقَى عَنْهُ قَرْنِيَهُ ، فَيَنْبُتُ مَكَانَهَا قَرْنَانِ بِدِيلَانِ .
 أَمَّا مِفَاتِنُ الْبَشَرِ فَتَذْبُلُ وَلَا أَمَلٌ فِي رَجْوَعِهَا .
 ٨٠ فَلْتَقَطْفَنَ الزَّهْرَةَ إِذْنَ ، فَمَا لَهَا إِنْ لَمْ تُقَطَّفْ إِلَى الذَّبُولِ .
 وَلَا تَنْسِينَ مَا يَقْتَطَعُهُ الْإِنْجَابُ مِنْ سَنَى الشَّبَابِ .
 فَمَا أَسْرَعَ مَا يَهْرُمُ حَقْلٌ يَتَوَالَى زَرْعُهُ .
 أَى دِيَانَا يَا رَبَّةَ الْقَمَرِ ، لِمَ يَحْمَرُّ خَدَاكِ خَفْرًا ،
 أَوْ لِمَ تَقْعَى فِي حَبَائِلِ أَنْدَمِيُونَ ؟
 وَأَنْتِ يَا أَوْرُورَا يَا رَبَّةَ الْفَجْرِ الْوَرْدِيَّةَ الْأَنَامِلِ
 أَلَا يَعْرِوْكَ الْخَجَلُ وَقَدْ رَاوَدَتْ كَيْفَالُوسُ^(٩) عَنْ نَفْسِهِ ؟
 وَأَنْتِ يَا قَيْنُوسَ الَّتِي لَا تَفْتَتِينَ تَبْكِينَ أَدُونِيسَ ،
 هَلَّا أَنْبَأْتِنِي عَمَّنْ أَوْلَدَكَ أَيْنِيَّاسَ وَهَارْمُونِيَا^(١٠) ؟
 لَكِنَّ فِي الْإِلَهَاتِ عِبْرَةٌ أَيْتَهَا النِّسَاءُ الْفَانِيَاتُ ،
 فَلَا تَحْجُبِينَ مِفَاتِنُكُنَّ عَنْ عُشَّاقِ جَوْعَى .
 فِيمَ خَسَارَتُكُنَّ ، حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى خِيَانَتِكُنَّ ؟
 فَالْمَتْعَةُ مِنْبَعُهَا بَاقٍ فَيَكُنُّ لَا يَنْضَبُ ،
 مَهْمَا اغْتَرَفَ الْعُشَّاقُ الْمَتْعَةَ تَلُو الْمَتْعَةَ .
 الصُّلْبُ يَذُوبُ وَيَبْلَى الصُّوَانُ ،
 بَيْنَا لَا يَنْقُذُ ذَاكَ الْمَنْبَعُ .



شارل دلافوس : بآخوس یختل باریدان . متحف دیچون .

هل يخبو وهجُ الشعلة إن أوقدت أخرى منها ؟
 والبحرُ الواسع ، هل ينقصُ إن غرقنا منه حفنة ماء ؟
 فما انتهى إلى سمعى قط أن امرأة استكرت أن قضى رجلُ منها وطراً .
 ألا إنكنَّ تسكينَ ماءٍ سوف تغترفن عَوْضَه
 [إذ تمارسن ما أودعتكن إياه الطبيعة] .
 ما أردتُ حديثاً فيه امتهانُكن ،
 بل إني أحذرُكنَّ خشيةً خسارةٍ موهومة ،
 فلن تفقدن شيئاً مهما أسرفتُنَّ في العطاء .

* * * * *

١٠٠ ومادمتُ باقياً في قاربي الساكن بالمرقا ،
 تهدهدى الأنسامُ الحانية ،
 فلابدأ بما يحفظُ للجسد كماله وجماله ،
 قبل عصف الريح العاقى ،
 الذى لن يلبث أن يدفع قاربي عنوة .
 فأطيبُ أنبذة باكخوس من الكروم التى تُحطى بأجل عناية .
 فإذا سَرَّحت الطرفَ فى حقلِ شملته تلك الرعاية ، شهدتُ وفرةً محصوله .
 الجمال هبةُ السماء لا يزهو بها إلا قلة !
 وما أقلُّ من ينعمن منكُن بهذه الهبة الغالية .
 ولا يفوتُكنَّ أن رعاية الأجساد تُضفى الملاحاة على المظهر ،
 كما لا يفوتُكنَّ أن إهمال رعاية الأجساد يذهب بالجمال ،
 وإن كنتنَّ فى روعة فينوس ربّة جبل إيدا .
 حقاً إن من سَلَفَ مِن نساء الزمن الغابر لم يلتفتن إلى رعاية أجسادهنَّ أبدا .
 كما لم تكن الأناقة من سماتِ رجال ذاك العصر .
 فما وضعتُ أندروماخى على جسديها غيرَ الخشن من الثياب ،
 ولا ضيّرتُ عليها فلقد كانت زوجةً محارب عات .
 استحلفكِ بالآلهة ،
 أما لو كنتِ زوجةً أچاكس الكاسى بجلود ثيرانٍ سبعة ،
 أكنّيتِ تلقينهُ فى حُلّة زاهية ؟

طابعُ الأَمْسِ في بساطةِ الفطريةِ .
 واليومَ . ترفُلُ روما في الثراءِ الوفيرِ المنهمِرِ عليها من أنحاءِ العالمِ الخاضعِ .
 تُخَيِّلُ اليومَ تل الكايبيتولينوس في صورتهِ السالفةِ
 إذن لثريتهِ وكأنه قد شُيِّدَ لجوبيتر آخر ، غير جوبيتر هذا العصر !
 وما أجدرَ أعضاءِ مجلسِ شيوخنا المبجلين اليومَ بمبناهم ،
 فلم يكُ في عهدِ ناتبوس^(١١) غير سقيفةٍ من أعوادِ الغلبِ والطينِ .
 وتلِ الهالاتينوس الذي يشمخُ فوقه فوبيوس وقادتنا^(١٢) ،
 ١٢٠ هل كان سوى مَرَعَى تشقه أسنانِ المحارِثِ ؟
 فليسعدُ غيري باجتراحِ ذكرياتِ الماضي ،
 أما أنا فهنيئاً لى أنى ابنُ هذا العصرِ الموائمِ لطبعي ومزاجي .
 ولا أقول هذا ، لأن الذهبَ المستعصى أصبح يستسلمُ للباحث في جوفِ الأرضِ ،
 وتنالُ الأيدي الأصدافَ من شواطئ شتّى ،
 وتتضاءلُ الجبالُ لما يُنزَعُ منها من رخام ،
 وتحاصرُ أسوارُ الأجرِ فيضُ المياهِ الداكنةِ الزرقاءِ ،
 بل أقوله لأن الحضارةَ باتت شاحخةً ،
 وتوارثت عاداتُ الريفِ المتوارثةَ عن الأجدادِ .

* * * * *

أنصحُكَن يا بناتِ العصرِ :
 لا تُثَقِّلَنَّ الأَذانَ بنفيسِ الجواهرِ ،
 التي يجمعها الهنديُّ الأسمرُ من أعماقِ الماءِ الأخضرِ .
 ولا تُخَطِّرنَ مُثَقِّلَاتِ بَنِيابِ مطرزةٍ بالقصبِ .
 ما أشدُّ نفورنا من أبهةِ برّاقةٍ ترفُلن فيها لنقع في شراككَن ،
 ولكن ما أسلسَ قيادنا أمامَ أناقةٍ بريئةٍ تبدو فيها .
 لا تُرسلن شعوركَن غير مُنسَّقةٍ ،
 فلمسةُ كفٍ منكَن تُضفي عليها جمالاً وإلاً حُرمت منه .
 ولا يذهبُ بكن الظنُّ أن هناك أسلوباً واحداً للتجميلِ ،
 فلتختَرِ كُلَّ منكَن ما يناسبُها ، ولتلتَمِسْ في مرآتها النصيحَ .
 فلن تحتاجَ صاحبةُ الوجهِ البَيضِ لغيرِ مِفرقٍ بسيطٍ في شعرها ،
 ذلك ما أضفى الحُسْنَ على لاوداميا .

١٤٠ وصاحبةً الوجه المستدير تكتسبُ جمالاً
 بحلقةٍ صغيرةٍ من الشعر فوق الجبين تكشفُ عن أذنيها .
 ولترسلُ واحدةً شعرها على كتفيها ،
 هكذا فعلتُ يافويوس بينا تعزفُ على القيثارة .
 ولتضفرُ أخرى جدائلَ شعرها على نسق ديانا وهي تطارد الوحوش المذعورة .
 يليقُ بهذه الفتاة أن تدعُ شعرها ينسابُ طليقاً ،
 وبذلك أن تضمَّ غداثها المصفورة في عناية .
 وهذه ينفعها مُشطٌ من درع السلحفاة الكيلينية^(١٣) .
 وتلك تدعُ شعرها يتموجُ تموجَ البحار .
 فإن تكوني عاجزةً عن إحصاء ثمار البلوط ،
 ونحل جبل هيبلا وضواريّ جبالِ الألب ،
 فإن لكذلك عاجزٌ عن تعداد أنماط تصفيفات الشعر الشائعة ،
 بينا يضيفُ كلُّ يومٍ المزيدَ من حُلَى الزينة .
 وما أنسبَ الشعرَ المرسلَ لفريقٍ من السيدات ،
 يبدو كأن لم تَمْسَسْهُ يدٌ منذ الأمس ،
 بينا قد مُشطُ مَدُّ هنيهة .
 وعلى هذه الصورة بدت لهرقل أسيرته إيولى ،
 حين علّقَ بها بصره أول مرة في المدينة المقهورة ،
 فصاح : « لتكوننَ هذه الفتاة من نصيبى . . . كم هامت بها نفسى . . »^(١٤)
 وهكذا بدوت أيضاً يا أريادنى بعد أن تحلّى عنك ثيسوس .
 عندما رفعك باكخوس إلى مركبته ،
 فارتفعت صيحات الساتير تحيةً وإعجاباً .

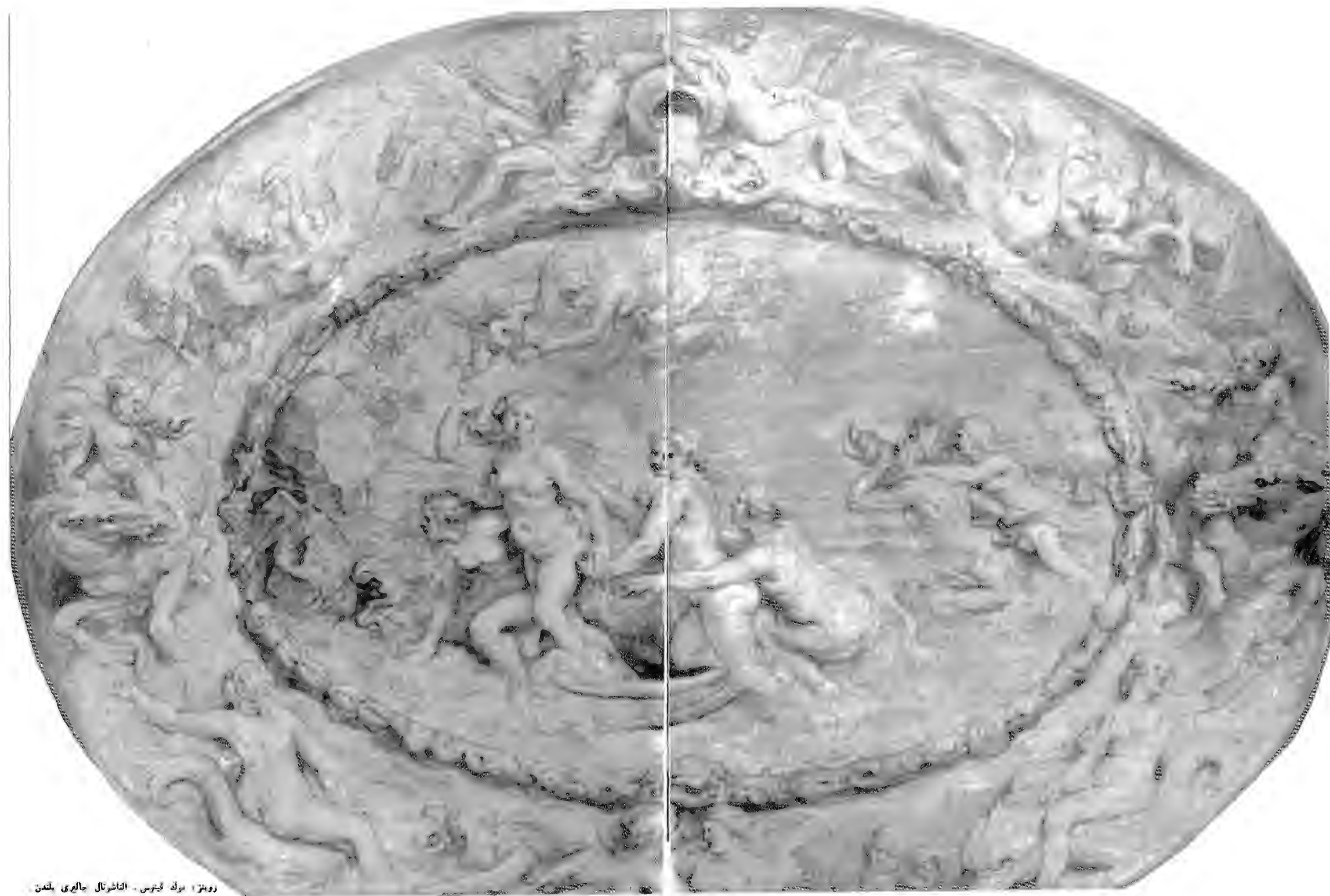
١٦٠ ألا ما أحنى الطبيعة حين هيأت لكنّ من الوسائل ما تُسترنُ بها عيوبُكنّ .

* * * * *

وأسفاً لزمنا يُعرّينا نحن الرجالَ ولأيامٍ تطحننا ،
 ويساقط شعرنا تساقط الأوراق عندما تهزُّ ريحُ الشمال الغصونَ .
 على حين تَصْبُغُ المرأةُ شعرها بعصارات جرمانية ،
 وتضفى عليه بفتها ما يفوق هبات الطبيعة .
 وتختال تحت ثقلِ جدائلِ شَرَّتْها ،



لوی ده وولوی | چوینر وستیله . متحف لومان .



روبنزا مولد قيتوس . التاشونال جاليري بلندن



▲ سيزان : لهذا وطائر البجع . مجموعة خاصة .

◀ ليوناردو دافنشي : لهذا وطائر البجع . متحف بورجيزي بروما .

ما تكاد تَدْوِي حتى تبتاع بديلاً من شَعْرِ صَبِيَّة .
 فعل الملا بات الشَّعْرُ يُباع ويُشترى بلا خجل ،
 في حضرة هرقل وعلى مرأى من العذارى^(١٥) رَبَّاتِ الفنون .
 أما الثيابُ فإليكن رأى فيها ،
 ما حاجتى إلى حواشى الثيابِ المطرزة ؟
 أو إلى ذاك الصوفِ الذى تمنحه أصباعُ صُورٍ مُحرمة كَحُمْرة الخجل ؟
 أى جنونٍ يدفعُكُنَّ إلى السيرِ محمَّلات بمُدْخَرَاتِكُنَّ فوق أبدانِكُنَّ ،
 بينا تستطعن بأبخس الأثمان أن ترفلن في ثيابٍ مختلفٍ ألوانها ؟
 انظري ..
 هذا ثوبٌ فيروزيٌّ في لون السماء الصافية



حين تكفّ رياح الجنوب عن دفع السحب الحبل بالأمطار .
 وإليك الأصفر الضارب إلى لون الذهب ،
 لون فروة الكبش الذي أنقذ ذات يوم
 فريكسوس وهيلي من شرّك إينو^(١٦) .
 وذاك الأخضر خضرة ماء البحر ،
 إخاله الثوب الذي تكتسيه الحوريات .
 ١٨٠ ويحاكي هذا الثوب الزعفران ،
 لون رداء « أورورا » ربة الفجر الندية
 عندما تشدّ جياذها الناصعة البياض إلى مركبتها .
 وإليك لون شجر الأس من پافوس ،
 والجَمَشَت الأرجواني ،
 والورد الأبيض ،
 ولون ريش طائر الكركي الطراقي ،
 « ولا ننسى لون كستنائك ولا لون لوزك يا أماريلليس »^(١٧) ،
 ولا ذلك الفراء الذي أسبغ عليه الشمع صبغته^(١٨) .
 وعلى قدر ما تتعدّد أنواع الزهور الوليدة مع أنفاس الربيع الحانية ،
 حين تستوى براعم الكروم ويولّي الشتاء المتعثر أدباره ،
 تتعدّد الألوان التي يُشرّبها الصوف ، وقد تُربى .
 فلتختارى متأنية لونا موائها تُزهِين به ،
 فلون بعينه لا يناسب النساء جميعاً .
 فالبشرة البيضاء بياض الجليد ، يلائمها الرمادي الداكن ،
 وقديماً كنت تتحلّين به يا بريسيس يوم وقعت في الأسر سيئة .
 والسمراء يناسبها الأبيض ،
 ففي ثوبك الناصع البياض يا أندروميديا تجلّت فتتك ،
 وأنت تهبطين على شواطئ جزيرة سيريفوس .

* * * * *

كدت أحذرك من عطن « الجدّي الريفي » يلحق إبّطيك ،
 والشعيرات الخشنة تسلّبك نعومة ساقيك .
 فانا لست أعلم فتيات من كهوف جبال القوقاز ،



بوشيه : ليدا وطائر البجع . متحف ستوكهولم .

ولا أولئك اللاتي يرشفن من مياهك يا نهر الكايكوس^(١٩) .
 ما أغنانى عن أن أرشدك إلى الحفاظ على نصاعة أسنانك ،
 وعلى نقاء كفك مع إطلالة الصباح .
 ولأنى أعلم كيف تكسين بشرتك بالمساحيق ،
 ٢٠٠ ففن التجميل قدير على إكسابها نضارة ساعة يتخاذل الدم في عروقك .
 وبالفن أيضاً تزججين حاجيك الناحلين ،
 وتخفين عيوباً تشوب وجنتيك .
 ولا تخجل أن تكحلي عينيك برماد الإثمد ،
 أو بزعفران ضفاف نهر كيدنوس^(٢٠) .
 أحصيت الأصابع التي تذكى فتتك في كتيب صغير^(٢١) أضنان تصنفه .



لوكليرك: اختطاف جوبيتر لأوروبا. متحف دنكرك.

لُوذى به ، فقد تعثرين بين طَيَّاته على ما يجلو شائبةً جمالك .
 فإن فنونى لا تقصُر عن خدمتك .
 وكذا أوصيك بإخفاء أحقاقى المساحيق .
 فخير أن يبقى سرُّ جمالك مستوراً .
 من منا لا يشيحُ بوجهه عن طلاءٍ يطغى على ملامح وجهك ،
 يثقل ويسيل حتى يرقد على صدرك الدافئ .
 قد تنفذ عنه رائحة دهنٍ الشياهِ العَفِنَةِ ،
 على الرغم من إعداده فى أثينا (٢٢) .
 وحذار أن تنظفى أسنانك على مَلَأ .
 أو أن تستخدمى دهاناً من نخاع أنثى الأيل علانية .
 قد يُكسبك ذلك كله جمالاً ، غير أن مشاهدته قد تبعث على التأفب ،
 فالكثير مما يتهرنا حين يكتمل قد تنقزز له حين نراك تُبشِرُه .
 إليك تمائيلُ ميرون الدءوب ، طافت شهرتها آفاق الدنيا ،
 بعد أن كانت يوماً كتلة صماء من صخرٍ لا تنبض بالحياة .
 والذهب يُضهرُ فى البدء ثم يُشكُلُ خاتماً ،
 والثوب الذى ترتدينه كان من قبلُ جُزءَ صوفٍ مَسْحَة ،
 وجِلَّتِكَ قبلُ صَوِّغُها كانت قطعة حجرٍ خشنه ،
 باتت الآن جوهرة نفيسة ،
 تبدت فى صفحتها فينوس العارية ،
 وهى تنشق من البحر تعصرُ جدائلها المنداة بزبدِه .
 إذا جلسيت إلى منضدة الزينة فأشيعى أنك مستغرقة فى النوم .
 فخيرٌ لك ألا تقع عليك عينٌ حتى تفرغى من آخر لسة .
 لماذا تكشفين لى عن سرِّ وضاعة وجنتيك ؟
 أتعدين وسيلةً تُصيدين بها بابَ مخدعك ؟
 ولم تعرضين عملاً لما يكتمل ؟
 فثمة أشياء لا يجوز الكشف عن أسرارها للرجال كيلاً تُهيج نفورهم .
 انظرى إلى تلك المشاهد المصورة المتألقة بلون الذهب فى المسرح المزخرف .
 لن تحفى عليك رقعة طبقة الذهب التى تغلف الخشب ،
 ألا تدري أنهُ يُحال بين الناس وبين رؤية صنيعها إلى أن يتم لصقها ؟
 فتهيئة الجمال لا تكون إلا فى غيبة الرجال .

على أنى لا أنهاك مع ذلك عن تمشيط شعرك فى حضرتهم ،
ليرؤا غداثره المتموجة مسترسلة على ظهرك .
وأنصحك ساعتها بخاصة ألا تثور بك ثورة غضب صاحب ،
وآلا تفرطى فى حل صفائر شعرك فيبدو مشعثا .

٢٤٠ ولتكن ماشطتك فى مامن من نرق حنكك ،

فكم هو قبيح أن تخمش سيدة وجه وصيفتها بأظافرها ،
أو تحز بالإبرة ذراعها .

فلسوف تلعنها وهى تسوى شعرها ،

وتذرف دمعها على جدائل أصبحت بغيضة إليها .

ولتلتزم من يتداعى شعرها أو يذبل جانب الحذر حين تسويه فتقيم على بابها حارسا ،

أو فلتذلف إلى معبد « الإلهة الطيبة »^(٢٤) [المحرم على الرجال] .

ذات يوم بغت عشيقتي فى مخدعها ، فارتبكت وخلطت فى تصفيف شعرها .

وأحست عارآ ناشدت الآلهة ألا يلحقنه إلا بالأعداء ونساء البارثين^(٢٥) .

قبيح ذاك الثور المنزوع القرون ،

وقبيح ذاك الحقل المقفر من العشب .

وقبيحة الشجيرة العارية من الورق .

وقبيح كذلك الرأس الذى تساقط شعره .

أى سيميليه^(٢٦)

أى ليدا^(٢٧)

ما أردت نصحكما ،

وكذلك أنت يا أوروبا غادة صيدا^(٢٨) .

يامن حملها الثور الأسطوري عبر البحار .

وما عنيتك بقولى يا هيلينا

يامن حرص منيلاوس على عودتك إليه ،

— وما كان ساعتها أحق —

بيننا أصرّ باريس على الاحتفاظ بك

— وما كان هو الآخر أحق — .

حين تحتشد حولى مريداتى الجميلات وغير الجميلات ،

وإن فاقت غير الجميلات الجميلات عددا .

والجميلات فى غنى عن نصائحى وفنوى بما لهن من فتنة أسرية .

حين يسود البحر الهدوء ، يُخلد الملاحُ الحاملُ إلى الراحة ،
 ٢٦٠ فإذا عصفت ثورة الموج يُهرع إلى التماس العون .
 كذلك يندُر أن يخلو وجهه من شائبة .
 فلا تتوانين عن ستر عيوبٍ تغتور ملاحاً وجوهكُن أو بهاء أجسادكُن .
 ولتقعد القصيرة منكن حتى لا تبدو جالسةً في وقتها ،
 وإن اضطجعت على الفراش فلتلتحف لتخفي ساقها .
 ولتختر النحيلة ثياباً كثيفة النسيج تغطي كتفيها .
 أما شاحبة الوجه فلترتد ثوباً تتخلله خطوط أرجوانية ،
 ولتستعن السمرء بسمكة فاروس^(٢٩) .
 ولتخف المشوهة القدمين قدميها في خفين كالجليد بياضاً .
 ولا تحلّ رباط الحف عن عقبك إن كان ناقى العظم .
 والتمسى ستراً لعظم كتفك البارزين ،
 وأعيني صدرك الضامر بحشية .
 ولا تلوح يديها في حديثها من كانت بدينة الأصابع أو ثقيلة الأظافر .
 ولتنح البخراء فاها عن وجه عشيقها ، أو فلتطيقه حتى تأكل .
 ولتحذر الضحك من اسود في فيها ضرس أو شاه حجمه أو انحرف ،
 ٢٨٠ فالضحك يُفصح عن معايه .

* * * * *

من ذا الذي يصدق أن الضحك فن ؟
 هو حقاً فن على المرأة أن تلقن أصوله ،
 وهو كذلك أدب ولياقة .
 ليفتر ثغر الضاحكة ،
 ولكن في قصيد لا يكشف عن منابت الأسنان .
 ولا تتيج لغمازة الخد أن تنفسح إلا بقدر ،
 وليكن ضحكها دون إغراق حتى لا ترتج خاصيرتها .
 ولتمزج بين الضحك ورنه الأنوثة .
 وثمة من تشوه الفقهة ملاحظها ،
 ومن تحسبها تبكى بينا هي تضحك ،
 وثمة من تحكى ضحكها نقيق أتانٍ شدت إلى طاحون .

وما أبعد أغوار الفن .

إنه يضفى على بكاء المرأة سحرا .
وينحها القدرة على أن تتحب أنى تشاء ،
ويعلمها كيف تعب بمخارج الحروف وتلغ بلسانها حين تبغى ،
فلقد تفتعل النطق الخاطيء عامدة ،
فتحيل الهنة عذبة مستملحة .

* * * * *

إليكن أمورا ما أجدى أن تتعرفن عليها :

٣٠٠ فلتخطن في دلال ،

فللسير أساليب منها ما يجذب المعجب أو ينأى به .
ها هي ذى امرأة تورجح رذفيها في حلق ،
وتفسح للنسيم يلعب بثوبها المتناوح .
بينما تشمخ في خطوتها معتدة .

وها هي ذى أخرى تباعد في مشيتها ما بين ساقها ،
كزوجة فلاح من أوميريا لوحت الشمس وجهها .
أقول أقسطن في مشيتكن ،

واعتدلن في جل أمور الحياة ،

فثمة خطو يضفى عليك سمة الريفية الجلفة ، وآخر يسمك بالتكلف .

وأقول لمن يياض جسدها كالجليد

حل أسفل الكتف وأعلى الذراع عارين ، تسهل رؤيتهما من اليسار ،

فلو أنى رأيت مثل هذه الكتف ،

لاندفعت إليها مقبلا إياها أنى عرّضت لى .

* * * * *

بصوتهن الرخيم استرسلت « السيرينات » [عرائس البحر] العجيبات في الغناء ،

يعوقن السفن على أى مدى كانت سرعتها .

وحين سمعن أزديسوس بن سيزيفوس ،

كاد أن يفك وثاق الحبال

التي شد بها جسده إلى صارى سفينه^(٣٠) ،

مطمئنا إلى سلامة رفاقه بعد أن سد آذانهم بالشمع .



فرانشفيل : أورفيوس . متحف اللوفر .



الغناء شديد الإغراء ،
فما أروع أن تحذق النسوة الغناء ،
فكم من امرأة جعلت من صوتها قواداً لها ،
وكان أجدى لها من جمال وجهها .
فليرددن الأغاني التي يسمعن في دور المسرح الرخامية ،
وليتغنن بأناشيد الرقص الشجية الوافدة من ضفاف النيل .
وعلى الراغبة في غواية الرجال
٣٢٠ أن تجيد إمساك ريشة الغمز بينماها ، والقيثارة بيسراها .
فأورفيوس ربيب جبال رودوبي ،
قد ألان الصخور والقلوب بقيثارته ،
واجتذب بحيرات تارتاروس بالحانه ،
وأطرب [كيريروس] الكلب ذا الرؤوس الثلاثة .
[أي أمفيون] أيها الأخذ بثار أمك ،
لقد قويت بالحانك على تحريك الحجارة ،
فانطلقت تلتئم إحداها بالآخرى مُشيدة أسوار طيبة^(٣١) .
ويروى أن السمك الأصم الأبكم
قد أفصح عن نشوته ، حين أصغى إلى أنغام قيثارة أريون^(٣٢) .
فتعلمي أن تُنسي بكلتا يديك في رفق ،
القيثارة الفينيقية الساحرة ذات الأوتار العشرة ،
فما أوقفها لسويغات المرح .

* * * * *

وليكن مما تألفين الحان ربات الشعر ،
ملهمات كاليماخوس وفيليتاس شاعر كوس ،
وأناكريبون السكر العجوز مُنشد ميناء تيروس .
ولتلمي أيضاً بأبيات سافو شاعرة ليزبوس ،
ومن أقدر من سافو على الإيحاء بالمجون !
ولتحفظي أقوال ميناندر الذي تروى ملهاته كيف يفوق العبد سيده حيلة ودهاء
وجدير بك أن تعرفي كيف تلقين قصيداً لهروديرتيوس المشبوب عاطفة^(٣٣) ،
واحفظي أيضاً أبياتاً لجاللوس^(٣٤) وتيبوللوس^(٣٥) ،
وقصيدة فارو^(٣٦) عن الجزرة الذهبية ، مبعث مأساة أختك يافريكسوس .

واعرفى قصة أينياس الجواب مؤسس روما الشاخصة ،
 من ملحمة لم تفقها أخرى شهرة بين اللاتين^(٣٧)
 وقد تَضُمِّن اسمى أيضاً إلى أساء هؤلاء ،
 ٣٤٠ فلا يكون مصير مؤلفات أن يُقذف بها في مياه ليثى [نهر النسيان]^(٣٨) .
 قد ينصحك أحدهم قائلاً :
 اقرئى قصائد «أستاذنا» الأنيقة التى يلقن منها الطرفان المتنافسان ما يُعوزهما ،
 أو اقرئى أجزاء قصيدة «الغزليات» الثلاثة ،
 واختارى منها ما تستطيعين إلقاءه بصوت رخيم .
 أو جودى إلقاء إحدى «رسائل البطلات» ،
 فهى آثار الشاعر الذى ابتدع هذا الفن غير مسبوق إليه^(٣٩) .
 أى فوبيوس
 أى باكخوس ياذا القرنين
 ياربّات الفن التسع
 ياملهمى الشعراء
 ألا فلتحققوا لى هذه الأمنية .

* * * * *

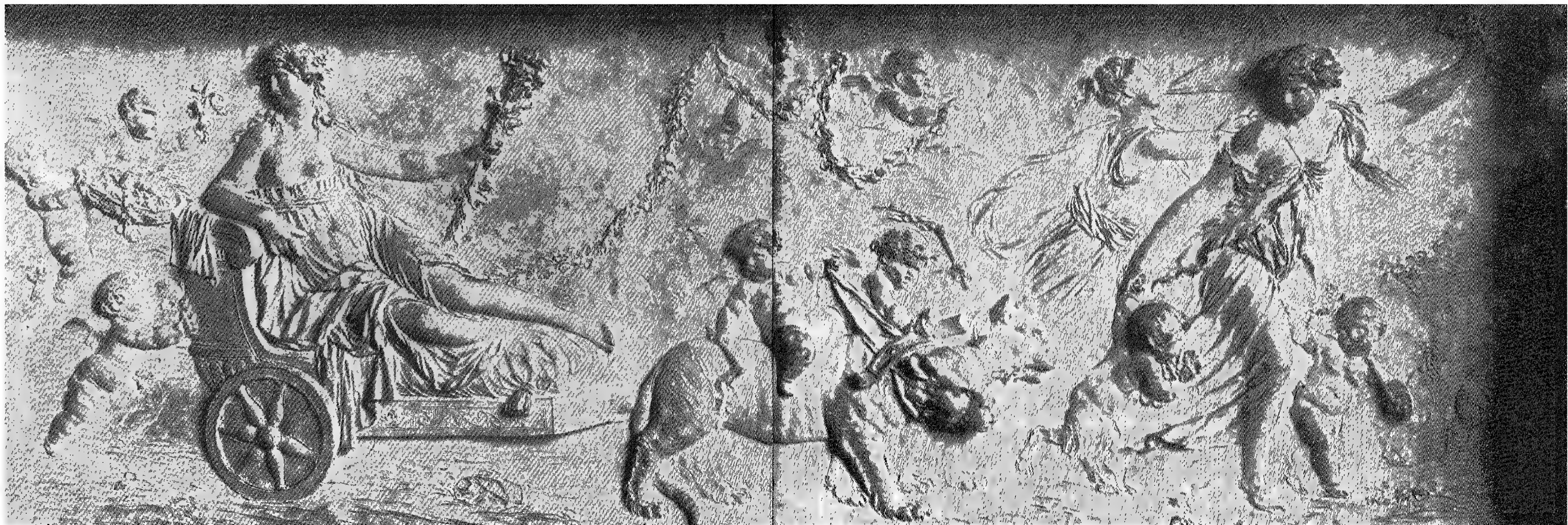
من ذا الذى يشك فى أنى أوثر امرأة تُتقن فن الرقص ،
 حتى إذا دار النيذ تهب ملوحة بذراعيها ساعة يُوجّه إليها الرجاء^(٤٠) .
 ما من فنانة تنال شهرتها دون هز رذفيها ،
 فما أشهى فتنة تلك اللقات المتأودة .
 واخجل أن أعرج فى نصائحى على صغائر الأمور :
 لتحذق المرأة فن لعبة النرد ،
 ولتستجب أيها الزهر الملقى لإرادة الرامى .
 ولتلقى آونة بزهرات ثلاث^(٤١) ،
 ثم فلتفكرى آونة أخرى بدهاء ، متى تتقدمين ومتى تتراجعين .
 ولتأخذى حيطتك فى تلك المعركة ؛
 فقطعة واحدة تنهزم أمام اثنتين .
 ٣٦٠ وكذا الجندى المحاصر لا يقوى على المقاومة
 إلا إذا أعين برفيق ،
 وإذا الخصم قد عاد القهقرى من حيث أتى .
 وإن لعبت كرة المضرب ولست الكرات بمضربك العريض ،

فلا تدفعي سوى الكرة التي تبلغين بها الرمي .
 وهناك لعبة تقتضي مهارة بالغة ،
 تُرسم فيها خطوط على لوحة تُشكّل خاناتٍ بعددِ شهور العام ،
 على كل من طرفيها ثلاثة بيادق ،
 والفائز من ينجح في نقل بيادقه إلى صفٍّ مستقيم آخر .
 تعلّمى هذى الألعاب كلها ، بل ابتكرى ألفاً مثلها .
 فلا يليقُ بالفتاة أن تجهل اللعب ،
 فكثيراً ما تظفرُ المرأة من خلاله بالحب .
 أن تبرعى في الرمي بزهرِك أمرٌ ميسورٌ ،
 وأعسرُ منه ضبطُ مشاعركِ أثناء اللعب .
 فنحن في غمرة اللعب وحماسه ،
 نتكشّف خفايا قلوبنا ونفقدُ اتزانَ عقولنا ،
 ويتسلّل الغضبُ إلى صدورنا ، وهو شرٌّ مستطير .
 يشدنا الحرصُ على الكسب ، فننزِعُ إلى المشاحنة ونجنى الأسف .
 يتبادل اللاعبون اللّومَ ، ويرتفع صدى الصّراخِ في الجو ،
 ويتضرّع كلُّ لاعبٍ إلى الآلهة الغضبي كي تناصره .
 لحظتها لا يثقُ الجارُ بالجار ، وتتصاعدُ الشتائمُ والسباب ،
 ويطالب الجميعُ بمنضدةٍ بديلةٍ [تدفعُ النحاس] .
 ما أكثر ما رأيتُ وجناتِ اللاعبين منداةً بالدموع .
 فليكنْ الإلهُ جوبيتر مثلَ هذه المشاجرات النكراء ،
 ٣٨٠ أنتن يا من تُخرِصن على الاستئثار بقلب رجل ،
 هذى ألعابُ ليّنة مُسترخية وهبتها الطبيعة للمرأة .
 بينا يلهو الرجال بما هو أشقُّ وأعق ،
 فمن نصيبهم الكراتُ السريعة والرماحُ القصيرة والأطواقُ ،
 وأسلحةُ المبارزة والجيادُ المدربة على الركضِ في الحلبة .
 ولم تُخلقي أنتِ كي تتبارى في ساحة مارس ،
 أو تغوصي في مياه قناة العذراء^(٤٢) القارسة البرد ،
 أو تسبحي ضد تيار في نهر التير التوسكاني .
 أجدى عليك أن تنهادي في ظلالِ رواقِ بومبيوس ،
 عندما تلذّع الرأسُ أشعةً جيادِ العذراءِ السواوية^(٤٣)

وَأَنْ تُحْجَى إِلَى الْقَصْرِ الْمُقَدَّسِ لِفَوَيُّوسِ الْمُتَوَجِّ بِأَكَالِيلِ الْغَارِ^(٤٤) ،
 فَهُوَ الْإِلَهَ الَّذِي أَغْرَقَ سُنْفَنَ كِيلُوپَاتَرَةَ الْمِصْرِيَّةَ فِي أَعْمَاقِ الْبَحَارِ .
 وَلِتَتَفَقَّدَ رَوَائِعَ الْقُصُورِ الَّتِي شَادَتْهَا أُخْتُ أَوْغُسْطُسَ وَزَوْجَتَهُ ،
 ثُمَّ زَيْنَهَا [أَجْرِيَا] زَوْجَ ابْنَتِهِ [جُولِيَا] بِشَاهِدِ أَعْجَادِ الْأَسْطُولِ^(٤٥) .
 وَلِتَخْتَلِفَ إِلَى مَحَارِيبَ بَقْرَةَ مَمْفِيسَ حَيْثُ يُحْرِقُ الْبُخُورَ^(٤٦) .
 وَلِتَزُورَ مَلَاعِبَنَا الثَّلَاثَةَ ، وَلِتَظْهَرِ فِي أَبْرَزِ أَمَاكِنِهَا^(٤٧) .
 تَأْمَلِ حَلْبَةَ الْمَلْعَبِ الْمَلْطَخَةِ بِالدَّمَاءِ الدَافِئَةِ ،
 وَارْقُبِ ذَلِكَ الْعَمُودَ الَّذِي تَدُورُ مِنْ حَوْلِهِ مَرْكَبَاتُ السِّبَاقِ بِعِجْلَاتِهَا الْخَاطِفَةِ الْبَرِيقِ .
 مَا خَفِيَ يَظَلُّ مَجْهُولًا أَبَدًا ، وَمَا هُوَ مَجْهُولٌ لَا يَرِغِبُ فِيهِ أَحَدٌ ،
 فَمَاذَا نَجْنِي مِنْ وَجْهِ جَمِيلٍ لَا تَقَعُ عَلَيْهِ عَيْنٌ ؟
 وَحَتَّى لَوْ كُنْتَ تَفُوقِينَ ثَامِيرَاسَ^(٤٨) وَأَمُوبِيُوسَ^(٤٩) فِي رُوعَةِ الْإِنْشَادِ ،
 ٤١٠ فَإِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَمْتِعُ بِقِيَارَةِ ، مَجْهُولٌ عَازِفُهَا .
 لَوْ لَمْ يَصُورَ فِينُوسُ الْمَثَالَ أُيْلِيسَ ابْنَ جَزِيرَةِ كُوسَ ،
 لَظَلَّتْ فِينُوسُ مَخْبُوءَةً فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ .
 مَاذَا يَنْشُدُ الشُّعْرَاءُ الْمَخْلُدُونَ سِوَى شُهْرَتِهِمْ ؟
 تِلْكَ غَايَتُنَا جَمِيعًا مَهْمَا تَجَشَّمْنَا مِنْ عَنَاءٍ .
 وَقَدِيمًا نَعِمُ الشُّعْرَاءُ فِي كَتَفِ الْمُلُوكِ وَالزَّرْعَاءِ^(٥٠) ،
 وَرَبِيعَ الْمُنْشِدُونَ الْمَالَ الْوَفِيرَ .
 كَانَ الشَّاعِرُ مَقْدَسًا وَخَفِيًّا بِالتَّبَجِيلِ ،
 يُغْدَقُ عَلَيْهِ الْمَالُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .
 أَلَمْ يَحْظَ الشَّاعِرُ إِيْنِيُوسَ^(٥١) رَبِيبُ جِبَالِ كَالَابَرِيَا ،
 بِضَرْيَحٍ إِلَى جَوَارِكِ يَاسْكِيُيُوسَ^(٥٢) الْعَظِيمِ .
 أَمَّا الْيَوْمَ فَمَا عَادَ الشَّاعِرُ يُجْزَى بِغَيْرِ إِكْلِيلٍ مِنَ اللَّبْلَابِ ،
 وَغَدَا التَّبَتُّلُ فِي مَحْرَابِ الْفُنُونِ صِنُوعًا لِلْكَسَلِ .
 وَرَغْمَ ذَلِكَ مَازَالَ الشُّعْرَاءُ يَكْتُبُونَ فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ وَالشُّهْرَةِ .
 أَوْ كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَسْمَعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ هُومِيُورُوسَ ،
 لَوْ ظَلَّتْ إِيَادَتُهُ الْخَالِدَةُ طَيُّ حَنَائِيَاهُ ؟
 وَمَنْ مِنْكُمْ كَانَ يَعْرِفُ دَانَايَ ،
 لَوْ أَنَّهَا بَقِيَتْ حَتَّى شَيْخُوخَتِهَا سَجِينَةَ بَرَجِهَا ؟^(٥٣)
 الزَّحَامُ أَجْدَى لَكِنَّ أَيْتَهَا الْفَتَيَاتُ الْجَمِيلَاتُ ،
 فَلْتَعْبِرْ أَقْدَامُكُنَّ الَّتِي لَا تَفْتَأُ تَجُولُ عَتَبَاتِ بِيُوتِكُنَّ إِلَى خَارِجِهَا مِنْ أَنْ إِلَى آخِرِ .



بوشيه : دانای . متحف کونیاك .



كلوديون: موكب عاهدات باكفوس. نقش بارز. متحف اللوفر.

أولاً تتربص أنثى الذئب بأكثر من حمل كي تنتقي فريسة منها؟
٤٢٠ ويفاجئ نسر چويتر طيوراً عدة ليتخير أخيراً؟

فلتستعرض الجميلة مفاتها على ملاء ،

فقد يطلع عليها من بين الجم الغفير من يهيم بها ولعا .

ولتكن تواقاً أن قصدت ، إلى إثارة الإعجاب في نفوس الرجال .

ولتكن بما يجلو مفاتها واعية دوماً ، فالخط حليف المصادفات .

اتركي الشص يتدلى ، عسى أن تلقفه إحدى سمكات النهر في أقل الأماكن ارتقاباً منا للسمك .

وما أكثر ما تهيم كلاب الصيد غدواً على وجوها في الجبال والوديان ،

فإذا الوعل يقع اعتباطاً في الشراك .

أو كانت أندروميذا تأمل أن يرق إنسان لدمعها المنسكب ،

وهي مؤتقة على الصخر وحيدة؟

وما أكثر ما تحظى الأرملة في جنازة زوجها بزواج تال ،

فما أغراها في أنظار الرجال بشعرها المشعث وعويلها الحزين .

* * * * *

وتجنبي من الرجال من يتكلف الأناقة والوسامة ، ويسوى شعره بعناية مفرطة .
فمثله متقلب الزوات غير راسخ العواطف ،
يصب في أذنيك من معسول الكلام ما رده لآلف امرأة قبلك .
فما جدوى عاشق يبر المرأة طراوة ،
قد تجتذب له من العشاق من يفوقون عشاقها عدداً .
صدقى قولى وإن بدا لك غريباً :
٤٤٠ فلو أن أهل طروادة قد استجابوا لنصح بريام ، لظلت بلادهم قائمة حتى اليوم .
هناك رجال يحاصرون النساء متظاهرين بالحب لينالوهن غثاتلة .
حذار أن تحذرك شعورهم الناعمة المزوجة بالدهون والطيب ،
أو تغريك أحزمتهم المرصعة ،
أو يفتنك رداء التوجا الرقيق النسج ،
ولا تعدد الخواتم التي تجمل الأصابع ،
فلعل أشدهم أناقة لص لا يهيم بك بل بما تحلين به .

فما أكثر ما تصيحُ نساءً في ساحة الفورم :
«أمسك! باللص .. حتى لا يُفْلِتَ بما سلبني إياه» .

* * * * *

ما أقدرَكَ يا فينوس حين لا تُبالين عند رؤية هذه المشاكسات الرخيصة ،
شاحخةً من علياء محاريبك المتألقة بوفير الذهب ، أنت ووصيفاتك حوريات آبيا .
أما من تقَعُ فريسةً لمن طبقت شهرته الأفاق مجونا وخلاعةً
فليست جديرةً منا بالعطف ولا بالمؤازرة .
تعلمى من كوارث غيرك الحَيطة والحذر فلا تفتحي بابك لعاشق زائف .
أى عذارى أثينا ، لا تصدقن قَسَمَ ثيسوس ،
فسيستشهدُ بالهة أقسمَ بها من قبل كذبا .
وأنت يا ديموفوون يا من ورثت جرأة ثيسوس على الكذب ،
٤٦٠ كيف نأتمنك بعد أن حنثت بوعدك لفيليس ؟
إذا جاءكُن الرجال بالوعود ، فارددن عليهم بوعود بعدد كلمات وعودهم ،
وإذا منحوكُن الهبات ، فامتعهنَّ بقدر ما منحوا .
وفي استطاعة أية امرأة أن تُطفِئ شُعلةً فَيَسْتَا
الحارسة المقدسة ،
وأن تنهَبَ المُقدَّسات من معبدك يا إينة إيناخوس [إيو] ،
وأن تُقدِّمَ العُشب السامَّ مخلوطا بمسحوق الشوكران هديةً لحبيبها العاشق ،
الذى ما إن يتجرَّعه حتى يقضى نحبَه قبل أن ينس بكلمة شكر .

* * *

معذرة إذا طال استطراذى ،
ولأعدُّ إلى لُبِّ موضوعى .
ولتحرسنى ربَّةُ الشعرِ ولتكبيحْ زمامَ جماحى ،
حتى لا تندفعَ مركبتى على غير هدى .
إذا وفدتُ إليك رسائلُ عاشقِك منقوشةً على لوحات خشب التنوب ، مُشِيعَةً جوَّ الغزل ،
فلتلقها عنك وصيفتك ، ولتبيِّنْ من ثنايا كلماته صدقَ مشاعره من زيفها ،
وصحة ما تنطوى عليه من شجن يختلجُ بصدريه .
وتمهلى فى الردُّ عليه فترةً ،
فتأخيرُ الجواب مهمأزَّ يهبجُ العشاق ،

ولا تَعِدِيهِ فِي يُسْرِ بَنَوَالِ مَبْتَغَاهُ ،
 ولا تَرْفُضِي فِي عَنَادِ مَسْرِفِ ،
 بل دَعِيهِ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْأَمَلِ حَائِثًا .
 وَاْمْنَحِيهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَكْتَبِينَ إِلَيْهِ شِعَاعَ أَمَلٍ ، وَهُوَ فِي عَلَيْهِ بَعْضُ مَخَافِهِ
 ٤٨٠ أَيْتَاهَا النِّسَاءُ ، اخْتِزْنَ مِنَ الْكَلِمَاتِ مَا هُوَ رَقِيقٌ مَأْلُوفٌ فِي غَيْرِ كَلْفَةٍ ،
 فَهِيَ وَحْدَهَا تُشِيعُ فِي النَّفْسِ الرَّاحَةَ .
 كَمْ مِنْ مَكْتُوبٍ نَجَحَ فِي أَنْ يُؤَجِّجَ شِعْلَةَ الْحُبِّ فِي صَدْرِ عَاشِقٍ مَعَذَّبٍ بِالظَّنُونِ وَالرَّيْبَةِ .
 وَرُبَّ عِبَارَةٍ فَظَةٍ تَسِيءُ إِلَى جَمَالِكَ^(٥٤) .
 حَقًّا إِنْ إِكْلِيلَ الْعُرْسِ الشَّرْعِيِّ لَمْ يُتَوَّجْ هَامَتَكَ ،
 وَمَعَ ذَلِكَ فَثَمَّةٌ سَيِّدٌ قَدْ تَشَوَّقَكَ خِيَانَتُهُ .
 فَأَمْلِي رَسَائِلَكَ عَلَى أُمَةٍ أَوْ وَصِيفَةٍ ،
 وَلَا تَأْتَمَنِي عَبْدًا مَجْهُولًا عَلَى خَمَلِهَا .
 فَكَمْ مِنْ أَمْرَأَةٍ لَقِيَتْهَا وَقَدْ شَحِبَ مِنْهَا اللَّوْنُ رَعْبًا ،
 يَعَذِّبُهَا إِفْشَاءُ سِرِّهَا عَذَابًا مَدِيدًا .
 مَا أَشَدُّ غَدْرَ رَجُلٍ يَحْتَفِظُ بِمَثَلِ هَذِهِ الْعُهُودِ الْمُسَجَّلَةِ ،
 لَكَأَنَّهُا تَنْطَوِي عَلَى صَاعِقَةٍ مِنْ بَرَكَانٍ إِنْتَا .
 وَكَمَا يَبِيحُ الْقَانُونُ مَبْدَأَ السُّنِّ بِالسُّنِّ ، أَقُولُ لَكَ : « التَّدْلِيْسُ بِالتَّدْلِيْسِ » .
 دَرَبِي يَذْكُ عَلَى كِتَابَةِ الْوَانِ مُخْتَلِفَةً مِنَ الْخَطُوطِ .
 [أَلَا فَتَبًّا لِرَجَالٍ يُلْجِثُونُكَ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ النَّصِيحَةِ !]
 غَيْرُ مَأْمُونٍ أَنْ تَكْتُبِيَ الْجَوَابَ عَلَى لَوْحٍ لَمْ تُسَوِّ طَبَقَةَ الشَّمْعِ عَلَيْهِ ،
 فَقَدْ يُظْهَرُ طُلْسُ^(٥٥) رِسَالَةٍ قَدِيمَةٍ لَكَ تَحْتَهُ .
 وَدَعَى مِنْ تَكْتُبَ لَكَ ، تَخَاطَبُ الْعَاشِقُ دَائِمًا وَكَأَنَّهُ أَنْثَى ،
 وَكَلِمَا أَمْلِيَتِ : « هُوَ » ، فَلَتَكْتُبِ : « هِيَ » .

* * * * *

وَإِذَا كَانَ لِي أَنْ أُنْدَرِّجَ مِنْ تَافِهِ الْأُمُورِ إِلَى أَجْلِهَا ،
 ٥٠٠ وَأَبْسُطْ لِلرَّيْحِ أَشْرَعَتِي الْمُنْتَفَخَةَ كَامِلَةً ، فَإِنِّي أَقُولُ لَكَ :
 إِنْ شِئْتَ الْإِحْتِفَاطَ بِجَمَالِكَ فَلَتَكْبَحِي ثَوْرَةَ انْفِعَالِكَ .
 فَالْهَدْوُ الْوَادِعُ أَلْيَقُ بِالْبَشَرِ ، وَالْانْفِعَالُ الْهَائِجُ أَلْيَقُ بِالْحَيَوَانِ ،
 إِذْ يَحْقَنُ الْوَجْهَ وَيَمْلُؤُهُ غَضَبًا ،

ويدفع إلى العروق بدم قان ،
 فتبرق العيون في وحشية نظرات الجورجونة .
 صاحت باللاس حين رأت وجهها على صفحة الجدول :
 اعزب عني أيها الزمارُ الشقي ، فلست بالذي أشوهَ جمالي من أجله^(٥٦) .
 وأنت كذلك . لو أنك طالعت وجهك في مرآة خلال سورة غضب جامع
 لما تعرّفت قط على نفسك .
 الصلفُ كذلك يشوهُ جمالَ ملاحك ،
 وما يُكتسبُ الحبُّ بغير العيون الحادية .
 ما أبغضُ الخيلاء حين يُبالغ فيها ،
 وصدقي قولَ خير : ما أكثر ما تنبتُ في الوجهِ العابسِ بذور البُغضِ .
 فالتفتي لمن يتطلعُ إليك
 وليفتُرْ ثغرُكِ برقة إذا ابتسم لك ،
 وأومئي برأسك إذا لَوَّح لك .
 فبعد هذه الخطي الممهّدة ، يميلُ كيوييد إلى كِنانته ينزِعُ منها سهامَه النافذة .

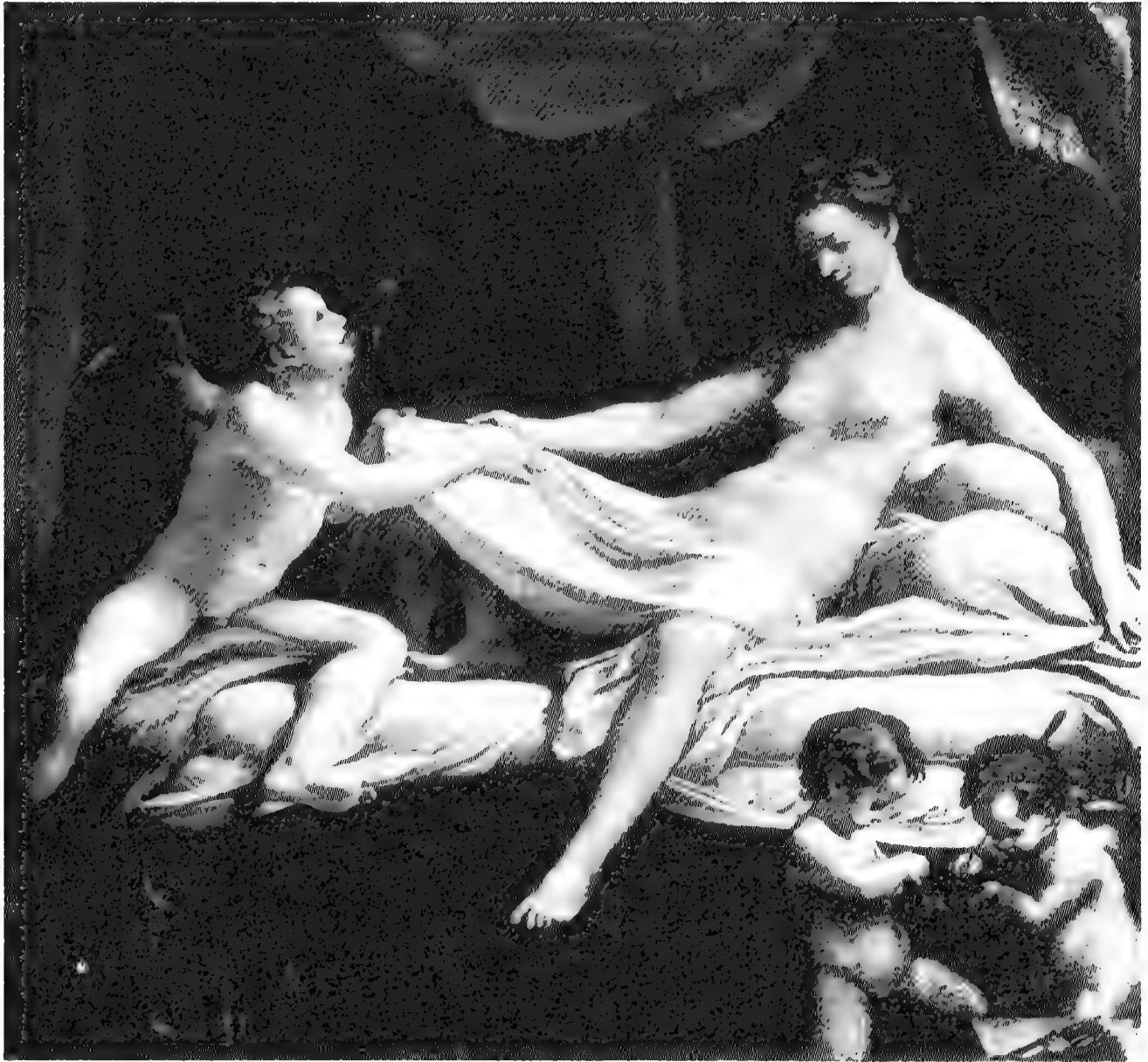
* * * * *

ولن أنفِرُ أيضا من النساء العابسات .
 فليهنأ أچاكس بحب تِكَمِسًا^(٥٧) ،
 أما نحن فللمرح نَمِيلُ ، تَفْتِنُنَا المِرَحَات .
 حاشاي أن أسالك يا أندروماخي ولا أنت يا تِكَمِسًا ،
 ٥٢٠ أن تكون إحدكما عشيقَةً لى يوما .
 ما كان لى أن أتخيل أنكما ضاجعتما زوجيكما أبدا لولا ذَرِيَّتُكما دليلُ .
 أو يُعقل أن تكون تلك الأسيرةُ المسرفة فى عُبوسِها ،
 قد همست فى أذن أچاكس يوما : « يا حبيبى ! » .
 أو هممت بكلمات تدغدغُ بها الحِذْنُ الحبيب !
 لا حرج إذا أنا جئتُ بأمثلة غاية فى الجِدِّ ،
 لأدلل على أمورٍ هيئةُ الشأنِ .
 فلا تمثّل بحُنْكَه قائدٍ يُشرفُ على جيشه .
 إنه يَعْهَدُ إلى الضابط حاملِ عصا الكرم^(٥٨) بقيادة مائة جندى ،
 ولغيره بقيادة الفرسان ، ولثالث بحماية البيارق .
 أولى بالنساء أن يَزِنَ بالمثل قدرات الرجال ،

ويعهدن إلى كل منا بما يناسبه من دور :
 الغنى يمنح الهدايا ،
 والمحامي يشير بالفتوى ،
 والخطيب يترافع في قضية موكلته ،
 بينما لا نحسن نحن صنّاع الشعر غير صياغة الأبيات ،
 ومع ذلك فنحن فرسان حياة الهوى ،
 نملك أن نذيع جمال المعشوقة في أرجاء الدنيا بأغانيها .
 وعلى هذا شاعت شهرة نيميسيس وستيا ،
 وبلغ اسم ليكوريس شواطئ المغرب والمشرق^(٥٩) .
 وما أكثر ما يستوضحني سائل : « من هي كورينا^(٦٠) التي بها تتغنى ؟ »
 ما أبغض الرياء على أمراء الشعر ،
 ففئنا يصوغ وجداننا ،
 ٥٤٠ لا يُغرينا بريق المال ولا طموح جامع .
 لا نبالي سوق « الفورم » وأرباحاً تُدرّها .
 الاسترخاء فوق حشية مُظللة بُغيتنا .
 وما أسرع ما نقع في أسر الحب ،
 إذ يُشعل فينا رغبات محتدمة .
 نتبتل في الحب الصادق وتذوب فيه مُهجاتنا وفاء ورقة ،
 فتطبع سلوكنا بنهجها الرهيف .
 رفقا بشعراء أيونيا أيتها الجميلات ، لا تحرمنهم مفاتيكن .
 فالألوهية فيهم ثاوية ، وربات الفن يُحايينهم .
 نحن على صلة بالسموات ،
 يكمن في كل منا إله ويهبط الوحي علينا من عليائه .
 فما أبشعه جرمًا أن تتوقعن من الشاعر الموهوب جزاء .
 وأسفا لامرأة لا تتورع عن هذا الجرم .

* * * * *

وأقول لك اصطنعي المراءاة ،
 وإياك أن تنيم قسمات وجهك عما يطويه صدرك من شره .
 فما أجزع العاشق الحديث العهد إذا لمحت عيناه الشراك .
 الفارس الماهر لا يقود المهر الحديث الترويض ،



كوريجيو: داناي. متحف بروجيزي

مثلما يقودُ الجوادَ الذي أَلِفَ اللجامَ .
 فاتخذى منهجين متباينين في اقتناص كلٍ من الشاب الفصّ والرجل المحنّك .
 ٥٦٠ فإن وقع في شباكك مجنّد لم يُخضّ معارك الحبّ من قبلُ ،
 فأحكمي الحصارَ حوله حتى يتشبّث بك ولا يلتصق امرأةً سواك .
 فالنبتة الوليدةُ يذودُ عنها على السياج .
 واحرصي على ألا تنافسك غريمةً ،
 فستبقى لك الهيمنةُ ما بقى الزمامُ في يديك .
 ألا ما أخطرَ المشاركةُ في الحبّ والعرش .
 ورويداً رويداً يأتيك المحنّك حذر الخطي ،

تتسنانو: دانای. متحف پرادو مدريد.

يستهنُ في سبيلك بما لا يحتمله الجندى الناشء .
 لن يحطم الأبواب ، أو يضرم فيها النار ،
 ولن يتخذش وجنات عشيقته الناعمة بأظافره ،
 ولن يمزق ردائه ولا رداء حبيبته ،
 ولن يجذب شعر خليلته عن غلٍ حتى يستمطر من عينيها الدمع .
 هذى أعمال لا يأتيها غير المتلطين جوى .
 أما المحنك فيقبل أمر الألام برباطة جأش ،
 بينا هو يحترق كالنار المتسللة بطيئا في القش الندى ،
 أو في الجذع المقطوع وشيكا من سفوح الجبال .
 هذا النوع من الحب مأمون البقاء .

أما الآخرُ ،
وإن كان أغزرَ مُتعةً فهو أقصرُ عمراً .
فلتهرعْ يَدُكَ عَجَلَةً إلى قطفِ الفاكهةِ العابرةِ .

* * * * *

وإذ كنا قد استضيفنا خصوصتنا ، فلنبجُ بكل الأسرار .
دعيه يستشعرُ الأمانَ بينا هو في أحضان الخيانة .
واعلمي أن ما تمنحينه في يسرٍ لا يُطيلُ عُمرَ الحب .
٥٨٠ ولتتوَعى من أساليبك معه بأن تصديه برفقٍ من حين إلى حين ،
واحمله على أن يرمى قَدَامَ بابك الموصد صائحا :
« تَبَّا لك أيها البابُ الموحش » .
وأن يتوسَّلَ لك تارةً ويتوَعَّدُك أخرى .
نحن الرجال لا نُسيغُ دَوَماً الاستسلامَ العذب .
نذينا من آونة لأخرى بعصارات مُرة .
فكم من سفينة غرقت في نسيم مُواتٍ ،
وكم يفوتُ الاستسلامُ العذبُ على النساءِ الاحتفاظُ بحب أزواجهن ،
فيه ينال الأزواجُ ما يشاءون حين يشاءون .
ليلزِمَ حارسُك بابَ مخدعك ،
يَجِبُهُ الوافدُ بصوت حازم : « لن تعبر » .
عندها والباب موصدٌ في وجهه سوف يشتعل منه القلبُ حباً .
وحينذاك يكون الأوانُ قد آن ياسيدك ،
كى تَسْلُ السيفَ من غمده وتبارزى بحدٍّ ماض .
ولستُ بغافلٍ عن أن مازودتك به من سلاح ،
قد يرتدُّ على يديك ذات يومٍ إلى صدرى .
أوهى العاشقَ الذى وقع لتوه في شراكك ،
أنه وحده صاحبُ الحق في مخدعك .
ثم لا تتمهلُ في إيقاظ شكوكه بوجود منافسٍ يشاركه فراشك .
إن فانتك هذه الحيلُ ذوى حبه ؛
فما تتأججُ حماسةُ الجواد الأصيل في السباق ،
إلا حين تتحداه الجيادُ الأخرى .
كذلك تتأججُ شعلةُ حبنا الداوية من جديد ، حين يمسها ونحرُ يسير



ماتوار: چوہدر وایو. متحف نروا۔

وأعترف أنا الآخر، أنى ما قَوِيْتُ على المضي في حب مديد،
لولا نكسة توقظني من وقت لآخر .
لا تهدئي ما ينتابه من شكوك بما قد يهونُ قلقه ،
٦٠٠ وإذا احتدم غضبه فلا تكبحي خياله عن أن يتوهم ما يجاوز ما انتهى إليه .
وزيديه اشتعلاً بادعاء أن ثمة خدماً مفتوحى الأعين .
واستثريه بالتلميح إلى زوج لا يَغْفُل .
فمتعة ينالها المرء في أمن وطُمأنينة تفقدُ نصفَ سحرها .
تظاهري بمخاوف موهومة تنهددك ،
حتى لو كنت مثل تاييس^(٦١) طليقة من كل قيد .
ولو كان يسيراً عليه أن ينفذ إليك من الباب ،
فادفعيه بدهاءٍ لكى يثب إليك من الشباك ،
بينما ترسمين سمات الجزع على وجهك .
وأسرّي إلى وصيفةٍ لَمَّا حَتِ أن تقتحم بآبكها صائحة : « افتضحنا وقضى علينا » .
عندها أخفى الشاب المذعور في أى نجأ .
وبين هذا الرعب والرّهبة أفسحى له مُتَعاً آمنة من آوّة لأخرى ،
حتى لا يعرفه اليأس بأن لياليك غيرُ جديرة بما يتكبّد .

* * * * *

أوشكتُ أن أغفل سرّد الأساليب التي تخدعين بها زوجاً مكرراً أو حارساً يقظاً .
فلا بأس أن تخشى العروسُ زوجها ،
وأن يحرسها هو أدق حراسة .
تلك وصايا الشرائع والعدالة والأخلاق .
ولكن لا يسوغُ للزوج أن يتجسّس عليك .
كما لا ينبغي لك يا من أعتقك « الپريتور » بمسّة من صولجانه^(٦٢) أن ترضخى .
هلمّي إلى لألقنك أسرارَ مخادعة الحراس ،
فستُفلتين منهم جميعاً ولو انتشروا من حولك بعدد أعين أرْجُس^(٦٣) .
٦٢٠ فكيف لحارسك أن يحول دون تسطيرك لرسائل عشقك ،
وأنت بعيدة عن نظره في جوف الحمام ؟
أو يستطيع أن يمنح خادمة لك من أن تحمل أسرارَ غرامك
في لوحات تُخفيها تحت وشاحها لصق صدرها الدافئ ،

أو في جوربها بين باطن القدم وخُفِّها؟
وهبى أن حارسك يسدُّ عليك المنافذ كلها ،
فلتخذي من ظهر نجيتك لوحات الكتابة ،
ولتنقشي كلماتك على جسدها كله .
وثمة نوع من الكتابة أراه مأمونا يخفى على العين ، هو الكتابة باللبن الطازج ،
فإذا ذُرَّ عليه مسحوق الفحم بدا مقروءاً .
وثمة طريقة أخرى ، أن تكتبي بعودٍ من نبات الكتّان المبلل ،
فينقش على اللوحة ما لا تراه العين إلا فيما بعد .
حاول أكريسيوس جهْدَ الطاقة أن يُحكَمَ عُزلة ابنته داناي ،
فما منعها ذلك عن أن تتركبَ إثنا ارتقى بأبيها إلى مرتبة الأجداد !
وماذا في طوق الحارس أن يفعله وهو يتعقَّبُ سيّدته إلى المسارح بينما تغصُّ المدينة بها ؟
أو إلى حلبات سباق المركبات وهي تنعم النظر في أصالة الجياد ؟
أو وهي تختلِفُ إلى المعبد المحرّم على الرجال أن يلجوه ،
ذلك المعبد الذي تمجّد فيه بقرة فاروس [إيزيس] بالمصلصات ،
حيث الإلهة السّمحة لا تدعُ عيون الرجال
تجملُ النظر فيه إلا من ترضاه هي منهم ؟
وهل يملك الحارسُ الذي إليه رعايةً ملابس سيّدته في الخارج ، عند دخولها الحمام العام ،
أن يحول دون تواصل المتع المختلّسة داخلها ؟
وهل تعدمين عند الحاجة صديقةً مأكرةً ،
تزعُمُ لعشيقيها أنها ألم بها المرض فجأة ،
٦٤ كي تنزل لك عن فراشها تلقينَ عشيقك عليه ؟
ولا تظني الوسيلة الوحيدة لتسللي عشيقك إلى مخدعك ،
هي المفتاح الذي تصطنعينه وتُعلّقينه على بابك
ليوحى إليه بما سينعم به .
فهناك كذلك مُعتقُ النبيذ تُغرقين فيه الحارس إلى أن تَقبلُ نظرته ،
حتى ولو لم تجدي غيرَ عصارة كروم سفوح إسبانيا^(٦٤) .
وثمة عقاقير تبعث على النوم العميق ،
فتغمس العين المهزومة في ظلام مُدْهِمٍ كهذا الظلام الذي يغشى نهر ليثي [نهر النعاس والنسيان] .
ومن اليسير كذلك أن تشغل وصيفتك ذاك الحارس البغيض بمغازلة تصرفُ نظرهُ أطول مدة .
ما جدوى تبديد الوقت بهذه النصائح الذائعة المألوفة ،

بينا تكفى رِشوةً صغيرةً لشراء ضمير الحارس ؟
 صدَّقيني ، الرِشوة تشتري الآلهة والبشرَ جميعاً .
 فجوِّيتَ نفسك يستنيمُ دَعَةً إن قربنا له العطايا .
 وإذا كان الغِرُّ يستجيبُ للرِشوة ، فما بالك بالحكيم ؟^(٦٥)
 للهدية سحرٌ يكتمُ أفواهَ السُّدج والحكماء على السواء .
 لكنني أنصحُك بأن تقدِّمي لحارسك رِشوةً تسدُّ فمه طويلاً ،
 وستلقينه بعدها مغمضَ العينين دوماً .
 فمن كبا مرةً أَلَفَ الكبوةَ مرَّات .
 أذكرُ أني قدِّمتُ النصحَ قبلُ بأخذ الحِيطَة من الرفقاء ،
 ٦٦٠ على أن تحذيري لا ينفسُ للرجالِ وحدهم .
 لأنك إن أفرطتِ في منح الثقة لنساءٍ غيرك ،
 فقد يَحْضُن مُتعا هي لك .
 ويقتنصن أرنَبكِ البرى .
 أصارُحك أن صديقتكِ التي نَزَلَتْ لك عن مخدعها عن طيب خاطر ،
 نَعِمْتُ به هي الأخرى - صدَّقيني - أكثر من ليلة .
 لا تحوطي نفسك بوصيفات فاتنات ،
 فكم من وصيفةٍ كان لها معي ما كان مع سيديتها .
 أسوقُ ذلك من تجرِبَتِي . .
 إلى أي سبيلٍ تسوقُني شطحات ؟
 ما لي أعرضُ صدرى العارى لرشق السهام ؟
 ما لي أخونُ أترابي من الرجال ؟
 فالطيرُ لا يكشف للصياد السبيلَ إلى مخبئه ،
 والأيلُ لا يَهْدِي كلابَ الصيد إلى سبُل طراذه .
 فلكلُّ ذى بُغْيَة وسيلته لاقتناصها .
 ولاستطرُد مع ذلك في إسداء النصح الأمين .
 لأسلحنكُنَّ يا نساءَ ليمنوس بسيفٍ تحملُ في نصالها منيَّ^(٦٦) .
 فلتوهِمُنَّنا أننا محطُّ عشيقكُنَّ ، وما أيسرَ ذلك .
 وما أسرعَ تصديقِ أصحابِ الرغباتِ المحتدمة لَكُنَّ .
 على المرأة أن ترنو إلى الفتى بنظراتٍ تنضحُ بالحب ، وتُطلقُ زفراتٍ تصاعدُ من أعماقها ،
 وأن تسأله عن عُذره في تأخيره مازجةً سؤاها بقطرات الدمع .

وأن تتظاهر غاضبة بالغيرة من منافسة تختلقها ، ولتخمش بأظافرها وجهه .
 لحظتها ما أسرع ما يقتنع بأنها مدلهة به فيحنو عليها حذبا ،
 ٦٨٠ ثم يناجي نفسه : ما أشقاها بهواها لي .
 وقد تثير مرآته زهوه واختياله بأناقته
 حتى يتوهم أن الإلهات أنفسهن قد يولعن به .
 وإن ظلمك لا تبالي ،
 ولا تكثرني إن طرقت أسماعك شائعة عن منافسة أخرى ،
 بل لا تسرعي إلى التصديق ،
 وفي قصة پروكريس^(٦٧) من مآسى التصديق السريع ما يحملك على الحذر :
 فلما جوار سفوح جبال هيميتوس الأرجوانية النضرة ،
 كان ثمة ينبوع مقدس تكتنفه مروج سندسية ،
 وأجمة ذات أشجار غير شائخة .
 وهنا وهناك شجيرات القطلب وسط العشب ،
 وكذا شجيرات الغار وحصى البان والآس الداكن ذات الأريج العاطر .
 ولا تفتقد العين أوراق البقس الكثيف ،
 ولا شجر الطرفاء الهين القصف ، ولا الصنوبر الرشيق ، ولا البرسيم الرهيف .
 وتراقص الغصون المورقة مع نفحات النسيم العليل والرياح اللينة المنعشة .
 وتتأود قمم النباتات مع هبات الريح .
 كاد النوم الهادى يغلب كيفالوس ،
 شأنه دوما حين يأخذ مضجعه في ذاك الموقع ،
 منك القوى إثر رحلة صيد شاقة ،
 مخلفا خدمه وكلابه بعيداً .
 وانبرى منشداً : « أقبل يا آورا [النسيم باللاتينية] ،
 أقبل يا آورا الهائمة ، اشرحي لى صدرى ، وأطفئ حرارة حلقى ،
 وما لبث المفرضون أن وشوا بهذه المناجاة إلى زوجته العفة .
 وحين سمعت اسم آورا خالتها غريمة ،
 فأرتج عليها وغابت عن رُشدها ،
 وعرى وجهها شحوب الأوراق الذابلة حول عناقيد العنب ،
 عندما تلفحها رياح الشتاء المبكرة ،
 أو شحوب ثمرات السفرجل

حين يكتمل نضجُها فتميل بها غصونُها ،
أو شحوبُ ثمارِ القرانيا قبلما تغدو طعاما سائغا للاكلين .

٧٠٠ وما إن ثابت إلى رشدِها حتى مزّقت عن صدرها رداءها الشفيف ،
وخدشت بأظافرِها خدّيهَا الأملسين ،
وشردت في الطرقات تعدو هائمةً كأن بها مسّاً ،
يتطايرُ شعرُها خلفها ، لكأنها من عابدات باكخوس مسّها الثيرسوس (٦٨) .
وما كادت تدنو من الغابة حتى خلّفت رفيقاتها في الوادي ،
وتسلّلت وحدّها بخطوات صامتةٍ إلى أعماق الغابة .
تُرى ماذا كانت مشاعرك يا پروكريس ،
عندما تربّصت في قلق مشبوب ترقبين زوجك ؟
أى نارٍ كانت ترعى قلبك الملتاع ؟
متوقعةً أن تصل آورا التي تتوهمين ،
وأن تقع عينك على ما هو مَشين .
أتراك تأسفين على مُباغيتك له ، تُخشِنُ رؤيته متلبساً ؟
لاحت لك السعادةُ تارة ، وطوّح بك الحبُّ هنا وهناك تارة أخرى .
فكل ما حولك يقيم لك الدليل على صدق الوشاية :

٧٢٠ ها هو ذا المكان ، وها هو ذا الاسم ، وها هم أولاء الواشون .
وها هي ذى الغريزة المَهْلِكَةُ الكامنة في نفوس العشاق ،
تدفعهم إلى تصديق الأوهام .
اشتد خفق قلبها حين شهدت أثر ضجعةٍ جسدٍ فوق العُشب ،
وشمسُ الظهيرة قد قصّرت الظلال .
وتأملت المشرق والمغرب ، وكلاهما منها على بُعدٍ متساوٍ .
انظروا .. ها هو ذا كيفالوس بن ميركوريس الإله الكيليني ،
يفدُ من الغابة لينثر مياه الينبوع على وجنتيه الملتعنتين ،
و پروكريس تختبئ على مقربة منه ترقبه من حيث لا يراها ،
بينما يهصر الانتظار قلبها .
يعودُ ليستلقى على العُشب كما اعتاد ،
ويترنم من جديد : « أقبل أيتها النسائم ، أقبل يا آورا الحانية » .
وحين أدركت پروكريس التعسُّ خطأها وعاد الرشد إلى عقلها ،
أفاقت ، ودبّ اللونُ في بشرتها ،



هوشيه : كيفالوس وأورورا ربة الفجر. متحف نانسى.



نیپولو: دانای. متحف ستوکھولم.

هُرعت ملهوفةً كى تضمّ حبيّها ،
فندّ عن أوراق الشجر التى اعترضتها حفيفً ،
فظنّها كيفالوس صيداً ،
ووثب بفتوة الشباب إلى سلاحه
ما هذا الذى تهمّ به أيها الشقى ؟
ليس هذا بوحش يُخشى ،
ألقى بعيداً قوسك .
لكن ... ويلاه !
أصاب سهمك عروسك .
فهوت صائحةً : « واحسرتاه ! اخترق السهم صدر من تهواك ،
صدراً مطعوناً بسهام حُبك من قبل يا كيفالوس .
أموت فى غير أوانى .
ولكن دون أن تلحقنى مهانةٌ منافسةٌ تُزاحمى
٧٤٠ وهو ما سيدفعك أيها الثرى إلى أن تقرّ رقيقاً فوق عظامى .
روحى تصعدُ صوب السماء تحملها « أنسام » انتابنى الشك حيالها ،
ما أشقانى ،
إنى ألفظ آخر أنفاسى ،
فأغلق عيني بكفك التى أعشقها .
ها هو ذا كيفالوس يرفعُ جسد زوجته المحتضرة ،
يضمه إلى صدره المكلم ،
ويغسل جرحها القاتل بدموعه المتدفقة .
وها هى ذى روحها تنسل ،
وتسرى رويداً رويداً هاربةً من صدرها الطائش ،
بينما يتلقى حبيها الشقى أنفاسها الأخيرة بشفتيه .

* * * * *

ولنعد بعد ما فات إلى ما كنّا فيه .
إذا كان لقارى المنك أن يدرك مرفاه ،
فلا معدى عن أن يكشف النقاب عن أمور يلزم البوح بها .
أراك قلقةً تترقّين أن أقودك إلى الوليمة مزودةً أيضاً بنصحى :

فلتصلي متأخرة ، وادلفى فى رشاقة وسط المشاعل الموقدة ،
 فما أقدر التأخر على أن يؤجج فتتك ،
 فالتأخر ياسيدى ديوت بارع .
 ومهما بلغ بك القبح فستبدى فى عين السكارى مليحة ،
 والليل الحالل نفسه يحجب عيونك .
 تناول الطعام بأطراف أناميك ، فلاذاب المائدة وزنها .
 احذرى أن يشوب وجهك أثر من يدك المتسخة ،
 ولا تطعمى فى بيتك قبل مجيئك فيحسبك الرائي فاقدة الشهية ،
 وأقبل على الطعام فى رفي لا يستسلم لمشييتك .
 ٧٦٠ فلو أن ابن پريام رأى هيلينا تاكل شرمة ، لانقلب حبه لها كرها ،
 ولنأجى نفسه قائلا : « لم أغنم إلا امرأة حمقاء .
 ولقد نغفر للمرأة أن تسرف فى الشراب ، ذلك أكثر ملائمة لها .
 لكننا ننفر منها نمة .
 لا حرج إذا أقبل باكخوس فى رفقة ابن فينوس .
 لكنى أناشدك أن تأخذى جذرك ،
 فلو احتفظت برشدك قويت ساقاك ، وكانتا سنداً لك .
 فحذار أن تزوج الصورة فى عينيك ، وتزين الرجل اثنين .
 فالمرأة المخمورة تمجها الأبصار ويستبيحها من يشاء .
 وليس من الأمان أن يذمك الناس بعد رفع الأطباق عن المائدة ،
 فقد تأنك خلال النوم أمور تجر عليك العار .

* * * * *

بقى الآن حديث يجر له وجهى خجلاً ،
 لكن فينوس بدلا لها تحفزي ألا أتردد هامة :
 « كل ما يبعث الحمرة فى الخلود هو أيضاً من جوهر اختصاصى :
 فلتجى كل امرأة مفاتن جسدها حق الوعى ،
 وتتقى أسلوبها لوفى مفاتها .
 فليس ثمة أسلوب واحد يناسب الجميع على السواء :

..... ٧٧٤

.....
.....
.....
.....
.....

٨٠٧

٨٠٨ ولتحذري أن يتسلل ضوء النافذة ويغمر مخدعك .
أولى أن تظلل العتمة أكبر قدر من جسدك .

* * * * *



كارافاجيو : باكوس . منحف أوفتوي بيلورسا .

والآن انتهت لُعبتنا
وآن أوانُ هبوطي عن مركبتى التى تجرّها البجعات .
وكما فعل الفتيان من قبل ،
على الفتيات من مريدان أن ينقشن على غائمهن :
« كان ناسو هو مُعلمنا » .

* * * * *



جيدو رينى - باكفوس - جاليريا بيتى فلورنسا .

تعقيبات

- ١ — الأمازونات أمة أسطورية من النساء كانت تقطن بجوار نهر الترمودون في كاپادوكيا ، وكانت حياتهن وفقاً على الحروب ومآثر البطولة . ولم يكن يضاجعن الرجال إلا بين الفينة والفينة للإنجاب فقط ، فإذا نسلن ذكوراً أهديهم إلى آبائهم على حين يحتفظن بالإناث . وتذهب رواية إلى أنهن كن يمزقن الذكور إرباً إرباً عند ولادتهم على حين كن يربين الإناث تربية عسكرية قاسية ، حتى إذا بلغن سن الرشد استؤصلت أئداؤهن اليمى بالكى حتى يستطعن قذف الرمح بلا عائق وتسديد السهام كذلك . وكلمة أمازون مشتقة من كلمتين يونانيتين « أ » وتعنى النفى ، و « مازا » وتعنى الغلال ، لأن الأمازونات اشتهرن بأكل اللحوم فقط . وكانت لمن دولة كبيرة في آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأسود ، وقد هاجمن الإغريق مراراً إلى أن الحق الآخرون بهن الهزيمة في بلادهم الأمر الذى أدى إلى نفيهن وانتشارهن في كافة أنحاء عالم البحر المتوسط . أما پتيسيليا فكانت أشهر ملكاتهن وتنسب سلالتها إلى الإله مارس . وقد حاربت في صفوف الجيش الطروادى حتى قتلها أخيل ، ويقال إنه لما رآها قتيلة أمامه بكى حزناً على جمالها . وهناك رواية بأن أخيل قد سمل عيني پتيسيليا قبل أن يقتلها وأن أحد أبطال الإغريق وهو ثيرسييتيس قد شهد ذلك فاضطر أخيل إلى قتله . وهناك رواية أخرى بأنه قد ضاجع پتيسيليا وهى ميتة وأن ثيرسييتيس قد شهد ذلك أيضاً . وإذا كان ثيرسييتيس صديقاً لديوميديس فقد غضب الأخير لمقتل صديقه فأمر بأن تبحر الجياد جثة پتيسيليا سبب المصيبة وأن يلقي بها في نهر اسكندر .
- ٢ — أخفى أمفيارووس زوج إيريفيليه نفسه حتى لا يرافق جنود مدينة أرجوس في حملتهم ضد طيبة ، إذ كان قد علم من الكاهن أنه يقينا سيلقى مصرعه لو رافق الحملة . غير أن پولينيكس بن أوديب استهوى إيريفيليه بقلادة ذهبية حتى كشفت له عن مخبا زوجها ، فاضطر أمفيارووس إلى الاشتراك في المعركة التى لقي فيها مصرعه ، ولكنه كان قد أوصى ابنه قبل رحيله بقتل أمه لو بلغه نبأ موته ، وبالفعل قتل الابن أمه .
- ٣ — حينما لقي پروتيسيلاس زوج لاوداميا حتفه في مستهل حرب طروادة بسيف هيكتور صنعت لاوداميا تمثالاً خشبياً لزوجها كانت تضعه على الفراش بجوارها حتى اكتشف حموها فعلها فأمر بإحراق التمثال فألقت بنفسها في النار مع التمثال من فرط حزنها وبأسها .
- ٤ — كانت إيفادنى بنت إيفيس الأرجوسى قد تمنعت على أبوللو مفضلة عليه كاپانيوس أحد الأبطال السبعة المعادين لطيبة . فأرسل جويتر صاعقة قتلته لتوه لكفره برب الآلهة . وعندها ألقت إيفادنى بنفسها في النار التى أشعلتها الصاعقة فيه .
- ٥ — مثلت الفضيلة دائماً في شكل امرأة ترتدى ثوباً أبيض وقوراً .
- ٦ — أحببت فيليس بنت ملك طراقيا ديموفوون بن ثيسوس الذى وفد ضيفاً على أبيها خلال عودته من حرب طروادة ، ثم أبحر ديموفوون إلى وطنه في أثينا بعد أن وعدا بالعودة إليها لكنه أنسيها ولم يعد ، وقيل إن فيليس قد عدت تسع مرات صوب البحر لعلها تشهد عودة مركبه دون جدوى . وبعد أن يشت ألفت بنفسها من فوق صخرة إلى البحر ، ولذا سُمى الطريق الذى سلكته « بطريق السبل التسع » .
- ٧ — ثيرايناي بلدة في لاكونيا حيث ولدت هيلينا .

٨ — ليست العشيقة التي يسدى إليها أوفايد النصح هي الزوجة التي لا يجوز أن يتاولها الحديث من قريب أو بعيد ، وليست هي العاهرة التي تتاجر بجسدها ، وإلا لما كان هناك داع لأن يعنى نفسه بتوجيه النصائح بينها بكفى المال وحده كى ينال المرء ما ييغى ، وإنما هي نمط من النساء شاع في المجتمع الروماني ، يملكن حق التصرف في شئونهن ويستطعن انتقاء من يحلو لهن معاشرته من الرجال ، كما يستطعن قطع الصلة به متى شئن .

٩ — هامت الربة ديانا حياً بأندميون الراعى حين شاهدته ينام عارياً على سفح جبل لاثموص وكانت تهبط إليه كل ليلة ليضاجعها . وقيل إن أندميون كان راعياً مولعاً بالفلك يصعد كل ليلة إلى قمة جبل لاثموص كى يرقب حركة النجوم في السماء . وكان كيفالوس زوجاً لبروكريس وقد أولعت به « أورورا » ربة الفجر فراودته عن نفسها ، ولكنه لم يستجب لإغرائها وألح في العودة إلى زوجته فأعادته الإلهة إلى بروكريس في صورة تاجر ثرى حاول غواية زوجته ، فتنجح بعد لآى في إغوائها ثم كشف لها عن حقيقة نفسه غاضباً ، ففرت بروكريس إلى جزيرة يويويا حيث انضمت إلى وصيفات الإلهة ديانا إلى أن عاد إليها كيفالوس يسترضيها فأبت معه .

١٠ — أنجبت فينوس أينايس من أنخيسيس ، كما أنجبت هارمونيا أو هرمونية من الإله مارس .
١١ — كان تيتوس تاتبوس أحد ملوك شعب السابين ، شارك رومولوس في ملك روما وقت نشأتها ثم قتل سنة ٧٤٢ ق.م .
١٢ — يشير أوفايد إلى معبد أبوللو وقصر أوغسطس وكلاهما يعلنان تل الهالاثينوس .
١٣ — نسبة إلى جبل كيلفى في أركاديا حيث عثر الإله ميركوريوس على سلحفاة وصنع قيثارته من ذيلها (دوقها) .

١٤ — تعهد الملك يوريتوس ملك أوغاليا بأن يزوج ابنته إيوى من هرقل ثم نقض عهده وأوفد ابنته بعيداً ، فأجج هذا البعاد من هيام هرقل بها ، وما إن أحاطت زوجته ديانيرا علماً بهذا الغرام حتى أرسلت إليه الرداء الحارق المسموم الذى ما كاد يرتديه حتى أصابه الهلاك .

١٥ — يقصد أوفايد معبد هرقل وربات الفنون في ساحة الملعب وقد شيده فولغيوس نُويُلُيور عام ١٨٩ ق.م .

١٦ — تزوجت إينو مرضعة باكخوس بنت الملك كادموس وهارمونيا ، أثناس ملك طيبة بعد أن طلق زوجته الأولى نيفيل وكان قد أنجب منها فريكسوس وهيل . وما لبثت إينو أن أنجبت بنتاً وولداً مضطهدة فريكسوس وهيل ، فوليا الفرار طائرین إلى شواطئ كولخيس ممتطين كبشاً ذا فروة [جزّة] ذهبية .

١٧ — أماريلليس راعية بالقصائد الرعوية لفرجيل .

١٨ — العبارة ذاتها غامضة في النص .

١٩ — نهر في ميسيا بأسيا الصغرى .

٢٠ — نهر في كيليكيا بأسيا الصغرى .

٢١ — « في معالجة الوجه النسائي » Medicamina Faciei Femineae .

٢٢ — هو مسحوق اسمه أويسيوم يقال إنه كان يصنع من عرق الدواب مخلوطاً بما يعلق بفراء الماشية من قدر . وقد تخصص إقليم أتيكا في صناعة هذا النوع من مساحيق الزينة ، وكان من أربح السلع فيها بعد العسل .

٢٣ — ميرون مثال يوناني مشهور عاش في منتصف القرن الخامس ق.م . نسب إليه التمثال الشهير لرامى القرص . وقيل إنه قد شكّل بقرة فُتن بها الثيران توهاً منها بأنها بقرة حية .

٢٤ — « الإلهة الطيبة » إلهة رومانية ترعى عفة النساء وخصوبتهن في آن معاً ، وقد حرم على الرجال اقتحام معبدها ، ولا يعبدنها غير النساء .

٢٥ — اشتهر البارثيون بالمجون ، وكانت شريعتهم تتيح لرجالهم مضاجعة أخواتهم وأمهاتهم ، ومن ثم صاروا مثلاً في غشيان المحارم .

٢٦ — سيميليه هي ابنة كادموس وهارمونيا (ابنة ميركوريوس وفينوس) وحين أحبها جوبيتر أقنعتها جونو بدعائها بأن نطلب من عاشقها أن يبدو أمامها بكل مظاهر قوته وجبروته ، وإذا كان قد وعداها بأن ييحب أى طلب تريده اضطر إلى الظهور أمامها على حقيقته فأحرقتها صاعقته ، بيد أن ميركوريوس استطاع أن ينقذ الجنين من أحشاء حفيده وكان هذا الجنين هو باكخوس (ديونيسوس) .

- ٢٧ — ليدا هي زوجة تنداروس ملك اسبرطة ، لمحها جوبيتر تستحم في نهر إيوروتاس وكانت حاملاً فراحه جملها وعقد العزم على اغتصابها . ومن ثم نحابل حتى أقنع فينوس أن تحول نفسها إلى هيئة نسر على حين تحول نفسه إلى هيئة طائر البجع ، واندفع طائراً صوب ليدا مرتجفاً وكأنه يخشى بطش النسر به ، فتلقته في حنان بين ذراعيها تحميه من انقضاض الطير الجارح ، واستطاع جوبيتر خلال احتضانها عارية أن يطأها . وبعد تسعة شهور من هذه المغامرة أنجبت ليدا بيضتين اثنتى من إحداهما التوامان پولوكس وهيلينا ، ومن الأخرى التوامان كاستور وكلتمسترا . وتسب البيضة الأولى إلى جوبيتر على حين تسب الثانية إلى تنداروس .
- ٢٨ — هام جوبيتر بأوروبا ابنة أجينور ملك فينيقيا فأحال نفسه ثوراً ليقرب منها وهي تترىض فوق مروج الشاطئ ، وما كادت تربت عليه ملاطفة حتى استدرجها إلى امتطائه ، وسرعان ما خلق بها عابراً البحر حتى أدرك شواطئ كريت . وهناك عاد إلى شكله الحقيقي وضاجعها فأنجبت له مينوس وساريدون ورادامانتوس .
- ٢٩ — يقصد أولفيد منارة الإسكندرية ، غير أن معنى البيت غامض . وقد فسره البعض بأن المقصود هو كتان مصر ، وفسره البعض الآخر بأن المقصود هو التماسح الذي كانت تصنع من حراشيفه المجففة المطحونة بعض مساحيق التجميل .
- ٣٠ — هناك أسطورة متأخرة تعتبر أوديسيوس ابناً لسيزيفوس الذي اشتهر بالمكر والخداع ، ومن ثم ينسب مكر أوديسيوس إلى أبيه . والإشارة هنا إلى الأوديسيا لهوميروس (الكتاب الثاني عشر ١٦٦) .
- ٣١ — اشتهر أمفيون ملك طيبة وزوج نبوى بأنه شيد أسوار طيبة بسحر الألحان التي عزفها بقيثارته .
- ٣٢ — كان أريون عازفاً مشهوراً على القيثارة وشاعراً غنائياً ، وقد صاحب برياندر ملك كورنثة إلى شواطئ إيطاليا حيث جمع ثروة من عزفه وشعره . وخلال عودته إلى بلاده حاول بحارة السفينة التي كان يستقلها اغتياله للاستيلاء على ثروته فأمهلمهم حتى يسمعون نشيداً افتتن به الدرافيل في الماء ، فألقى بنفسه في البحر ممتطياً أحدها حيث عاد به إلى قصر برياندر الذي قضى على البحارة جميعاً بالصلب جزاء لهم .
- ٣٣ — پرويترتيوس شاعر غنائي من العصر الأوغسطي اشتهر بالشعر المشحون بالمعاطف توفي عام ١٥ ق.م .
- ٣٤ — جالولوس شاعر وخطيب من العصر الأوغسطي وكان صديقاً لفرجيل ولد عام ٦٩ ق.م . وتوفي عام ٢٦ ق.م .
- ٣٥ — تيبوللوس شاعر من العصر الأوغسطي اشتهر بالشعر الغرامي الإيليجي وكان صديقاً لهوراس وأوفيد .
- ٣٦ — فارو شاعر روماني ترجم قصائد ملاحى الأرجو لأبولونيوس روديوس إلى اللاتينية ، وكذا بعض المراثيات والإيبيجرامات .
- ٣٧ — إشارة إلى إنيادة فرجيل .
- ٣٨ — نهر ليثي بالعالم السفلى إذا ما اقتربت منه أرواح الموق أنست حياتها في الدنيا .
- ٣٩ — « الغزليات » و « رسائل البطلات » من مؤلفات الشاعر أوفيد .
- ٤٠ — كان فن الرقص يشمل تمثيل كافة الشخصيات بل والقصر أيضاً من خلال الإيماءات والأوضاع ، ومن ثم كانت حركات الأذرع والسيقان ذات أهمية بالغة . وما من شك في أنه كان يتضمن أيضاً لونا من الرقص شبيهاً بالباليه .
- ٤١ — للأسف أن قواعد لعب النرد عند الرومان والإغريق مازالت مجهولة .
- ٤٢ — مياه العذراء اسم جدول كانت تصل مياهه إلى روما فوق قناطر مشيدة .
- ٤٣ — تدخل الشمس برج العذراء (أو السنبلة) في شهر أوغسطس .
- ٤٤ — المقصود هو معبد أبوللو فوق تل بالاتينوس حيث كانت تجرى عبادة الإله الذي سمي هو أيضاً أبوللو بالاتينوس . وقد أعاد قيصر أوغسطس بنائه كما زوجه بمكتبة حافلة بنقائس المخطوطات اليونانية والرومانية .
- ٤٥ — تزوج أجريبا جوليا ابنة الامبراطور أوغسطس وشيد « بوابة ملاحى الأرجو » عام ٢٥ ق.م . تمجيداً لانتصار روما في معركة أكتيوم ضد المصريين .
- ٤٦ — أى معبد إيزيس التي لقيت عبادتها إقبالاً شديداً في روما وقتذاك واختلط الأمر بينها وبين إيو التي مسختها الإلهة جونو بقرة .

- ٤٧ — المقصود هنا ملعب بومبيوس الذى افتتح عام ٥٥ ق.م. وملعب ماركيلوس [مارسيلوس] الذى شيده الامبراطور أوغسطس تكريماً للذكرى ابن أخته ماركيل [مارسيل] ، وملعب بالبوس الذى افتتح عام ١٣ ق.م.
- ٤٨ — ثاميراس موسيقى شهير من طراشيا هام بربات الفنون ، ثم تحداهن في مباراة موسيقية ، واتفقوا على أن يكون الخاسر رهن مشيئة الفائز ، فخسر ثاميراس وفقات ربات الفنون عينيه وحرمنه صوته الرخيم وحطمن قيثارته . كذلك اشتهر ثاميراس بأنه مبتكر اللواط في العالم .
- ٤٩ — أموبيوس عازف أثني ذاعت شهرته وأصبح اسمه كناية عن مهارة العزف .
- ٥٠ — خطي يوربيديس بضيافة أرخيلوس ملك مقدونيا ، كما نعم أناكريون بضيافة بوليكراتس ، وأكرم هيروداتس كل من بندار وياكيليدس .
- ٥١ — الشاعر لينوس (٢٣٩ — ١٦٩) ق.م. هو أبو الشعر الرومانى فى أغلب صيغه وخاصة الملحمة .
- ٥٢ — سكيبيو الأفريقى قائد رومان عظيم غزا شمال أفريقيا وقضى على قرطاجه .
- ٥٣ — داناي هى بنت أكرسيوس وطنها جوبيتر فى صورة سيل من الذهب حين سجنها أبوها فى برج منيع درءاً لنبؤة عراف بأن حفيده سيقتضى عليه . وشاءت الأقدار أن تتحقق النبؤة ويقضى عليه حفيده بيرسيوس عن غير قصد .
- ٥٤ — كذا فى النص ، والتعبير فى الأصل اللاتينى والنص الإنجليزى غامض ، وعرف فى الترجمة الفرنسية ، ولعله يقصد جمال الأسلوب .
- ٥٥ — الطلّس هو الكتابة الممخّرة .
- ٥٦ — تنسب بعض الأساطير إلى مينرفا (أثينا أو باللاس) ابتكار الزمار ، وقيل إنها نفخت فيه أمام فيثوس وچونو فسخرت الإلهتان من تشوّه وجهها بينا تنفخ ، ووافقتها مينرفا الرأى حينما طالعت صورتها منعكسة على صفحة الماء فقلّدت بالزمار بعيداً ، وتكهنت بالموت لمن يعثر عليه ، حتى وجده مارسيا وس مات مسلوخ الجلد وفق أسطورة أخرى .
- ٥٧ — كانت تكسماً أسيرة لأچاكس ومن ثم لازمها الاكتاب .
- ٥٨ — كانت عصا الكرم الرمز المميز لقائد السرية «ستوريون» ، وترمز إلى حقّه فى جلد جنوده العصاة .
- ٥٩ — هى أسماء العشيقات الثلاث للشعراء تيبولوس وبروبيرتيوس وجالوس أصدقاء أوفيد .
- ٦٠ — الاسم المستعار لخليلة أوفيد .
- ٦١ — عاهرة أثينية مشهورة .
- ٦٢ — كان الهرينور وهو الحاكم القضائى يلمس بصولجانه الأمانة الجديدة بأن تُعق ، ومن ثم فإن هذه العبارة كناية عن المرأة الحرة .
- ٦٣ — أرجس هو حارس إيو ذو المائة عين الذى قتله ميركوريوس .
- ٦٤ — كان الرومان يستحقون بنيد كروم إسبانيا .
- ٦٥ — المقصود أن ليس الحكيم أقل استجابة من الغر للرشوة .
- ٦٦ — اشتهرت جزيرة ليمنوس بأن نساءها قتلن أزواجهن جميعاً .
- ٦٧ — يروى أوفيد هذه القصة بالتفصيل بكتابه «مسخ الكائنات» ترجمة كاتب هذه السطور .
- ٦٨ — الثيرسوس أو صولجان باكخوس هو قضيب تلتف عليه غاريط الصنوبر أو عناقيد الكروم .
- ٦٩ — قد تكون المقصودة بالتشبيه هنا هى لاوداميا زوجة پروتيسلاوس ابن ملك ثيساليا الذى هجر زوجته للاشتراك فى الحرب الطروادية فكان أول من صرعه الطرواديون من الأخيين . وقد حزنت لاوداميا عليه حزناً شديداً وأرسلت شعرها منساباً فوق كتفها دليل لوعتها ، ثم صنعت تمثالاً خشبياً على هيئة زوجها وراحت تحتضنه كلما نامت بفراشها كما سبق القول . وعندما علم هوها بذلك أمر بحرق التمثال فألقت لاوداميا بنفسها فى المحرقة معه . والتشبيه هنا غامض بعض الشيء لعدم مواكبته سياق النص .
- ٧٠ — اشتهر الفرسان البارثيون بالتظاهر بالانسحاب أمام العدو لاستدراجهم ، ثم يستديرون بأجسادهم على سهوات جيادهم يطلقون سهامهم على غرة صوب أعدائهم بينا جيادهم لاتزال منطلقة فى الاتجاه نفسه كأنهم يفرون .

٧١ — مُرتكز فوييوس الثلاثى محط النبوءة هو الحامل الذى كانت تجلس عليه العرافة الشهيرة بمعبد دلفى ، ويذكر المرتكز أحياناً كناية عن العرافة .

٧٢ — قيل إن باكخوس قد شيد معراب آمون ذى القرنين تمجيداً لأبيه چويتر آمون . وقد لقبه باسم آمون لأنه كان قد ظهر على شكل الإله آمون المصرى فى رؤيا هرقل ، أو على حد قول البعض فى رؤيا لباكخوس نفسه حين كاد العطش يودى به فى صحراء أفريقيا فأرسله چويتر آمون إلى ينبوع ماء . وكان معبد چويتر آمون فى سيوه بصحراء مصر الغربية ، وكان به عراف شهير جاء إلى المعبد قبل عهد الامبراطور أوغسطس بشمانية عشر قرناً تقوده يمانتان طارتا من صحراء مصر الغربية ثم اختفيتا . واعتاد هرقل وپيرسيوس وغيرهما الالتجاء إلى هذا العراف . وحينما تنبأ بأن الإسكندر هو ابن چويتر انصرف عنه الناس لنفاقه . وأغلب الظن أن الإسكندر هو مشيد هذا المعبد .

ثبت بيلوجرافى لكاتب هذه السطور

● موسوعة تاريخ الفن : العين تسمع والأذن ترى . *

١٩٧١	طبعة أولى	دراسة	١ - الفن المصرى : العمارة
١٩٩٠	طبعة ثانية		
١٩٧٢	طبعة أولى	دراسة	٢ - الفن المصرى : النحت والتصوير
١٩٩١	طبعة ثانية		
١٩٧٦	طبعة أولى	دراسة	٣ - الفن المصرى القديم : الفن السكندرى والقبلى
١٩٧٤	طبعة أولى	دراسة	٤ - الفن العراقى القديم
١٩٧٨	طبعة أولى	دراسة	٥ - التصوير الإسلامى الدينى والعربى
١٩٨٣	طبعة أولى	دراسة	٦ - التصوير الإسلامى الفارسى والتركى
١٩٨١	طبعة أولى	دراسة	٧ - الفن الإغريقى
١٩٩٣	طبعة ثانية		
١٩٨٩	طبعة أولى	دراسة	٨ - الفن الفارسى القديم
١٩٨٨	طبعة أولى	دراسة	٩ - فنون عصر النهضة
١٩٩١	طبعة أولى	دراسة	١٠ - الفن الرومانى
١٩٩٣	طبعة أولى	دراسة	١١ - الفن البيزنطى
١٩٩٣	طبعة أولى	دراسة	١٢ - فنون العصور الوسطى
١٩٩٣	طبعة أولى	دراسة	١٣ - التصوير المغولى الإسلامى فى الهند
١٩٨٠	طبعة أولى	دراسة	١٤ - الزمن ونسيج النغم (من نشيد أهولو إلى أوليفيه ميسيان)
١٩٨١	طبعة أولى	دراسة	١٥ - القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية
١٩٩٢	طبعة ثانية		
١٩٧٨	طبعة أولى	دراسة	١٦ - الإغريق بين الأسطورة والإبداع
١٩٩٣	طبعة ثانية		

* (الصور الملونة بالأجزاء التسعة الأولى من هذه الموسوعة طبعت بمؤسسة رينيرد للطباعة بلندن على نفقة المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة « يونسكو ») .

- ١٧ - ميكلا نجلو
١٨ - فن الواسطي من خلال مقامات الحريري
[أثر إسلامي مصور]
١٩ - معراج نامه [أثر إسلامي مصور]
● أعمال الشاعر أوقييد
٢٠ - ميتامور فوزيس [مسخ الكائنات]
٢١ - آرس أماتوريا [فن الهوى]
● أعمال جبران خليل جبران
٢٢ - النبي : لجبران خليل جبران
٢٣ - حديقة النبي : لجبران خليل جبران
٢٤ - عيسى ابن الإنسان : لجبران خليل جبران
٢٥ - رمل وزيد : لجبران خليل جبران
٢٦ - أبواب الأرض : لجبران خليل جبران
٢٧ - روائع جبران خليل جبران . الأعمال المتكاملة
٢٨ - كتاب المعارف لابن قتيبية
٢٩ - مولع بفاجتر : لبرنارد شو
٣٠ - مولع حذر بفاجتر
٣١ - المسرح المصري القديم : لآتين ديوتون
- دراسة طبعة أولى ١٩٨٠
دراسة وتحقيق طبعة أولى ١٩٧٤
طبعة ثانية ١٩٩٣
دراسة وتحقيق طبعة أولى ١٩٨٧
ترجمة طبعة أولى ١٩٧١
طبعة ثالثة ١٩٩٢
ترجمة طبعة أولى ١٩٧٣
طبعة ثالثة ١٩٩٢
ترجمة طبعة أولى ١٩٥٩
طبعة سابعة ١٩٩٠
طبعة ثامنة ١٩٩١
ترجمة طبعة أولى ١٩٦٠
طبعة سابعة ١٩٩٠
ترجمة طبعة أولى ١٩٦٢
طبعة رابعة ١٩٩٠
ترجمة طبعة أولى ١٩٦٣
طبعة رابعة ١٩٩٠
طبعة خامسة ١٩٩١
ترجمة طبعة أولى ١٩٦٥
طبعة ثالثة ١٩٩٠
ترجمة طبعة أولى ١٩٨٠
طبعة ثانية ١٩٩٠
تحقيق طبعة أولى ١٩٦٠
طبعة سادسة ١٩٩٢
ترجمة طبعة أولى ١٩٦٥
طبعة ثانية ١٩٩٢
دراسة نقدية طبعة أولى ١٩٧٥
طبعة ثالثة ١٩٩٣
ترجمة طبعة أولى ١٩٦٧
طبعة ثانية ١٩٨٩

١٩٧١	طبعة أولى	تأليف	٣٢ - إنسان العصر يتوج رمسيس
١٩٦٤	طبعة أولى	ترجمة	٣٣ - فرنسا والفرنسيون على لسان الرائد طومسون : ليبير دانيوس
١٩٨٩	طبعة ثانية		
١٩٥٢	طبعة أولى	تأليف	٣٤ - إعصار من الشرق أوجنكيخ خان
١٩٩٢	طبعة خامسة		
١٩٥٠	طبعة أولى	ترجمة	٣٥ - العودة إلى الإيمان : هنري لنك
١٩٦٤	طبعة ثالثة		
١٩٤٨	طبعة أولى		٣٦ - السيد آدم : ليات فرانك
١٩٦٥	طبعة ثانية		
١٩٥٢	طبعة أولى		٣٧ - سراول القس : لثورن سميث
١٩٧٦	طبعة ثانية		
١٩٤٢	طبعة أولى	ترجمة	٣٨ - الحرب الميكانيكية : للجنرال فولر
١٩٥٢	طبعة ثانية		
١٩٥٢	طبعة أولى	ترجمة	٣٩ - قائد البانزر : للجنرال جوديريان
١٩٥١	طبعة أولى	تأليف بالمشارة	٤٠ - حرب التحرير
١٩٦٧	طبعة ثانية		
١٩٤٤	طبعة أولى	ترجمة بالمشارة	٤١ - تربية الطفل من الوجهة النفسية
١٩٤٥	طبعة أولى	ترجمة بالمشارة	٤٢ - علم النفس في خدمتك
١٩٨٤	طبعة أولى	دراسة	٤٣ - مصر في عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء (١٨٠٠ - ١٩٠٠)
١٩٩٢	طبعة ثانية		
١٩٨٨	طبعة أولى	تأليف	٤٤ - مذكراتي في السياسة والثقافة
١٩٩٠	طبعة ثانية		
١٩٩٠	طبعة أولى	إعداد وتحرير	٤٥ - المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية [إنجليزية - فرنسية - عربي]

بالفرنسية

Ramsès Re- Couronné: Hommage Vivant au Pharaon Mort,
"UNESCO" 1974.

- ٤٦

بالإنجليزية

- In The Minds of Men. Protection and Development of Mankind's Cultural Heritage - ٤٧
 "UNESCO". 1972.
- The Muslim Painter and the Divine. The Persian Impact on Islamic. Religious Painting. - ٤٨
 Rainbird Publishing Group, Park Lane Publishing Press. London 1981.
- The Miraj- Mameh: A Masterpiece of Islamic Painiting. Pyramid Studies and other Essays.. ٤٩
 presented to. I. E. S. Edwards. The Egypt Exploration Society. London 1988..

أبحاث

- The Portrayal of the Prophet. The Times Literary Supplement. December 1979. - ٥٠
- Porblématique de la Figuration dans l'art Islamique. - ٥١
- La Figuration Sacrée.
- La Figuration Profane.
- Plastique et musique dans l'art pharaonique.
- Wagner entre la theorie et l'application.

سلسلة محاضرات ألفت بالكويلج ده فرانس بباريس خلال شهرى يناير ومارس ١٩٧٣ .
 Annuaire du Collège de France 73 e Année Paris, 11, Marcelin- Berthelot 1973.

- ٥٢ - المشاكل المعاصرة للفنون العربية . لمنظمة اليونسكو . نشر بمجلة « مواقف » عدد ٢ آيار ١٩٧٤ . بيروت .
- ٥٣ - حرية الفنان . لمنظمة اليونسكو . نشر بمجلة عالم الفكر . المجلد الرابع يناير ١٩٧٤ . الكويت .
- ٥٤ - رعاية الدولة للثقافة والفنون . محاضرة ألفت بنادى الجسرة الثقافى بالدوحة (دولة قطر) فبراير ١٩٨٩ .
- ٥٥ - إطلالة على التصوير الاسلامى : العربى والفارسى والمغولى والتركى . محاضرة ألفت بالمجمع الثقافى . أبو ظبى .
- ٥٦ - سبيل إلى تعميم مَدَن التكنولوجيا « تكنوپوليس » فى الوطن العربى . معهد العالم العربى بباريس . يونيه ١٩٩٠ .

تحت الطبع

موسوعة التصوير الإسلامي [مكتبة لبنان ، بيروت]

تحت الإعداد

فنون القرن الثامن عشر والتاسع عشر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٠٢٨٦ / ١٩٩٢

ISBN 977 - 01 - 3216 - 0





تعليقات الكتاب والنقاد

بأسلوب نابض بالركة والسخرية والدهشة ينقل د. ثروت عكاشة إلى قراء العربية كتاب « فن الهوى » بعد ألفى عام من صدوره للشاعر الرومانى أوفيد الذى صاغ فيه قطعة فريدة من تاريخ روما وحضارتها وتقاليدها حين خرج على مواضعات النفاق الاجتماعى وطرح أقنعة الحياء الزائف وتسلل إلى خلوات العشاق الذين يتقلبون على أرائك المتعة فى عصر روما الذهبى . وأخذ يرصد خطى العشاق فى دروب الهوى ويتتبع أحابيلهم ومناوراتهم ولفات دلالهم وصدودهم ووصالهم ، ثم يكسو كل ذلك بأوشحة أسطورية ويقدمه على شكل وصايا تثبت عزم العاشق المتردد وتهيج حماسة المغمم الحجول وكأنما آمن أن رسالته أن يحيل الدنيا كلها إلى عالم من العشاق .

وفى ظلال هذا العالم المسحور تحمل القارئ أجنحة عبارات مترجم متمكن وفق إلى جلاء مرجح الكاتب ودهائه وغزارة ثقافته وروعة تشبيهاته وخفة ظله وذكاء إيجاءاته ، فبا يكاد المرء ينتهى من قراءة الكتاب حتى يولد فى نفسه حنين جارف لإعادة قراءته من جديد .

يوسف السباعى

وضع د. ثروت عكاشة بين يدى القارئ العربى عملين من أهم أعمال الشاعر اللاتينى الكبير أوفيدىوس ناسوها فن الهوى وسخ الكائنات . وأول ما يجسّ به القارئ العربى حين يقبّل صفحات الكتاتين المترجمين هو الشعور بالمتعة والبهجة تحيىان من رصانة اللفظ وجمال العبارة ومن أناقة الشكل وروعة التصوير وإتقان الإخراج . ثم لا يلبث أن يشغل عن هذا كله حين يمضى فى قراءة النص ، وحين يفرغ من قراءة المقدمتين الطويلتين الجامعتين اللتين كتبهما المترجم عن الشاعر وعن حياته وبيئته وشعره ، ثم حين يراجع التعليقات الغزيرة التى أثبتتها فى آخر الكتاتين : إنه الإحساس بالجهد الضخم الذى بذله الدكتور عكاشة بالحرص الشديد منه على أن يوفر للقارئ العربى كل وسيلة لمعايشة الشاعر ، وفهم النص ، والنفاذ إلى أسرارهِ . وأخيراً يجد القارئ العربى نفسه بعد ذلك وجهاً لوجه أمام التراث اللاتينى بما يشتمل عليه من أساطير وحكايات ومعان ، وأمام الشاعر اللاتينى بما يفيض به قلبه من مشاعر وعواطف ، وأمام الإنسان فى تلك العصور وفى كل العصور ، بما يشغله ويؤرقه من هموم ومشاكل .

د. عبد العزيز الأهوانى

لا شك أن د. ثروت عكاشة قد بذل جهداً غير عادى فى ترجمة هذا الكتاب حرصاً منه على أن تكون الترجمة أمينة وعلى أن تكون مصحوبة بتعليقات وشروح علمية دقيقة تجعلها ميسورة أمام القارئ العربى ، وعلى أن تكون الترجمة أخيراً صورة من الأصل بما فيه من عذوبة وشفافية وجمال فنى رائع . وقد حقق المترجم كل هذه الأهداف فجاء الكتاب إضافة حقيقية إلى المكتبة العربية . والذين ينظرون إلى مثل هذه الأعمال الفكرية والفنية الكبيرة نظرة نقد واستهانة ، ويرون أنها ليست سوى لون من الترف الفكرى الذى لا فائدة منه ، مثل هؤلاء هم الذين يريدون للفكر العربى أن يكون محصوراً فى آفاق ضيقة محدودة سهلة وأن يكون بعيداً عن المنابع الرئيسية الكبرى للفكر العالمى .

رجله النقاش